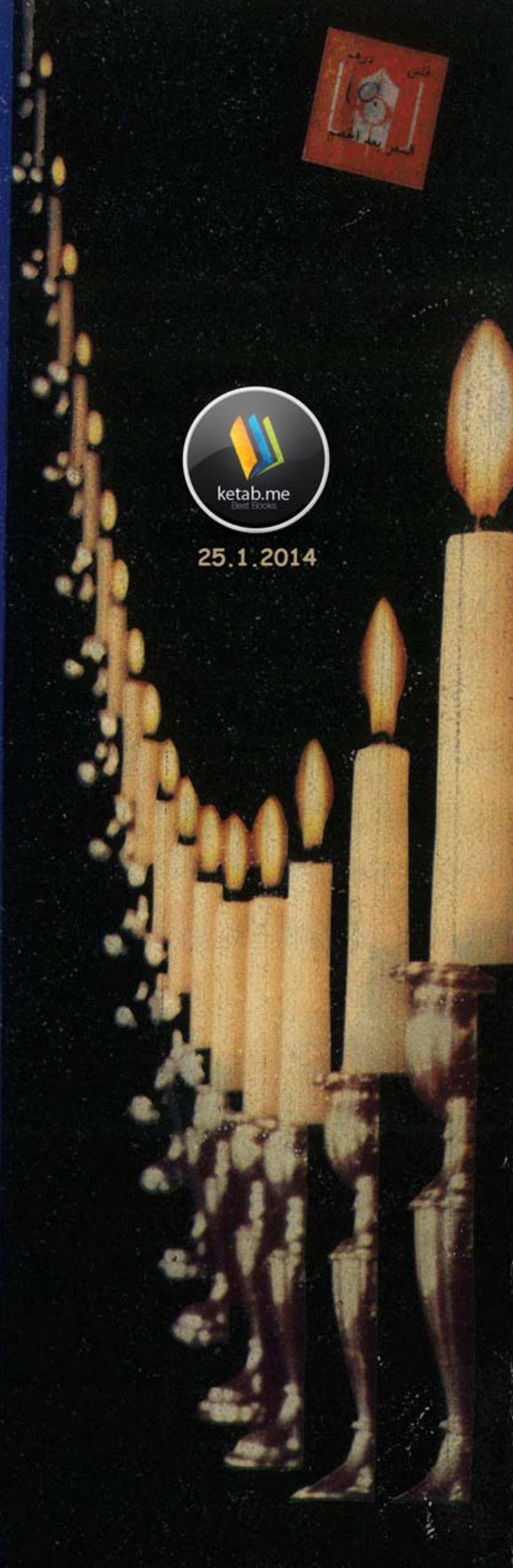
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

أمراض المشاهير وغرائبهم



الدكتور
صباح السامرائي

امــــراض

المشاهير وغرائبهم

الدكتور
صباح اسماعيل السامرائي

/

أمراض
المشاهير و غرائبهم

منشورات وتوزيع

المكتبة العالمية
بغداد - شارع السعدون
هاتف ٨٨٨٩٣٥٢

الطبعة الأولى
بغداد - ١٩٨٧

طبع بالشركة العراقية للطباعة الفنية . بغداد
هاتف ٧٧٦٧١١١

الداء يُثلج راحتي ويُطفي الغد في خيالي
ويشلّ انفاسي ويطلقها كانفاسِ الذبالِ
تهتزُ في رئتين يرقص فيهما شبح الزوالِ
مشدودتين الى ظلام القبر بالدم والسعالِ

«بدر شاكر السياب»

المحتويات

المقــدمــة

أثار اللورد «موران» ضجة كبيرة ، وشنّت عليه الصحف الانجليزية حملة مستعرة الأوار .. والسبب في كل ذلك هو كتاب ، تحدث فيه عن حياة «تشرشل» .. واللورد موران كان الطبيب الخاص لتشرشل ؛ ولذلك جاء كتابه محتوياً على وصف للقائد الانجليزي في حالات ضعفه ومرضه .. ونشر الكتاب قبيل وفاة تشرشل ؛ فثارت ثائرة الرأي العام البريطاني ، واستنكر الانجليز ان يوصف تشرشل في حالات ضعفه ، وهو قائدهم الكبير الذي يكنّون له مشاعر الودّ والاحترام ..

ان آداب المهنة الطبية لا تسمح للطبيب بأن يتحدث عن داء مريضه الاّ في حالات خاصة ؛ فعندما انهينا دراستنا الطبية ، اقسمنا على ان نكون عطوفين على المرضى ، وأن نكون أوفياء لمهنتنا ، وأن لانصف دواء بقصد الأضرار بمريض ، وأقسمنا ايضاً ـ وهذا هو بيت القصيد هنا ـ على ان لانفشي سراً لمريض .. تلك هي بعض بنود قَسَم «ابو قراط» ؛ ذلك القسم الذي يردده كل طبيب قبل أستلام «الشهادة» التي تتيح له ممارسة الطب .. والطبيب الذي يفشي سر مريضه يكون قد حنث بالقسم العظيم ! !

اذن ، كيف اتحدث عن «امراض المشاهير» دون ان احنث بالقسم ، ودون ان يغضب مني صاحب القسم ، شيخ الاطباء ، ابو قراط ؟!

يبدولي ان حياة العظماء والقادة والشعراء ، ليست ملكاً لهم ، على الأخص بعد وفاتهم .. وانما هي ـ بمّا فيها من عوامل قوة او ضعف ـ ملك للمجتمع البشري الذي أعجب بهم ، وسار تحت الويتهم ، وآزرهم .. او ضاق بهم ذرعاً وحاربهم .. والحديث عن امراضهم ، يلقي اضواء على زوايا خفية في حياتهم قلّما عرف بها الناس ؛ وقد يرشدنا الى تفسير لبعض مواقفهم التي كانت تستعصي على الفهم ، او تعز على التفسير ..

ولقد تجنبت الحديث عن المشاهير الذين لايزالون على قيد الحياة ؛ لان ذلك يتعارض مع قسم «ابو قراط» ، وما ينبغي لي ان احنث بالقسم ، ولو فعلت ذلك فلست أنا ! !

ولهذا ـ اقتصر حديثي على المشاهير الذين اصبحوا في ذمة الخلود ، ومن المفيد تقليب اوراق حياتهم ـ بما فيها من قوة وكبرياء او ضعف والم .. وبصفتي طبيباً فقد

اخترت الحديث عن صفحة معينة من كتاب حياتهم الضخم ؛ تلك هي صفحة الالم .. او المرض ..

ورغم ان كتابي هذا لا يخلو من المعلومات التاريخية عن شخصيات مختلفة ، ولا يخلو من الشعر عند الحديث عن الشعراء ؛ فأنه يركّز - اساساً - على الحديث عن امراض تلك الشخصيات او اولئك الشعراء .. انه كتاب طب ، اردت به توسيع الثقافة الصحية للقراء ..

واذا كان الأمر كذلك ؛ فلماذا أمراض المشاهير ، دون سواهم ؟!

لقد لاحظت ان الصحف اسهبت في الحديث عن مرض «الأيدز» او نقص المناعة المكتسب ، الذي أصاب الممثل الهوليودي الشهير «روك هدسون» وقضي عليه .. ووجدت كثيراً من الناس قد اهتموا بهذا المرض وتابعوا اخباره ، وكان بعضهم - قبل ذلك - لايكاد يقرأ مقالاً عن المرض او الطب .. ورغم ان احد اسباب ذلك الاهتمام هو خطورة المرض وانتشاره المفاجئ ، فان السبب الآخر هو شهرة ذلك الممثل الامريكي الكبير ..

ومن هنا مربط الفرس - كما يقولون ! ! فالحديث عن «امراض المشاهير» اكثر جاذبية من الحديث عن «الامراض» فحسب .. ولذلك سيقرأ كتابي من يهتم بالمواضيع الطبية البحتة ، وسيقرأه من يهتم - في الاساس - بالشخصيات التي تحدثت عنها .. وعندئذ أكون قد اوصلت هذا الحديث - وهو طبي في الاساس - الى عدد كبير من المثقفين على اختلاف اهتماماتهم .. ومعرفة العدو هي اولى الخطوات في سبيل القضاء عليه ..

اوليس المرض عدو الانسانية اللدود ؟!

الدكتور
صباح اسماعيل السامرائي
الشيب ١ - ١ - ١٩٨٦



بدر شاكر السياب

بدر شاكر السياب
بين الشلل والتشاؤم

هل اتاك النبأ ؟ صراع السياب مع الشلل الذي اصاب رجليه فأقعده ؟! اذا لم يكن قد اتاك النبأ ، فانه يحدثك عن ذلك في قصيدته «عكاز في الجحيم» التي كتبها في «المستشفى الاميري» بالكويت ، قبل وفاته بشهر واحد ..

لنستمع اليه :

ويقيت ادور
حول الطاحونة من ألمي
ثوراً معصوباً كالصخرة هيهات تثور
والناس تسير الى القمم
ولكني أعجز عن سيرٍ - ويلاه - على قدمي
وسريري سجني ، تابوتي ، منفاي الى الالم
والى العدم ! !

ولم تستطع المستشفيات الكثيرة ان تمنحه الشفاء ، ولم تستطع ان تزيح الاخطبوط الذي تشبّث برجليه من عام ١٩٦١ وحتى اواخر عام ١٩٦٤ ؛ ورغم ذلك فقد استطاع السياب ان يحوّل تلك المعاناة الى شعر عذب رقيق .. لقد صهرته الالام لتحوّله الى اسطورة شعرية قلّ نظيرها .. يقول الدكتور عيسى الناعوري : «ان قصائد الالم التي كتبها السياب في اعوام مرضه الأربعة الاخيرة ، هي القصائد التي حددت مكانة السياب شاعراً فريداً على قمة الشعر الحر الحديث» .

الصراع مع الشلل :

ابتدأ الأمر مع السياب بداية يسيرة ، فقد كان يشعر بخدر في ساقيه ، قال عنه الاطباء «انزلاق غضروفي» ، واجريت له عملية جراحية في مستشفى الجامعة الامريكية ببيروت .. وكان التشخيص خاطئاً ، فلقد راحت حالته تزداد سوءً حتى تحولت الى شلل سفلي paraplegia «اي شلل الطرفين السفليين» ، ولم يعد السياب يستطيع المشي الا بمعونة العكاز ! ! الشاعر الرقيق الذي كان يهيم في «جيكور» وعلى ضفاف «بويب» ينشد قصائده العذاب ، اصبح مقعداً لا يقوى على الحركة ! !

فماذا تقول يا سياب ؟!

اقول سيأتيني يوم من بعد شهور
او بعد سنين من السقم
او بعد دهور
فأسير .. اسير على قدمي
عكاز في يدي اليمنى
عكاز ؟! بل عكازان
تحت الابط يعينان
جسماً من الاوجاع يفنى ! !

وماذا يقول أصدقاء السياب الذين رافقوه في رحلة مرضه وعذابه ؟ الشاعر الكويتي «علي السبتي» تحدث عن مرض السياب ، ونشر حديثه في مجلة «الف باء» العراقية في العدد «٩٠٠» .. يقول السبتي :

«كنت في زيارة لمدينة البصرة ، وعرفت فيها بأن بدراً يرقد في المستشفى الجمهوري .. فزرته هناك ووجدت حالته الصحية تدعو للأسف ، فعرضت عليه الانتقال الى مستشفيات الكويت ، فوافق على الفور .. وفعلاً تم نقله من البصرة الى الكويت ، وكان ذلك في شهر حزيران من عام ١٩٦٤ واخذناه اولاً الى مستشفى سالم الصباح حيث تشكلت لجنة طبية خاصة للأشراف على علاجه .. وقالت هذه اللجنة بأن علاجه سيطول لتدهور وضعه الصحي ، وانه يحتاج الى عملية جراحية سريعة يمكن ان تجرى في المستشفى الاميري .. فاتصلت بالجهات الصحية المسؤولة وحصلت الموافقة على نقله .. »

وفي المستشفى الاميري اشرف على علاجه طبيب مختص بالامراض الباطنية هو الدكتور محمد ابو الشوك ، ومساعده الدكتور عبد الله مبارك الرفاعي ..

وتشير التقارير والمعلومات الطبية الى ان العامل الوراثي هو السبب وراء اصابة السياب بالشلل ، لان هناك افراداً من عائلة السياب ـ نساءاً ورجالاً ـ اصيبوا قبله بنفس المرض .. وهذا ما أشار اليه الدكتور عيسى بلاطة في كتابه عن السياب بعد اطلاعه على ملف علاجه في المستشفى الاميري بالكويت» ..

وفي المستشفى الاميري لفظ انفاسه الاخيرة ! !

بداية المأساة :

لقد أبتدأت مأساة السياب عند وفاة أمه وهو في السادسة من عمره ..ولقد ظلت هذه الواقعة مترسخة في اعماقه حتى وفاته عام ١٩٦٤ وانك لترى شبح أمه يهيمن على كثير من قصائده ؛ بالتصريح تارة ، وبالتلميح تارة اخرى ..

وقبل وفاته بعام واحد ، كان راقداً في احدى مستشفيات «لندن» حيث كتب قصيدته العذبة «الباب تقرعه الرياح» .. ونقرأ منها هذه الأبيات :

الباب ماقرعته غير الريح
آه ، لعل روحاً في الرياح
هامت تمر على المرافئ او محطات القطار
لتسائل الغرباء عني ؛ عن غريب امس راح
يمشي على قدميه ، وهو اليوم يزحف في انكسار
هي روح امي هزّها الحب العميق
حب الامومة فهي تبكي :
«آه ياولدي البعيد عن الديار
ويلاه كيف تعود وحدك ، لادليل ولارفيق ! !»
امّاه ، ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار
لاباب فيه لكي ادق ، ولانوافذ في الجدار
كيف انطلقتِ على طريق لا يعود السائرون
من ظلمة صفراء فيه كانها غسق البحار؟!

وفي «انشودة المطر» يتحدث السياب عن امه بصورة غير مباشرة ، فهو يصوّر لك

طفلاً سأل عن امه فقيل له انها ستعود قريباً .. ولكنها - في واقع الامر - كانت قد فارقت الحياة ، ولن تعود .. وما هذا الطفل سوى السياب نفسه ، وما تلك الأم سوى امه ! !.

ان هذا التشبث بالام يدل دلالة واضحة على حاجة السياب الى الحنان ، ولو انه عاش حياة عائلية ناجحة في طفولته وصباه وشبابه ، لاستطاع - على الاقل - ان يملأ جزءاً من الفراغ الذي تركته وفاة الام .. وهو يعترف - من خلال بعض قصائده - باخفاقه في حياته العائلية ..

ويبدو لي ان النحافة التي كانت ملازمة للسياب ، ربما سببت له عقدة نقص زادت من تشاؤمه ويأسه ..

ولقد ادّت تلك العوامل التدميرية بالسياب الى النكوص ؛ نكوصه الى طفولته .. الى امه .. الى «جيكور» ؛ تلك القرية العراقية التي عاش فيها في احضان امه حيث الراحة والامن ..

ما الذي قتل السياب ؟

لقد كان السياب فريسة لمرض آخر لا يقل خطورة عن الشلل ، وقد عمل هذان المرضان - جنباً الى جنب - على تمهيد طريق السياب نحو القبر وهو في الثامنة والثلاثين من العمر .. وذلك المرض هو التشاؤم **المفرط** والحديث عن الموت والقبر..

واذا كانت قصائد السياب الطافحة بصور الفناء والضياع والقنوط ، تعتبر - من الناحية الأدبية - قمة من قمم الشعر ، فانها - من الناحية الطبية - ذات دلالة خطيرة ؛ فهي تدل على اصابته بالكآبة الشديدة ..

ولو رجعنا الى بواكير قصائد السياب ، فاننا نجد صور الموت والفناء تطغى بشكل مرعب .. ففي القصيدة الاولى من مجموعته الشعرية الاولى «ازهار وأساطير» يخاطب السياب فتاة يطويها الموت بعد ان يمزق صدرها الذئب ، ويروح «البوم» يملأ عشّه من نتف شعرها ، وتصبح شفتاها مأوى للذباب ، وهي لاتحرك ساكناً بعد ان احتواها القبر بحجارته الرهيبة ! !

والغريب حقاً انه كتب هذه القصيدة عام ١٩٤٦ وهو في ريعان الشباب ، فقد كان في العشرين من عمره «فهو من مواليد ١٩٢٦» ..

لنستمع الى بعض الابيات من قصيدته المرعبة ، الطافحة بصور الموت :

واذا هـــاـــكتِ غـــاـاً فلا تجدي
قبراً ومـــزّق صـــدرك الـــذيبُ
والـــبـوم يملأ عشّـــه نـــتــفـــاً
من شـــعــركِ المتــعــفــر الــنــخــرِ
ويــعـود ثــغــركِ لــلــذبـاب لـقىً
ويـــداك مــتــقــلــتـان بــالحجــرِ
لا تــــدفــعـــان اذاه عن شــفـــةٍ
بـــالامس اخــرس لـغـوهـــا وتـــري
ولـــيُسقَ من دمك الخبـــيث غـــداً
دوحٌ تعشعش فوقـــه الـــغـــرب
تـــــأوي الصلال الىٰ جوانـــبـــه
غـــرقىٰ ويـــعـوي تحتـــه الــكــلبُ

ان هذه الصورة المرعبة للموت ، تنبع من أعماق الشاعر ، وتدل على حساسية مفرطة ازاء الموت .. وبسبب الصورة القاتمة التي يحملها السياب في قرارة نفسه عن الموت ؛ فهو يتحدث عنه من داخل القبر لا من خارجه ، فتراه يصوّر الجثة الهامدة التي تغزوها الهوام فتتفسخ بالتدريج حتي تتلاشي ..

ان تلك الصورة القاتمة التي يحملها السياب عن الحياة .. والقنوط الشديد .. والشعور بتفاهة الحياة .. كل هذه عوامل هدامة قد لا تقل خطراً عن أكثر الأمراض فتكاً بالانسان ..

ولست بحاجة الى التدليل على اهمية العامل النفسي في أكتساب الصحة الجسمية او هدمها ؛ فمن المعروف ان التوتر العصبي ، والقلق ، والكآبة ، تستطيع ان تحدث تغييراً عضوياً في انسجة الجسم وفي الهرمونات التي تسيطر على مختلف نشاطاته .. وابسط مثال على الترابط الوثيق بين الحالة النفسية والعضوية ، هو ما نلاحظه من

ازدياد في سرعة النبض عند الخوف او الأنفعالات النفسية المفاجئة ..

وهناك مجموعة من الامراض المعروفة تسمى بالامراض النفسجسمية psychosomatic diseases ؛ وهي امراض جسمية تنشأ عن «او تتفاقم بوجود» الاضطرابات النفسية .. ومن هذه الامراض : الخفقان .. ارتفاع ضغط الدم .. القرحة الهضمية .. التهاب القولون وتقرحه .. فقدان الشهية .. الربو .. اضطرابات الجهاز العصبي .. بل حتى السرطان افادت الابحاث بأن معظم الذين يصابون به ، يكونون قد تعرضوا ـ في الفترة السابقة لاصابتهم ـ الى شدة نفسية في طفولتهم او حداثتهم ، كموت احد والديهم او اخوتهم ..

يقول الدكتور علي كمال في كتابه «النفس ، انفعالاتها وامراضها وعلاجها» ، الطبعة الثانية ، صفحة ٣٧٢ مايلي :

«ان الفرد هو عبارة عن كائن ديناميكي معقد ، وانه ـ دوماً ـ في حالة توازن غير ثابت او مستقر ، وهو يتفاعل مع التغييرات في المحيط وفي داخل نفسه ، وفي حالة اختلال هذا التوازن تتأثر أوجه متعددة من هذا الكيان .. وعلى هذا ؛ فعندما نتكلم عن العمليات او الاضطرابات النفسية .. او الفسيولوجية العقلية او الجسمية ؛ فانما نتكلم عن طرق مختلفة للنظر الى ظاهرة واحدة في كيان واحد متكامل .. وهذه الظاهرة الواحدة ـ مثل الكيان الواحد ـ غير قابلة للتجزئة» ..

ان بدر شاكر السياب ، قد بلغ مرحلة من اليأس والقنوط والتشاؤم . وكان يبدو له ان الموت هو المخرج الوحيد من ذلك المأزق .. وعندئذ اطلق صرخته المدوية :

اريد ان اموت يااله !!

انشودة المطـر :

الرابع والعشرون من كانون الاول ١٩٦٤ كان يوماً ليس كبقية الايام .. الترقب والخشوع يسودان كل شئ في البصرة ؛ الغيوم الثقال تغالب دموعها التي توشك ان تنهمر فلا تكف عن الانهمار .. وشجيرات النخيل كساها وجوم غريب .. وكان شط العرب يبتلع ظلال الغيوم الداكنة !! كل شئ كان يوشك ان يجهش ببكاء مرير ..

ما الامر؟!

لم يكن احد يدري سوى ركاب السيارة الحمراء التي كانت تغذُ السير من الكويت باتجاه البصرة ..

وعندما مرقت تلك السيارة في شوارع البصرة ، كان الامر قد تجلّى وتكشف ؛ فسمع نشيج شط العرب . وبكت الغيوم مر البكاء ، واغتسلت النخيل بدموع

السماء .. لقد كانت تلك السيارة تحمل نعش السياب ..
يالفاجعة ! !

ثم دفن السياب في «مقبرة الحسن البصري» ، وكفكف المشيّعون بعض دموعهم .. ولكن السماء لم تكف عن البكاء .. ثم «تثاءب المساء .. والغيوم ماتزال .. تسحّ ماتسحّ من دموعها الثقال» ..

وهجع الناس .. ولم تهجع الغيوم .. وكيف تهجع وقد غاب السياب في الثرىٰ ؟ ! اذن ، ياغيوم اعزفي معه انشودته الخالدة ، انشودة المطر :

اتعلمين اي حزن يبعث المطرْ
وكيف تنشج المزاريب اذا انهمر
وفيه يشعر الوحيد بالضياع
بلا انتهاء
كالدم المراق ،
كالحب ،
كالاطفال ،
كالموتىٰ . هو المطر
مطر ! !
مطر ! !
مطر ! !



احمد شوقي

احمد شوقي
وارتفاع ضغط الدم

ولد الشاعر الكبير «احمد شوقي» في القاهرة عام ١٨٦٨ وتوفي عام ١٩٣٢ ، ولقد كان جيلاً فريداً ذلك الجيل الذي ضم احمد شوقي وحافظ ابراهيم .. والذي انجب طه حسين ، والعقاد ، والمازني ، والرافعي ، والزيات .. لقد كان جيلاً من العباقرة الذين اثروا الادب العربي ايّما اثراء ، وانقذوه من الهاوية التي كادت تبتلعه ! !

ويبدو ان هناك فترات في حياة كل أمة ، تتميز بأزدهار فكري مفاجئ يظل وهجاً مضيئاً في تاريخ تلك الامة .. ولقد شهد النصف الاول من القرن العشرين ازدهاراً فكرياً كبيراً في العالم العربي .. ولست أريد الدخول في اسباب هذه الظاهرة التاريخية المعقدة ؛ فذلك خارج اهتمام هذا الكتاب الطبي ..

وكان احمد شوقي اعظم شاعر انجبه العالم العربي في تاريخه الحديث ، واعطي لقب «أمير الشعراء» عن جدارة واستحقاق ، وذلك عام ١٩٢٧ ، وجاءه الشاعر «حافظ ابراهيم» يبايعه بالامارة قائلاً :

امير القوافي قد اتيتُ مبايعاً

وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وعندما كان احمد شوقي ينشر قصائده في الصحف المصرية ؛ كانت تتضاعف مبيعات تلك الصحف .. بل ان الباعة كانوا ينادون على تلك الصحيفة بأسم قصيدة شوقي .. فلقد كانت عناوين قصائده تطغىٰ على اسم الصحيفة التي تنشر فيها ! !

ولم لا ؟! اليس هو القائل :

يـــاجـــارة الـوادي طـــربتُ وعــادني
مـــايشـــبـــه الاحلام مـن ذكـــراكِ
لم ادرِ مـاطـيـب الـعـنـاق عـلىٰ الهوىٰ
حـــتىٰ تــرفّـق ســاعــدي فـطـواكِ
وتــأوّدت اعــطــاف بــانك في يــدي
واحـــمـــرّ من خـــفـــريهما خـــداكِ
ودخلتُ في لـيلين : فـرعكِ والـدجىٰ
ولثمتُ كـــالـصـــبـح المنوّر فـــاكِ
لاامس مـن عــمــر الــزمــان ولاغــد
جـمـع الـزمـان فـكـان يوم لـقـاكِ

اسمعت مثل هذا الكلام الرقيق من قبل ؟! لقد اصيب صاحب هذه الابيات ، احمد شوقي ، بارتفاع ضغط الدم .. ويقال انه اشترىٰ جهاز قياس الضغط ليقوم بنفسه بالمهمة بدلاً من الطبيب ، وليلاحظ اي اضطراب يطرأ على ضغط دمه ! !

ترىٰ ما هو ضغط الدم ؟ ولماذا يرتفع ؟ وماهي اعراض ارتفاع ضغط الدم ؟ وماهي اخطاره ؟ وهل من علاج ؟.. الاجابة في الصفحات التالية ..

ضغط الـدم :

القلب هو عبارة عن مضخة تقوم بضخ الدم عبر الشرايين الى مختلف الانسجة .. والدم يسلط ضغطاً على جدران هذه الشرايين ، وضغط الدم هذا يعتمد على قوة ومعدل النبض ، وعلى قطر الشرايين .. فلو ازدادت قوة النبض او معدله ، لأزداد الضغط ايضاً .. ولنتصور الامر بهيئة انبوبة مطاطية تتصل بصنبور ماء «حنفية» ؛ فلو اننا فتحنا الصنبور لتدفق الماء في الانبوبة ، وكلما فتحنا الصُنبور بدرجة اكبر أزداد تدفق الماء في الانبوبة ، اي ازداد ضغطه .. ولو اننا ضيّقنا هذه الانبوبة «بالضغط على نهايتها مثلاً» لازداد ضغط الماء ورايناه يتدفق بعنف ..

ولقد لوحظ ان ضغط الدم يختلف من حين لآخر ، تبعاً للنشاط الذي يقوم به الفرد ، وتبعاً للظروف المحيطه به ؛ اذ يرتفع ضغط الدم اثناء النشاطات البدنية ،

واثناء التوتر العصبي ، وفي الطقس البارد .. ويتضاعف ضغط الدم عند الاتصال الجنسي ..

ولقد وجدايضاً ان ضغط الدم يختلف بين الليل والنهار ؛ فهو في اعلىٰ قيمة له في ساعات النهار الاولىٰ ، ثم ينخفض في الليل ليصل اوطأ قيمه له بعد منتصف الليل .. وكان يعتقد ان سبب هذه الظاهرة ، هو النشاطات البدنية التي نقوم بها في النهار ، وخلودنا الىٰ الراحة في المساء .. ولكن الدراسات اثبتت خطأ هذا الاعتقاد ، فلقد وجدت تلك الظاهرة ايضاً «ارتفاع الضغط في النهار وانخفاضه في الليل» لدىٰ اولئك الذين يعملون في الليل وينامون في النهار ، كالحراس مثلاً ..

ان ضغط الدم يقرأ برقين : الاول هو الضغط الانقباضي ، اي ضغط الدم عند انقباض القلب .. اما الرقم الثاني فهو الضغط الانبساطي ، اي ضغط الدم عند انبساط القلب ..

ان ضغط الدم لدىٰ الطفل عند الولادة هو في حدود ٨٠/ ٦٠ ملمتر زئبق .. وفي فترة الشباب يصبح الضغط ١٢٠/ ٧٠ ثم يرتفع ليصبح لدىٰ متوسطي الاعمار ١٤٠/ ٨٠ ويستمر بالارتفاع مع تقدم العمر ..

ان ارتفاع ضغط الدم مع تقدير العمر ، ظاهرة معروفة في العالم المتحضر .. في حين انها تنعدم في المناطق البدائية ، كجزر الباسفيك ؛ اذ لايرتفع الضغط مع تقدم العمر .. وربما كانت العادات الغذائية والاجتماعية سبباً رئيسياً لهذه الظاهرة ؛ فافراد المناطق البدائية لو سافروا الىٰ احد البلدان الغربية المتحضرة واستقروا هناك ، فانهم يكتسبون تلك الظاهرة ، ظاهرة ارتفاع الضغط مع تقدم العمر ..

ان اختلاف ضغط الدم من وقت لآخر ، واختلافه بين الليل والنهار ، واختلافه بين شعب وآخر ، واختلافه باختلاف العمر .. كل هذه عوامل جعلت من العسير تحديد رقم معين يمثل ضغط الدم الطبيعي ..

ورغم ذلك فلقد حصل شبه اجماع علىٰ اعتبار ضغط الدم طبيعياً مالم يتجاوز ١٤٠/ ٩٠ ملمتر زئبق ..

ارتفاع ضغط الدم :

يمكن تقسيم «ارتفاع ضغط الدم» الى نوعين رئيسيين : اولي ، وثانوي ..

ان ارتفاع ضغط الدم الاولي ، يمثل ٩٠٪ منَ الحالات ، وهو مجهول السبب .. ويعتقد ان العامل الوراثي يلعب دوراً مهماً ، وان الافراط في تناول ملح الطعام ، قد

يكون من العوامل المسببه له .. ويرىٰ بعض العلماء ان التوتر العصبي قد يكون سبباً مهماً ؛ فلقد لوحظ ان ضغط الدم يرتفع عند التوتر العصبي .. وهذا الارتفاع مؤقت ، ولكن لو أستمر التوتر لفترات طويلة متصلة ، فقد يؤدي الى ارتفاع ضغط الدم بصورة مستمرة .. والتجارب التي اجريت علىٰ الفئران تؤيد ذلك .. وفي واقع الامر ، فأن كل ما قيل حول اسباب ارتفاع ضغط الدم الاولي ، هو تكهنات ونظريات لم تصل الىٰ مستوىٰ الحقيقة العلمية الثابتة ..

اما ارتفاع ضغط الدم الثانوي «وهو يمثل ١٠٪ من الحالات» فهو معروف السبب ؛ اذ ينشأ عن اسباب عديدة ، اهمها امراض الكلىٰ وامراض الغدد الصماء ، وبعض الحالات تنشأ عن تشوهات ولادية كتضيق الشريان الابهر .. وقد يرتفع ضغط الدم اثناء الحمل ، وهو ما يسمىٰ بالتسمم الحملي **Toxemia of pregnancy** وهناك اسباب اخرىٰ ..

المتسلل الماكر !!

ان اعراض اي مرض ذات فائدة كبيرة ، فهذه الاعراض - كالالم مثلاً - هي جرس انذار ينبّه الفرد الىٰ ان عطباً ما قد اصاب جسمه ، وعليه الاسراع بالعلاج ، وتلافي الامر قبل أستفحاله ..

أما «ارتفاع ضغط الدم» فهو مرض يخلو من الاعراض اي ان الفرد قد يكون مصاباً به دون ان يشعر بأيّة اعراض تدل عليه .. ومن هنا تأتي أهمية قياس ضغط الدم لكل فرد ، من أجل اكتشاف هذا المتسلل الخفي الماكر !!

وهناك اعتقاد شائع لدىٰ معظم الناس ، وهو ان الصداع من الامراض الرئيسية لارتفاع ضغط الدم .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. فهذا المرض يخلو من الاعراض .. وعندما يتقدم المرض ، ويترافق بحصول مضاعفات ، عندئذ تظهر الاعراض ، بعد ان يكون العدو قد تسلل الىٰ الاعماق !!.

ومن هذه الاعراض : الرعاف «اي نزيف الأنف» ، والدوار ، والصداع الذي يحس به المريض في المنطقة القفوية من الرأس ، صباحاً عند الأستيقاظ من النوم ..

واكرر قولي ، ان كل فرد يجب ان يقاس ضغط دمه ..

اللهم هل بلّغت !!



قياس ضغط الدم ، لابد منه لكل فرد ، حتىٰ لو لم يكن يشعر باية اعراض ..

القاتل الصامت !!

ان ارتفاع ضغط الدم ، مسؤول عن حوالي خُمس الوفيات في العالم ؛ بسبب مضاعفاته الخطيرة ..

ان الضغط المرتفع يمثل عبئاً كبيراً على بطانة الشرايين ، ويؤدي الىٰ تغيّرات مرضية فيها ، تنتهي بتصلب الشرايين ؛ واذا تصلّبت الشرايين تضيّقت ، وقلّ الدم الذي يمرّ فيها .. وتصلب الشرايين هو أصل البلاء لكثير من الامراض الفتاكة ؛ فالذبحة الصدرية ، والجلطة القلبية «احتشاء العضلة القلبية» ، والسكتة القلبية «توقّف القلب المفاجئ» ، تنشأ ـ اساساً ـ عن تصلب الشرايين التاجية .. والشرايين التاجية هي الشرايين التي تزوّد عضلة القلب بالاوكسجين والغذاء ، وتضيّق هذه الشرايين يعني حرمان القلب من الاوكسجين والغذاء ؛ وعندئذٍ تحصل المضاعفات الخطيرة التي ترهق القلب من امره عسراً !!

وبالاضافة الىٰ ذلك ، فأن ارتفاع ضغط الدم يمثّل عبئاً اضافياً على القلب ؛ اذ يجد القلب مقاومة كبيرة في الشرايين ، فيضطر الىٰ ضخ الدم بقوة اكبر .. وهذه الجهود الاضافية التي يبذلها القلب قد تؤدي الىٰ عجزه .. وماذا بعد؟! ان ارتفاع ضغط الدم قد يؤدي الى السكتة الدماغية ، وتلك طامّة كبرىٰ !!

وله مضاعفات أخرىٰ .. فلا غرابة ـ اذن ـ ان يطلق عليه اسم «القاتل الصامت» .. انه يتسلل الىٰ الجسم بخفة وحذر ، ويروح يعبث ويخرّب دون ضجة .. واذا لم يعالج ، فانه يكمل خطته الخبيثة ويقود الضحية الىٰ حيث لارجعة !!

العـــلاج :

هناك اجماع بين الاطباء حول ضرورة علاج ارتفاع ضغط الدم .. فلقد اثبتت الدراسات ان العلاج يقلّل ـ الىٰ حد كبير ـ من معدل حصول تلك المضاعفات الخطيرة ..

ورغم ذلك ، فهناك خلاف بين الاطباء حول اهمية علاج الارتفاع البسيط في ضغط الدم ، اي ذلك الضغط الذي لايتجاوز ١٦٠/ ١٠٥ ملمتر زئبق ..

وسبب هذا الخلاف ، هو ان الارتفاع البسيط في ضغط الدم يخلو من المضاعفات الخطيرة ، وقد يكون أقل خطراً من العقاقير الخافضة للضغط !!

ولهذا يميل كثير من الاطباء الىٰ استعمال الطرق الطبيعية في علاجه ؛ كالتقليل من تناول ملح الطعام ، وتجنّب التوتر العصبي «او علاجه بالمهدئات النفسية» ، وتخفيف الوزن اذا كان المريض سميناً ..

واذا ترافق ارتفاع ضغط الدم مع امراض اخرى ؛ كالذبحة الصدرية ، او الجلطة القلبية ، او عجز القلب ، او غير ذلك من الامراض التي تجعل ارتفاع ضغط الدم ـ مهما كان ضئيلاً ـ خطراً على الصحة .. فعندئذ لامفر من العلاج بأستعمال العقاقير الخافضة للضغط ..

وتستعمل هذه العقاقير ايضاً اذا تجاوز ضغط الدم ١٦٠/ ١٠٥ ملمتر زئبق ..

واشهر هذه العقاقير هي المبيلات Diuretics وهي عقاقير تزيد من طرح الماء والصوديوم مع البول ، فينخفض الضغط .. ومن العقاقير الاخرىٰ هي تلك التي تسمىٰ «سادّات بيتا» Beta Blocker وهي عقاقير تبطيْ نبض القلب .. واذا تباطأ النبض ، انخفض الضغط ..

وهناك عدد كبير من العقاقير الخافضة للضغط ، لانريد الدخول في تفاصيلها ، فذلك مما يهم الاطباء دون غيرهم ..

المتنبي
وزائرة الليل

ابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي ، الذي عاش في النصف الاول من القرن الرابع الهجري «ولد بالكوفة عام ٣٠٣ هـ وتوفي عام ٣٥٤ هـ » ؛ شاعر عربي كبير ، وهو أشهر من ان يعرّف ، فلقد تناقلت الالسن قصائده العصماء ، تلك القصائد البليغة المفعمة بالحكمة وعمق التصور ، بل ان بعض ابيات قصائده جرت مجرىٰ الامثال ..

ولقد تحدّث شاعرنا الكبير عن زائرة غريبة الاطوار ؛ فهي لا تزوره الا في الليل عندما يهجع الناس وتسكن الدنيا ، وكأنها تستحي من رؤية الناس لها لو زارته في وضح النهار ! !

وعندما قام المتنبي بتهيئة غرفته ، وفرش الوسائد فيها ، استقبالاً لتلك الزائرة ؛ لم تجلس ، وتركت تلك الوسائد الوثيرة ، واختارت ان تبيت في عظامه ! !

وبسبب عدم استطاعة جسد المتنبي استيعابها ، فانها راحت توسعه بالمرض .. وتبقىٰ في عظامه حتىٰ الصباح ، لتعود اليه مرة ثانية عندما يتدثر الكون بالسواد ، ويملأ ظلامه الأرجاء .. وهكذا يظل صاحبنا الشاعر يترقب مجيئها رغم انه يضيق بها ولا يود رؤيتها .. وهي مواظبة علىٰ زياراتها المسائية لا تحيد عنها ..

ولم تكن هذه الزائرة فتاة حسناء يطيب اللقاء بها .. او صديقة لطيفة المعشر .. انما هي الحمّىٰ ! !

والآن ، ندعُ شاعرنا الكبير يحدّثنا عن «الحمىٰ» التي انهكته ، وارهقته ايّما ارهاق .. ولكنها لم تنل من عزيمته وصبره :

وزائرتي كأن بها حياءً
فليس تزور الا في الظلامِ
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها
فتوسعه بانواع السقامِ

كأن الصبح يطردها فتجري

مدامعها باربعةٍ سجامِ

اراقب وقتها من غير شوقٍ

مراقبة المشوق المستهامِ

ويصدُق وعدُها والصدق شرٌّ

اذا القاكَ في الكُرب العظامِ

فأن آمرض فما مرض اصطباري

وان أحمم فما حُمّ اعتزامي

وإن اسلم فما ابقىٰ ولكن

سلمتُ من الحِمام الىٰ الحِمامِ

واريد ان أحدثك عن الحمّىٰ : اسبابها .. انواعها .. ثم علاجها .. وقبل ذلك لابد من الحديث عن حرارة الجسم الطبيعية ..

حرارة الجسم :

ان حرارة جسم الانسان هي في حدود (٣٧) درجة مئوية .. ولقد وجد ان بعض الافراد الاصحاء ، تكون درجة حرارتهم اعلىٰ بقليل من ذلك المقدار .. في حين تكون درجة حرارة اشخاص آخرين ، اقل منه .. وعلىٰ هذا ؛ فان درجة حرارة الجسم ليست مقداراً ثابتاً ، انما هي تتراوح بين ٣٥ر٨ - ٣٧ر٢ درجة مئوية ..

ولقد لوحظ ان حرارة الجسم تكون في أوطأ قيمة لها عند الأستيقاظ من النوم صباحاً «حوالي ٣٦ درجة مئوية» ثم تأخذ بالارتفاع لتصل اعلىٰ قيمة لها «٣٧ر٢ او اكثر قليلاً» ما بين السادسة والعاشرة مساءً . ثم تبدأ بالهبوط ..

وكان يعتقد ان سبب هذه الظاهرة هو النشاطات البدنية التي نقوم بها - عادة - في النهار .. ولكنها وجدت ايضاً لدىٰ اولئك الذين يعملون ليلاً وينامون نهاراً ؛ اذ حتىٰ هؤلاء ، تنخفض حرارتهم بعد العاشرة مساءً وهم منهمكون في اعمالهم . وترتفع في النهار وهم يغطون في سبات عميق ! !

وعندما يصاب المرء بالحمىٰ . فان حرارته تتبع ذلك النظام ايضاً ؛ اذ تكون الحمىٰ علىٰ اشدها مابين السادسة والعاشرة مساءً .. وتخف صباحاً ..

ان الجسم البشري لابد ان يحافظ علىٰ درجة حرارته وهو يجتاز الصحارىٰ القاحلات التي تشتد حرارة الشمس فيها حد الاشتعال ! ! ولابد ان يحافظ عليها وهو يعيش في قمم الجبال المكللة بالثلوج .. ولو لم يستطع الجسم تنظيم حرارته ، لمات من برد الشتاء قبل ان يحل الربيع .. او مات من حر الصيف قبل ان يأتي الخريف ! !

ترىٰ كيف يستطيع الجسم ان يحافظ علىٰ درجة حرارة شبه ثابته ؟! انه يستطيع ذلك عن طريق الموازنة بين انتاج الحرارة وفقدانها ..

ان عمليات التمثيل الغذائي داخل الخلايا الحية ، اي حرق الغذاء ، تترافق مع تحرير طاقة حرارية .. وان عضلات الجسم هي اهم اعضاء الجسم في هذا المجال ، اي انها اهم مصدر من مصادر توليد الحرارة في الجسم ؛ فهذه العضلات يزداد توترها او يقل حسب حاجة الجسم الىٰ الحرارة ، ودون ان نشعر بذلك .. وفي الحالات الطارئة ؛ عندما يكون الطقس شديد البرودة ، نلاحظ العضلات ترتجف بصورة محسوسة ، فتصطك الاسنان ويرتعش الجسم ، وذلك من أجل توليد كمية اكبر من الحرارة ..

ومقابل ذلك ، يمتلك الجسم البشري طرقاً عديدة للتخلص من الحرارة ؛ فيفقد الجسم بعض حرارته عن طريق الحمل ..والاشعاع .. والتعرق .. وكلنا قد لاحظنا كيف يتعرق الجسم بغزارة في الطقس الحار .. فالعرق يأخذ بعض حرارة الجسم فيتبخر ، فيتخلص الجسم من الحرارة الزائدة ..

ان عملية الموازنة بين انتاج الحرارة «وتصديرها» تتم تحت أشراف جزء من الدماغ يسمىٰ «تحت المهاد» **Hypothalamus** ، فهذا الجزء هو المهندس المشرف علىٰ العملية بأكملها ؛ فعندما تأتيه المعلومات بأن حرارة الجسم انخفضت ، يرسل اوامره الىٰ إجزاء الجسم المختلفة «وخاصة العضلات» لانتاج المزيد من الحرارة .. وعندما يعلم ان حرارة الجسم قد ارتفعت ، يصدر اوامره الفورية بالتخلص من الحرارة الزائدة ..

ولقد اثبتت التجارب علىٰ الحيوانات المختبرية ، ان استئصال «تحت المهاد» يجعل حرارة الجسم ترتفع وتنخفض تبعاً لحرارة المحيط .. وفي ذلك خطر علىٰ الحياة .. بل خطر كبير ! !

الحمّىٰ :

تنتج الحمىٰ عن اضطراب ذلك التوازن الدقيق بين انتاج الحرارة في الجسم وفقدانها .. وينشأ هذا الاضطراب ـ في معظم الاحوال ـ عن غزو خارجي يقتحم اسوار الجسم ! ! والغزاة هم ـ عادةً ـ البكتريا او الفيروسات او الطفيليات او

الفطريات .. وقد يكون الغزاة بهيئة مواد كيميائية ، ومثال ذلك هو بعض العقاقير والهرمونات ..

ويعتقد ان هذه الكائنات او الاجسام الغريبة تؤدي الىٰ تحرير مواد رافعة للحرارة « Endogenous Pyrogens » وهذه المواد تؤثر علىٰ منطقة «تحت المهاد» المسؤلة عن تنظيم حرارة الجسم .. ونتيجة ذلك هي ارتفاع درجة حرارة الجسم ..

ان الحمّىٰ تسرّع عمليات حرق الغذاء داخل الخلايا ، فيسبب ذلك تناقص وزن الجسم .. وتؤدي ايضاً الىٰ زيادة سرعة النبض ، وفقدان كميات كبيرة من سوائل الجسم عن طريق التعرّق .. ومع الحمىٰ ، يشعر المرء بالتعب والنحول والرغبة في النوم ..

ان هذه التأثيرات ليست ذات خطر كبير علىٰ وظائف الجسم ، مالم تبلغ الحمىٰ درجات عالية .. فلو تجاوزت درجة الحرارة (٤١) درجة مئوية ، فانها تؤدي الىٰ نوبات شبيهة بنوبات الصرع .. ولو تجاوزت (٤٢) درجة مئوية ، وهذه حالات نادرة ، فانها تؤدي الىٰ اضرار دائمية في الدماغ ..

انواع الحمّىٰ :

الحمىٰ انواع متعددة ؛ فهناك «الحمىٰ المستمرة» Sustained Fever وهي - كما يبدو من اسمها - ارتفاع مستمر في درجة حرارة الجسم ؛ ومن امثلتها «حمّىٰ التيفوئيد» ..

وهناك «الحمىٰ المتقطعة» Intermittent Fever اذ ترتفع درجة الحرارة ، ثم تنخفض - في نفس اليوم - لتصل المستوىٰ الطبيعي ، ثم تأخذ بالارتفاع مرة أخرىٰ ؛ ومن امثلتاه الحمىٰ التي تصاحب «الخرّاج» Abcess ، وبعض حالات التدرن T.b

وهناك «الحمّىٰ المهاودة» Remittent Fever ، اذ ترتفع درجة الحرارة ، ثم تنخفض - في نفس اليوم - دون ان تصل المستوىٰ الطبيعي ، ثم ترتفع مرة اخرىٰ ؛ وفي واقع الامر فان الحمىٰ المهاودة هي اكثر انواع الحمىٰ شيوعاً . فكثيراً ما نرىٰ حرارة المريض تنخفض في الصباح ويشعر المصاب ببعض التحسن ، ثم تشتد الحمىٰ في المساء ..

وهناك «الحمّىٰ الناكسة» Relapsing Fever ، اذ يصاب المريض بنوبة من الحمىٰ .. وبعد انتهاء هذه النوبة تعود حرارة المريض الىٰ المستوىٰ الطبيعي ، ويعاود نشاطه ، ولكنه ينتكس عندما تأتيه نوبة الحمىٰ مرة اخرىٰ . بعد

يوم واحد او اكثر..

ومن امثلة ذلك، هي الحمىٰ التي تصاحب مرض الملاريا؛ المرض الذي يسببه نوع من الطفيليات التي ينقلها البعوض الىٰ الانسان..

ومن المحتمل ان تكون الحمىٰ التي كانت تزور المتنبي كل مساء، ناشئة عن اصابته بالملاريا.. وهذا مجرد احتمال.. وكيف يمكننا التأكد من ذلك وبيننا وبينه صخور وجندل؟! وحتىٰ لو انيح لنا معه لقاء (!!) وسألناه عن مرضه، فقد يمتنع عن مناقشة هذا الموضوع العديم الاهمية بالنسبة له.. فتلك الحمىٰ هي بعض من الوحول التي لا يكترث بها المتنبي وقد خاض المنايا.. او كما قال:

إذا اعتاد الفتىٰ خوض المنايا
فأهون ما يمر به الوحول!

علاج الحمّىٰ:

ان الحمىٰ ليست مرضاً بحد ذاتها انما هي عرض لمرض.. ولذلك فلابد - اولاً - من تشخيص المرض الذي سبب هذه الحمىٰ.. والتشخيص يعتمد على الاعراض الاخرىٰ المرافقة للحمىٰ، وعلىٰ اجراء التحرّيات المختبرية.. ولااريد الدخول في تفاصيل الامراض التي تسبب الحمىٰ، فذلك - لوحده - يحتاج الىٰ كتاب اضخم من كتابي هذا!! انما اريد القول ان المهم هو علاج المرض الذي سبب الحمىٰ..

اما علاج الحمىٰ، اي تخفيض درجة حرارة الجسم، فمسألة ثانوية.. بل ان الحمىٰ - ذاتها - تعتبر احدىٰ وسائل الجسم الدفاعية، فهي قد تساعد في القضاء علىٰ المكروبات المسببة لها!!

ورغم ذلك، يفضل الاطباء تخفيض درجة الحرارة؛ وذلك لان الارتفاع المستمر في درجة الحرارة، يؤدي الىٰ التعب والنحول وفقدان السوائل الجسمية.. وهي تؤدي - ايضاً - الىٰ تناقص وزن الجسم نتيجة لتسريع عمليات حرق الغذاء داخل خلايا الجسم..

ومن اشهر العقاقير الخافضة للحرارة هو الاسبرين والباراسيتول.. وعلىٰ من يستعمل الاسبرين ان يعلم انه مهيّج للمعدة، ولهذا يفضل تناوله بعد الطعام.. اما الباراسيتول فلا تأثير له علىٰ المعدة، ويمكن استعماله قبل الطعام او بعده..

والنوفالجين هو من العقاقير الخافضة للحرارة ايضاً، ولكن يفضل عدم استعماله لهذا الغرض؛ لانه يؤدي - في بعض الاحيان - الىٰ نقص خطير في كريات الدم البيض، وقد يقضي ذلك علىٰ المريض!!



الحمّىٰ لها اسباب عديدة ، اكثرها شيوعاً التهابات المسالك التنفسية .

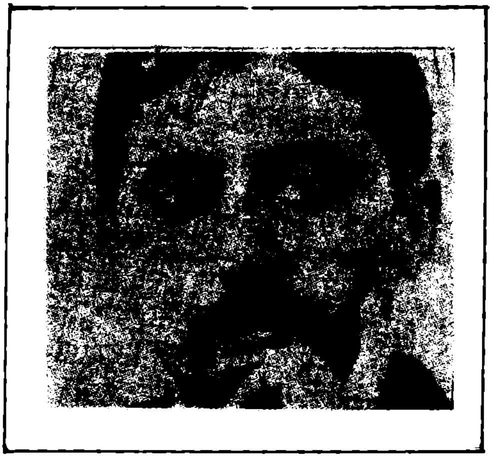
ان الكمادات الباردة من الوسائل المفيدة في تخفيض درجة الحرارة ..

ومن المهم جداً ان يتناول المريض كميات كافية من السوائل والملح لتعويض النقص الحاصل فيهما نتيجة للتعرّق ..

لقد مرض المتنبي ، ولكن صبره لم يتسلل اليه المرض .. وارتفعت حرارته ، ولكن عزيمته لم تصب بالحمىٰ ، وبقيتْ صلبة قوية امام تلك الزائرة .. زائرة الليل المقيتة :

فــأن امــرض فما مــرض اصــطــبــاري

وان اجــمــم فما حــمّ اعــتــزامي ! !



مارسيل بروست

مارسيل بروست
والربو القصبي

لقد منع الطهو في بيته ، لان رائحة الطعام تزعجه ، وكان أشعال عود الثقاب محرماً قربه لانه لم يكن يطيق دخانه المؤذي .. بل انه حرّم علىٰ احد اصدقائه زيارته ، واختلق شتىٰ الاعذار لعدم استقباله ؛ وكان السبب الحقيقي يكمن في العطر الذي يضعه ذلك الصديق علىٰ شعره ، والذي كان يؤذيه .. ذلك هو الكاتب الفرنسي الشهير «مارسيل بروست» الذي كان مصاباً بالربو القصبي Bronchial Asthma

ولد «مارسيل بروست» في باريس عام ١٨٧١ ، وكان ابوه طبيباً ذائع الصيت .. وكانت طفولته هنيئة ، محفوفة بالرعاية ، ولم يعكرها سوىٰ اصابته بالربو ، الذي بدأ معه منذ التاسعة من عمره ، ولازمه طوال حياته ..

ولقد أبدىٰ بروست» ـ في سن مبكرة ـ نضجاً ظاهراً في الانشاء والكتابة ، وكان كتاب «الف ليلة وليلة» من اهم الكتب التي اثرت في أدبه وخياله ..

وكان «بروست» ذا حساسية مفرطة ؛ وكانت الكلمة العابرة تؤذيه وتؤرقه ، إن استشف منها نقداً او جفاءً .. وفوق ذلك ، كان يخشىٰ ان يجلب ـ دون قصد منه ـ الاذىٰ الىٰ أي انسان .. وكان يفتتن بالجمال الىٰ حد العبادة ؛ فقد يمضي وقتاً طويلاً ، خاشعاً ، ساهم النظر ، ليتأمل زهرة متفتحة ، اونهراً منسرب الموج .. وكان يستغرق في التأمل حتىٰ يذهل عن نفسه ، وكانه يتجاذب اطراف الحديث معه بلغة صامته خفية ! !

وكانت وفاة أبيه عام ١٩٠٣ ثم وفاة أمه عام ١٩٠٥ صدمة قاسية له ، ولقد كتب الىٰ احد اصدقائه :

«لقد اضاعت حياتي ـ منذ الآن ـ هدفها وعذوبتها وحبها الاوحد» ..

واشتدت نوبات الربو ، وجثمت على صدره الهموم الثقال ، فانعزل في حجرته المغلقة لا يكاد يغادرها الا لماماً .. فاذا تدثر الكون بالسواد ، وشاع السكون ، عمد الى اوراقه وقلمه يبحث عن ماضيه الجميل الذي ضاع منه ولن يعود .. ماضيه العذب الذي صوّره لنا اروع تصوير في روايته المعجزة «بحثاً عن الزمن الضائع» ..

ولقد كانت هذه الرواية خلاصة لتجربته في الحياة ، وصدىً لشعوره المرهف ، وثقافته الواسعة ، ومرضه المزمن الذي نغّص عليه حياته ..

ورغم مئات الشخصيات التي رسمها «بروست» في روايته ، فأن البطل الرئيسي فيها هو الزمن ، الزمن الجامح العنيد تارةً ، والذي ينقاد للانسان ويستسلم تارةً اخرى .. حتى ليبدو الزمن - في هذه الرواية - كائناً خرافياً عجيباً متقلب الاطوار ! !

ولكن «بروست» اخفق في العثور على ناشر للجزء الاول من روايته ، وسخر منه احد الناشرين قائلاً : «ليس باستطاعتي أن افهم كيف يستطيع انسان ان يكتب ثلاثين صفحة ، يصف فيها كيف يتقلب على السرير ، من جنب الى جنب ، قبل ان يستغرق في النوم ! !» ..

ورغم ذلك ، فلقد نشر «بروست» الجزء الأول من روايته ، لينال من الاعجاب شيئاً عظيماً .. وكان ذلك عام ١٩١٩ اي قبل وفاته بثلاث سنوات ..

ولعل اعجب واعظم ماقام به «بروست» هو أنه ارجأ مشهد موت احد ابطال روايته ، الى وقت يشتد عليه مرضه «الربو» ، ليستطيع ان يصف مشهد الاحتضار بدقة وامانة ! !

وبالفعل ، نقل «بروست» مشهد موته هو على الورق ، ففي ايلول من عام ١٩٢٢ اصيب «بروست» بنوبة شديدة من الربو ، وعند ئذ راح يملي على سكرتيرته «سيليست ، ان الموت يلاحقني ، وليس لديّ وقت ، لانهي كل شيئ» ..

ولقد انصرف طبيبه مغضباً من هذا المشهد ، مشهد رجل يحتضر ، وهو منهمك في تنقيح روايته ، ووصف موت احد ابطالها ! !

واوصى «بروست» - وهو في غمرات الموت - ان تطبع روايته طبعة انيقة جديدة ..

ثم راح يهذي : سيليست ، ارى شبح امرأة ضخمة ترود حولي ! !

ثم انطفأ «بروست» وهمد الى الابد ! !

الربو القصبي :

هل رأيت مريضاً اثناء نوبة حادة من نوبات الربو؟

هل رايت كيف يصبح الحصول على نسمة الهواء ، امراً عسيرالمنال ، وكأنّ المريض يتنفس من ثقب ابرة ؟!

ترىٰ ، ماالذي يحدث في هذا المرض ، الذي نغّص حياة الروائي الكبير «مارسيل بروست» ، وينغص حياة ملايين المصابين في العالم ؟؟

الذي يحدث هو نوبات من التضيّق تصيب القصبات الهوائية وفروعها .. ومصدر هذا التضيق ، هو تشنج spasm في العضلات الملساء التي تطوّق القصبات الهوائية ؛ ويمكن تشبيهها بيد طفل تقبض علىٰ رقبة طير . فلو احكم الطفل قبضته ، اختنق الطير ، وصدرت عنه حشرجات مكتومة ! !

وبالاضافة الىٰ ذلك ، تلتهب بطانة القصبات الهوائية ، وتزداد فيها المواد المخاطية الشديدة اللزوجة ؛ وهذا يزيد من شدة التضيّق في القصبات ، والضيق في النَفَس ! !

ان الهواء - وهو يدخل هذه القصبات المتضيقة - يصدر أزيزاً wheeze ، وكأن هذه القصبات قد تحولت الىٰ مزمار يطلق انغامه الشجية ! !

واذا كان «مارسيل بروست» قد حرّم اشعال عود الثقاب في غرفته ، ومنع طهو الطعام ، لان الدخان يهيج نوبة الربو لديه ؛ فان المصابين يعلمون ان هناك اشياء اخرىٰ كثيرة قد تكون محفزاً لحصول نوبة الربو .. وباختلاف هذه الاشياء ؛ فلقد قسم المرض الىٰ نوعين رئيسيين : الربو الخارجي ، والربو الداخلي ..

اما الربو الخارجي ؛ فهو الذي تحصل نوباته عندما يتعرض المريض الىٰ عوامل خارجية معينة : كالطلع ، والعفن ، والغبار ، وروائح بعض الحيوانات .. وربما بعض المواد الغذائية كالحنطة ، والشعير ، والذرة ، والرز ، والبيض ، والحليب ، والجبن .. وهذا النوع من الربو يمثل ٢٠٪ من الحالات ..

اما الربو الداخلي ، والذي يمثل الاغلبية من الحالات ؛ فتبدأ نوباته ، ليس بمحفزات خارجية ، وانما بتأثير عوامل داخلية ، كالتوتر العصبي والالتهابات .. وان هؤلاء المصابين يعلمون جيداً كيف تشتد نوبات الربو لديهم ، عند المواقف النفسية المزعجة وعند اصابتهم بالتهابات الجهاز التنفسي كالانفلونزا مثلاً ..

ولدىٰ بعض المرضىٰ ، يكون لكلٍ من العوامل الخارجية والداخلية دور مهم في حصول النوبة ..

الاعراض .. والتشخيص :

يختلف المرضىٰ فيما بينهم اختلافاً شاسعاً في شدة نوبة الربو ومدىٰ تكرارها .. فبعضهم لايحسون الا بنوبات خفيفة في فترات متباعدة .. في حين ان البعض الآخر ، يشكون من السعال والازيز «صوت الهواء وهو يمر في القصبات الهوائية المتضيقة» طوال الوقت ، وكثيراً ما تحصل لديهم نوبات شديدة من عسر التنفس ، عند التعرض لعوامل خارجية كالغبار ، او عند اصابتهم بالتهاب في جهاز التنفس كالانفلونزا ..

ان نوبة الربو ، تبدأ ـ عادةً ـ بصورة حادة ؛ فيشعر المصاب بعسر شديد في التنفس .. ونستطيع ان نرىٰ المريض وهو يبذل جهوداً مضنية من أجل الحصول علىٰ نسمة الهواء ؛ فيستعمل ـ بالاضافة الىٰ عضلات الصدر ـ عضلات الرقبة والبطن .. ويترافق التنفس بصوت مسموع يسمىٰ بالازيز ؛ فالهواء عندما يجتاز انبوبة متضيقة ، يصدر صوتاً موسيقياً ، وتلك هي الفكرة وراء العديد من الالات الموسيقية .. ويحصل أمر مشابه في القصبات الهوائية لدىٰ مرضىٰ الربو ! !

وفي بداية النوبة يكون السعال جافاً .. وبعد ان توشك علىٰ الانتهاء ، بعد عدة ساعات وربما عدة ايام ، يترافق السعال مع طرح كميات كبيرة من القشع .. وذلك من العوامل المهمة في انهاء نوبة الربو ؛ لان زوال القشع معناه زوال التضيق ـ او بعضه ـ من القصبات الهوائية ..

وفي نوبات الربو الشديدة ، يتعذر علىٰ المريض ان يتكلم عدة كلمات دون أخذ نَفَس ، وذلك بسبب العسر الشديد في التنفس .. وقد يصاب المريض بالزراق Cyanosis ، فلو نظرت الىٰ لسانه وشفتيه لوجدتها زرقاء .. وسبب هذا الازرقاق هو ازدياد مستوىٰ ثاني اوكسيد الكاربون في الدم ..

ويكون معدل النبض سريعاً اثناء نوبة الربو .. وعند الفحص بالسماعة تكون اصوات الصدر كجوقة موسيقية تعزف دونما انقطاع ! !

وبالاضافة الىٰ تلك الاعراض ، والعلامات السريرية ، يقوم الطبيب ـ من اجل التشخيص ـ باجراء تحرّيات مختبرية ، ومنها فحص القشع sputum الذي يكون ابيض لزجاً مطاطياً ، وقد يكون أصفر اللون اذا كان هناك التهاب بكتيري في جهاز التنفس ..

ولو فحص القشع تحت المجهر ، لوجد محتوياً علىٰ خلايا دم بيضاء من النوع الحامضي Eosinophils ..

ويقوم الطبيب ايضاً بأجراء التصاوير الشعاعية للصدر ؛ وقياس مستوىٰ الاوكسجين وثاني أوكسيد الكاربون في الدم .. وتجرىٰ ايضاً فحوصات وظائف الرئة ..

وقد يتم اجراء فحص خاص لتحديد العوامل الخارجية المهيّجة لنوبات الربو ؛ اذ تحقن في جلد المصاب مواد مختلفة «كمستحضرات الطلع وغير ذلك من المواد التي تهيّج نوبات الربو لدىٰ بعض المرضىٰ» .. واعتماداً علىٰ شدة تفاعل الجلد مع هذه المستحضرات ، يتم تحديد المادة «او المواد» المهيّجة ..

ورغم تعدد الفحوصات المختبرية التي يمكن اجراءها ؛ فان الطبيب يعتمد اساساً ـ

في تشخيص المرض - علىٰ الاعراض .. وعلىٰ العلامات التي يجدها عند اجراء الفحص السريري ، كأزيز الصدر الذي يسمع بالسماعة ، وربما بدون سماعة .. وسرعة النبض . وغير ذلك ..

العلاج :

ان خير علاج لنوبات الربو الحادة ، هو العقاقير الموسّعة للقصبات الهوائية .. واشهر هذه العقاقير هو «الادرنالين» Adrenaline ويعطىٰ بتركيز واحد بالالف وبجرعة ١ر٠ مللتر للاطفال ، وجرعة ٣ر٠ - ٥ر٠ مللتر للكبار .. وذلك تحت الجلد .. ويمكن اعادة نفس الجرعة بعد نصف ساعة اذا لم يتحسّن المريض ..

واذا لم يشعر المصاب بالتحسن بعد جرعتين من عقار «الادرنالين» ، فيمكن اعطاءه مادة فعّالة اخرىٰ هي «الامينوفلين» Aminophylline بالوريد .. ان هذا العقار يجب ان يحقن بالوريد ببطئ شديد «خلال ربع ساعة» والاّ فقد يؤدي الىٰ اضطراب خطير في نبض القلب ! !

ورغم ان المريض - اثناء النوبة - يشعر بالخوف ، ويبدو عليه الهلع والاضطراب ، فلا يجوز اعطاءه المهدئات النفسية «كالفاليوم مثلاً» ؛ لانها ذات آثار سيئة علىٰ عملية التنفس في هذه الحالات ..

وفي نوبات الربو الشديدة ، يفضل اعطاء المريض - بالاضافة الىٰ الامينوفلين - عقار الكورتيزون ..

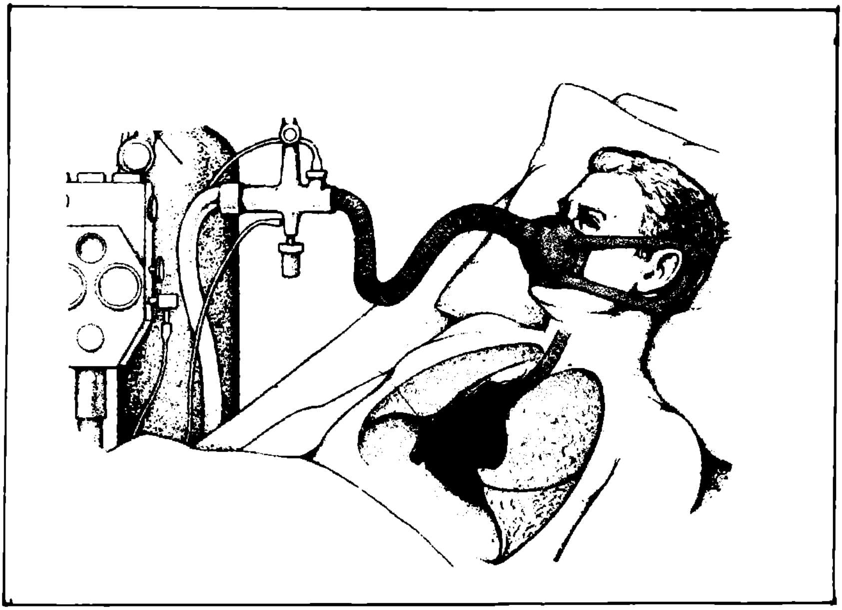
وفي نوبات الربو العنيدة Status Asthmaticus ؛ اي تلك التي تستمر لأكثر من (١٢) ساعة ، فان من المهم اعطاء المريض السوائل ، للتعويض عن السوائل التي فقدها نتيجة للحمّىٰ وسرعة التنفس وقلة تناوله للسوائل ..

واذا كانت نوبة الربو قد بدأت اثر التهاب بكتيري «كالتهاب القصبات مثلاً» ، فيعطىٰ المريض - بالاضافة الىٰ العقاقير الموسعة للقصبات الهوائية - المضادات الحيوية «كالامبسلين» ..

وماذا بعد ان يتم علاج النوبة الحادة ؟ ماذا بعد ان يهدأ المريض ، وتزول عنه الاعراض ؟..

يفضل اعطاءه العقاقير التي تقلل من احتمال حصول نوبات اخرىٰ ، ومن هذه العقاير «الانتال» Intal ، وهو مفيد - بشكل خاص - في الاطفال ، وفي حالات الربو الخارجي «اي الذي يتهيج بمحفزات خارجية» ، وفي حالات الربو التي تشتد عند المجهودات العضلية ..

ويمكن لمريض الربو ان يتناول العقاقير الموسعة للقصبات الهوائية - كالفنتولين



الاوكسجين من الوسائل المهمة في علاج نوبة الربو الحادة ..

مثلاً ـ حال احساسه بان نوبة الربو علىٰ وشك الهجوم ! !

ومن المألوف لدىٰ المرضىٰ استعمال «منشقة الفنثولين» Ventoline Inhaler ، فترىٰ المريض يستنشق هذا العقار ، فيفرج كربه ويزيل مابصدره من ضيق ..

وبالنسبة لمرضىٰ الربو الخارجي ، فان من المهم ان يتجنبوا تلك المواد التي تحفز نوبة الربو لديهم ، واذا تم تحديد تلك المواد ، بواسطة فحوص الحساسية ، فيمكن اجراء مايسمىٰ (بنقص التحسس) Hyposensitization ؛ وذلك بحقن هذه المواد ، تحت الجلد ، بجرعات متزايدة ، والغرض من ذلك هو جعل الجسم يتكيّف مع هذه المواد ، فلا تسبب له نوبة عندما يتعرض لها ..

لورنس
والسل الرئوي

كانوا يسمّونه «كاتب الفضائح» .. واطلق عليه آخرون لقب «الساخر الملتحي» .. وفي عام ١٩١٥ حوكمت روايته «قوس قزح» امام القضاء الانكليزي ؛ فحكم عليها بالمصادرة بسبب سوء الاخلاق ! !

والغريب ان القضاء الانكليزي ، لم يجد في هذه الرواية اي كلمة نابية ، ولكنه وجد مجموعة افكار وافعال فاضحة ! !

اما روايته «عشيق الليدي شاترلي» فقد صودرت ايضاً ووضعت في قائمة الممنوعات ..

ورغم ذلك ، لم يستطع احد ان يسدل الستائر علىٰ اسطورة الكاتب الملعون .. لورنس ..

ولد «ديفيد هربرت لورنس» عام ١٨٨٥ وعمل - في مطلع شبابه - مدرّساً .. ونشر اولىٰ رواياته «الطاووس الابيض» عام ١٩١١ ، وفي عام ١٩١٢ التقىٰ بالمرأة التي اصبحت زوجته فيما بعد .. وكان لورنس شديد التأثر والاعجاب بشخصيتين ؛ «فريدا» زوجته ، و «فرويد» عالم النفس الكبير ! !

ولقد ضاق «لورنس» ذرعاً بالمجتمع الانكليزي ؛ فرحل بصحبة زوجته ليبدأ حياة التشرد في بقاع العالم المختلفة .. وكان يقول عن المجتمع الانكليزي : انه عالم يسير في طريق الفناء ، ولا يمكن للجرح - ويعني به التصنيع - الا التعجيل باحتضاره ..

لقد مضىٰ لورنس يبحث عن الحقيقة ، وينشد الراحة ، في اماكن اخرىٰ ؛ المانيا ، ثم ايطاليا ، ثم سيلان واستراليا .. والمكسيك ، واماكن اخرىٰ ..

وفي السنوات الخمس الاخيرة من حياته ، وقع لورنس فريسة لمرض السل الذي انهكه وارهقه ايمّا ارهاق .. واستطاع هذا المرض - في نهاية الامر - ان يفتح الابواب امام ملك الموت .. ومات لورنس عام ١٩٣٠ ..

مشاهير السل :

الروائية الكبيرة «شارلوت برونتي» اصيبت بمرض السل الذي قضىٰ عليها في نهاية الامر ..

اما «جون كيتس» فهو شاعر انكليزي معروف لدىٰ المهتمين بالشعر الانجليزي ..

وكان هذا الشاعر طبيباً ايضاً .. ورغم ذلك لم تستطع اشعاره الرقيقة ولا ثقافته الطبية ، ان تمنع اخطبوط السل من الالتفاف حول رقبته .. فمات عام ١٨٢١ وهو في شرخ الشباب ، عن عمر خمسة وعشرين عاماً ..

ومن المشاهير الآخرين الذين وقعوا فريسة لمرض السل ، هو الروائي الروسي الكبير «مكسيم جوركي» الذي ذهب الىٰ «القرم» طلباً للشفاء .. ثم مات عام ١٩٣٦ ولكن الغموض احاط بظروف موته ؛ هل مات مسلولاً .. ام مسموماً ؟! ذلك كان موضوع محاكمة روسية كبرىٰ لانريد الدخول في تفاصيلها ..

صراع الانسان مع السل :

مرض السل قديم قدم الانسانية .. وكان معروفاً لدىٰ قدماء المصريين؛ فلقد اثبتت التحرّيات الاثرية وجود آثار هذا المرض في بعض المومياءات المصرية ..

وتحدّث «ابو قراط» عن انتقال هذا المرض من الشخص المصاب الىٰ الشخص السليم .. وكتب عنه «ابن سينا» في كتابه «قانون الطب» ، وكتب عنه «الرازي» في كتابه «الحاوي في الطب» ..

وفي العصور الوسطىٰ ؛ كان الاعتقاد السائد هو ان السل مرض وراثي ..

وظلت طبيعة هذا المرض مجهولة حتىٰ عام (١٨٨٢) عندما استطاع العالم الجليل «روبرت كوخ» ان يكتشف البكتريا المسببة للمرض ؛ وهي ـ لو نظرت اليها بالمجهر ـ علىٰ شكل عُصيّات «مفردها عُصيّة ؛ تصغير لكلمة عصا» ؛ ولهذا سُمّيت بعصيات كوخ ، او عصيات التدرن Tubercle Bacilli وتختصر بالحرفين T . B

وباكتشاف تلك البكتريا ، برزت اسئلة كبرىٰ ؛ هل يستطيع الانسان ان يمنع تسلل هذه المكروبات الىٰ جسمه مع الهواء او الغذاء ؟ وهل يستطيع ان يكسب جسمه مناعة تقضي علىٰ تلك المكروبات لو تسللت اليه ؟ وهل من علاج ؟

في عام ١٩٢٠ قام العالمان الفرنسيان «كالمت ، وغورين» Calmette & Guerin بعمل فريد ؛ فلقد أخذا مجاميع من عصيات التدرن ، وقاما باضعافها وانهاكها ، وذلك بجعلها تنمو في وسط خاص بسلالات متعاقبة .. ولقد وجدا ان السلالات «او الاجيال» الاخيرة من تلك البكتريا ، لاتسبب المرض في القرود او الارانب او الخنازير الغينية .. واستعملت هذه البكتريا كلقاح ضد التدرن « » وذلك عام ١٩٢٢ ؛ والفكرة وراء هذا اللقاح ، هي ان اعطاء هذه البكتريا المنهكة الضعيفة للانسان ، لا يسبب له المرض ، وانما يحفّز جهاز المناعة لمقاومتها .. ويستطيع الجسم بعد ذلك ان يقاوم حتىٰ سلالات البكتريا القوية ..

ولكن العالم «بتروف» Petroff اثار الشكوك حول مدىٰ نقاء هذا اللقاح ، وكان ذلك عام ١٩٢٧ . وقال بأنه أكتشف سلالات قوية من عصيات التدرن ضمن اللقاح ، وان هذه السلالات قد تسبب المرض للانسان ..

وفي عام ١٩٣٠ حدثت الكارثة التي حذّر منها «بتروف» ؛ فعندما تم تلقيح (٢٤٩) طفلاً . اصيب (٧٣)منهم بتدرن شديد ادىٰ الىٰ وفاتهم في غضون عدة أشهر ! !

اذن . لقد أتي الحذِر من مأمنه ! ! فتوقفت كثيرمن البلدان عن استعمال هذا اللقاح ؛ لقاح البي . سي . جي (B. C. G) ..

ولكن ، لكل جواد كبوة .. يقوم بعدها .. فبعد الحرب الكونية الثانية ، اكّدت منظمة الصحة العالمية علىٰ اهمية استعمال اللقاح ، بعد التأكد من عدم احتوائه علىٰ سلالات قوية من عصيّات التدرن ..

اذرع الاخطبوط :

كان مرض السل كأخطبوط ينشر اذرعه الرهيبة فوق العالم ، متشبثاً بفرائسه بصورة مقيتة تكاد تكتم الانفاس ! !

وفي مطلع هذا القرن ، كان معظم الناس يحملون هذا المرض في اجسامهم .. بعضهم يحملونه بصورته الفعّالة ؛ فتظهر عليهم الاعراض وما يتبعها من عقابيل ، والبعض الآخر يحملون المرض دون ان تظهر عليهم الأعراض بسبب مناعتهم القوية ضده ..

ولقد اكّدت تقارير الاتحاد الدولي لمكافحة التدرن ، في السبعينات ؛ علىٰ ان هناك ثلاثة ملايين اصابة جديدة بالتدرن كل عام .. ويشهد كل عام وفاة ثلاثة ملايين من المصابين سابقاً .. والعدد الاجمالي لحالات التدرن ، كان يقدّر بعشرين مليوناً في العالم ! !

وكان للدول الفقيرة والنامية الحظ الاوفر من هذا المرض .. وحسب الاحصائيات التي اجريت في العراق في مطلع السبعينات ؛ كان ٦٨٪ منَ الناس يحملون المرض «في دوره الفعّال ، او غير الفعّال» .. وبين هؤلاء ؛ كان (١٥٠) الفاً يحملون المرض في دوره الفعّال ..

ورغم عدم توفر احصائيات حديثة عن مدىٰ انتشار المرض في العراق ، في السنوات الاخيرة ؛ فان مما لاشك فيه انه قد تناقص الىٰ حد كبير بسبب التطور الاقتصادي ، وتحسّن الحالة المعيشية ، بالاضافة الىٰ الحملة الشاملة لمكافحة التدرن ، فلقد اصبح التلقيح اجبارياً ، ولا تمنح شهادة ميلاد اي طفل ، الا بعد تلقيحه ضد

التدرن ..

ولم يكن انتشار المرض مقتصراً علىٰ البلدان الفقيرة او النامية ، بل ان الدول الصناعية الغنية كان لها ـ ايضاً نصيب وفير .. ففي الولايات المتحدة ، علىٰ سبيل المثال ، ومن خلال تشريح عدد كبير من جثث اشخاص ماتوا لاسباب مختلفة ، وجد ان ٨٠٪ منٰ هؤلاء كانوا يحملون التدرن في اجسامهم ! ! ذلك في عام ١٩٤٦ ؛ اما في عام ١٩٨٠ فلم يتجاوز عدد المصابين (٢٨) الفاً ، اي بمعدل (١٢) اصابة من كل مئة الف من الناس ..

لقد كان التدرن كالاخطبوط حقاً ، ولكن العالم هبّ لمكافحته ، وراح يقطّع اذرعه واحداً تلو الآخر ! ! والامل الكبير هو ان تطلق الرصاصة القاتلة علىٰ رأسه .. ليتهاوىٰ ، والىٰ الابد ! !

رحلة المتاعب :

ان بعض المصابين بالتدرن لا تظهر عليهم اية اعراض مرضية ، وقد يكتشف المرض لديهم بالصدفة ؛ عند اجراء الفحوصات الشعاعية للصدر ، لسبب ما ..

واعراض التدرن ، تظهر لدىٰ البعض الآخر ، بصورة غير محددة المعالم ؛ كالتعب ، وفقدان الشهية للطعام ، وتناقص وزن الجسم .. وقد يظهر التدرن بشكل حاد ، كما تبدأ الانفلونزا مثلاً ، او التهاب القصبات الحاد .. وبعد ذلك تظهر علىٰ المريض اعراض محددة ؛ اهمها السعال الذي قد يكون جافاً ، او متصاحباً مع القشع .. ويكون القشع ـ اول الامر ـ قليلاً ، ثم تتزايد كمياته بمرور الوقت ..

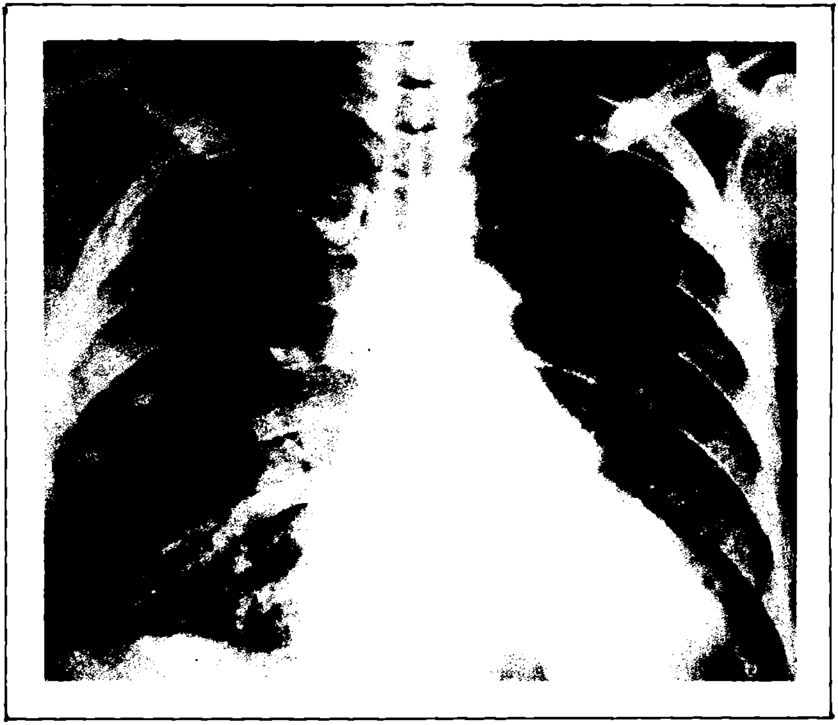
اما نفث الدم Hemoptysis فهو من الاعراض الشائعة للتدرن الرئوي ؛ فيلاحظ المريض خطوطاً دموية مع القشع ، وقد تكون كمية الدم كبيرة بهيئة نزف .. واذا كان المريض قد صبر علىٰ السعال ، واعتبره ناشئاً عن التدخين او التهاب بسيط في المجاري التنفسية ؛ فانه لن يصبر علىٰ نفث الدم ، وسرعان ما يستشير الطبيب ، ليتبيّن حقيقة الامر ..

واذا امتد التدرن الىٰ غشاء الجنب «الغشاء المغلف للرئتين» ؛ فسيشعر المريض بألم في صدره عند السعال ، او التنفس العميق ، او الضحك ..

واذا اصيبت الحنجرة بالمرض ؛ فان المريض يصاب ببحّة الصوت ..

وبالاضافة الىٰ ذلك ؛ قد يصاب المريض بالحمّىٰ ، والتعب ، والصداع ، وقلة الشهية للطعام ، وسوء الهضم .. ولدىٰ النساء ، قد يحصل اضطراب في الدورة الشهرية ..

واهم تلك الاعراض ـ من الناحية التشخيصية ـ هي النفث الدموي ، والسعال



التصوير الشعاعي للصدر ، كبير الفائدة في تشخيص السل الرئوي ..

لفترة تزيد علىٰ ثلاثة اسابيع ، والحمّىٰ التي لايبدو لها سبب واضح ..

وبالطبع . لاتكفي الاعراض لوحدها في تشخيص المرض ؛ فلابد من أخذ الصور الشعاعية للصدر ..

ومن التحرّيات المهمة ؛ هي فحص القشع تحت المجهر ، بعد صبغهِ بصبغةٍ خاصة ، وعندئذ تظهر عصيات كوخ بادية للعيان .. وقد يوضع القشع في وسط خاص ، لكي تتكاثر العصيات ، ويكون اكتشافها سهلاً ..

ومن الطرق المهمة في التشخيص هي ما يسمىٰ باختبار التوبركلين Tuberculin Test ؛ ان «التوبركلين» هو بروتين يستخلص من عصيات التدرن ، ويحقن في الجلد ؛ فاذا كان الشخص مصاباً بالتدرن «سابقاً او حديثاً» ، فان الجلد يصاب بالالتهاب والتشخّن في دائرة قطرها حوالي سنتمتر واحد ، وذلك بعد مرور ٧٢ ساعة .. اما اذا لم يحصل ذلك ، فهو دليل علىٰ عدم اصابة الشخص بالمرض ..

وهناك - للتشخيص - طرق اخرىٰ ..

قصـــة العـــلاج :

قصة علاج مرض السل ، من قصص الطب العظيمة ، التي يبدو فيها - بشكل جليّ - كفاح الانسان ضد مرض ، كان اذا حلّ بساحة قوم حلّ معه الخراب ! !

ولقد تعثّر العلاج كثيراً في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي .. وكان المرضىٰ يعالجون في مصحات معزولة بعيداً عن الناس خوفاً من انتشار المرض .. وعندما تقدمت الجراحة في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن ؛ كان الجراحون يلجأون الىٰ استئصال الرئة المصابة ، او الجزء المصاب منها ..

وما كانت تلك الطرق لتفلح في استئصال شأفة مرض شديد الانتشار ؛ فالرذاذ المتطاير من فم المريض - اثناء الكلام او السعال - مليئ بعصيات التدرن التي سرعان ما تنتقل مع الهواء الىٰ المخالطين للمريض في البيت او المدرسة او المعمل ..

وحليب الابقار المصابة بالتدرن ، هو مصدر آخر من مصادر العدوىٰ .. وقد تنتقل عصيات التدرن مع الطعام الذي يعدّه شخص مصاب ..

ولقد كانت الثورة الحقيقية في علاج التدرن ، هي اكتشاف العقاقير المضاده له .. تلك العقاقير التي تقتل عصيات التدرن وتجلب الشفاء للمريض .. وكان اول الغيث عام ١٩٤٤ عندما اكتشف العالم «واكسمان» عقار الستربتومايسين Streptomycin الذي كان عظيم الفائدة اول الامر .. ولكن المشكلة التي واجهت استعمال هذا العقار ، هي ان عصيات التدرن اصبحت تقاومه فلا يؤثر فيها .. بالاضافة الىٰ انه قد يسبب الصمم .. وكان علىٰ المريض - في كثير من الاحيان - ان يختار أحد امرين احلاهما مرّ : الصمم او الموت ! ! وبالطبع كان المريض يختار الصمم ، اهون الشرين ..

وفي عام ١٩٤٧ اكتشف علماء الالمانيون عقار P. A. S وفي عام ١٩٥٢ تم اكتشاف عقار الايزونيازيد Isoniazid .. وتوالت الاكتشافات ، واصبح بمقدور الانسان الاختيار من بين هذه العقاقير ، اكثرها كفاءة واقلها ضرراً ، ولم يعد مضطراً لاستعمال الستربتومايسين لفترة طويلة ، وما يجلبه من صمم ..

وامام هذه العقاقير الفعّالة تراجع اخطبوط السل وانكمشت اطرافه ، ولم يعد ذلك المارد المرعب الذي لا يُبقي ولا يذر ..

ورغم ان العلاج بالعقاقير - بدلاً من الجراحة - يعتبر حدثاً طبياً كبيراً ؛ فانه علاج طويل الامد ، اذ يجب الاستمرار عليه لسنة او اكثر ..

وبسبب طول فترة العلاج ؛ فان كثيراً من المرضىٰ لا يواظبون عليه ، ويتركونه عندما يشعرون ببعض التحسّن ، وهذا خطأ كبير ! !

ومن المشاكل الاخرىٰ ؛ هي ان بعض فصائل البكتريا تنشأ لديها مقاومة لبعض العقاقير المضادة للتدرن ، وهذه وسيلة دفاعية تستعملها البكتريا لمقاومة هذه العقاقير .. ولهذا السبب يفضل استعمال اكثر من عقار واحد ، وتستعمل - عادة - ثلاثة عقاقير .. وباستعمال هذه العقاقير ، يصبح المريض غير ناقل للمرض بعد حوالي شهر واحد من بدء العلاج . وعندئذ لا داعي لعزل المريض ، بل يستطيع ان يزاول نشاطه المعتاد ..



جين اوستن
وفشل الغدة الكظرية

جين اوستن

كان الوصي على العرش الانجليزي من اكبر المعجبين بآثارها الادبية . الى حد انه احتفظ بمجموعة كاملة من كتبها في كل قصر من قصوره .. والغريب . انه فعل ذلك . وهو يعلم انها تبغضه ؛ فلقد قالت عن زوجته «كارولين» ذات يوم : «مسكينة هذه المرأة . ساكون عوناً لها ما استطعتُ ؛ لانها امرأة . ولانني ابغض زوجها» ..

واستطاع ذلك الامير استمالتها . بهذه الطريقة الذكية ؛ فاهدت اليه روايتها الشهيرة «ايما» ..

ولقد تفاوتت الآراء حول هذه الروائية تفاوتاً كبيراً ؛ فقالت عنها شارلوت برونتي : «ان اهتمامها بقلب الانسان . لايكاد يعادل نصف اهتمامها بعينيه وفمه ويديه وقدميه . ان جين اوستن ـ كسيدةٍ ـ كانت كاملة . تامّة الادراك . ولكنها كانت ـ كامرأة ـ جد ناقصة . وعديمة الاكتراث» ..

اما الشاعر اللور «الفريد تنيسون» فقد وضعها في مرتبة بعد شكسبير مباشرة ؛ وقال بانه يحمد الباري ـ عز وجل ـ على انه جعل كلاً من شكسبير . وجين اوستن . لغزاً لانعرف عنه الا الشيء اليسير . والاّ اصبحا موضع قدح وطعن وتجريح ..

ومهما اختلفت الآراء حولها . فانها يكفيها فخراً ان السير «ولتر سكوت» قرأ روايتها

«الكبرياء والتحيز» ثلاث مرات ؛ وعلّق قائلاً : «انني اجيد الكتابة عن الاشياء الفخمة ، ولكنني حُرمت من موهبة جين اوستن ، التي تجعل الاشياء الاعتيادية المألوفة ممتعة مبهجة» ..

ولدت «جين اوستن» عام ١٧٧٥ ، وفي مطلع شبابها لم تكن تذكر اسمها على رواياتها ؛ فلقد ظهرت روايتها « الاحساس والعقل» وهي مكتوب عليها : بقلم مؤلفة رواية الاحساس والعقل !!

واستمرت على ذلك ، الى ان حدث ذات يوم . ان اخاها «هنري» سمع اطراءً عظيماً لاحدى رواياتها ، فلم يتمالك نفسه ، واعترف بأن هذه الروائية الكبيرة هي اخته !!

ومن طريف ما يروى عن هذه الروائية المبدعة ؛ انها تركت روايتها «آل وطسون» دون ان تكملها بعد ان كتبت معظمها .. وكان السبب في ذلك هو انها اصيبت بالرعب من المصير المؤلم الذي ينتظر بطلة الرواية !!

ثم اكملت هذه الرواية من قبل كاتب آخر ، ونشرت عام ١٩٢٨ اي بعد وفاة جين اوستن بمئة واحد عشر عاماً !!

وفي اواخر حياتها ، اصيبت هذه الكاتبة الكبيرة بعجز الغدة الكظرية ، ويرجّح ان يكون سبب ذلك هو اصابة غدتها الكظرية بالسل ، وكان مرض السل - في ذلك الوقت - كبير الانتشار ، عظم الخطر .. وتوفيت وهي في الثانية والاربعين ..

الغــدة الكظريــة :

هما - في حقيقة الامر - غدتان كظريتان ؛ كل واحدة تجثم فوق احدى الكليتين .

والغدة الكظرية غدة صمّاء ؛ اي تنقل افرازاتها الى الدم مباشرة ، وليس بواسطة قناة «كما هو الحال في الغدد اللعابية مثلاً» .

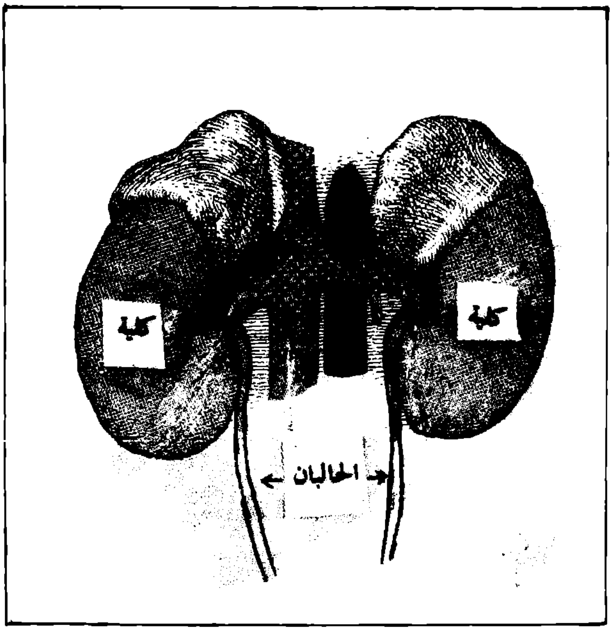
وكل غدة كظرية تتكون من طبقتين رئيسيتين : القشرة ، واللب ..

والذي حصل للروائية الكبيرة «جين اوستن» هو عجز تدريجي في قشرة الغدة الكظرية ؛ او مايسمى «بمرض اديسون» .. وقبل الحديث عن هذا المرض ، لابد من معرفة وظائف قشرة الغدد الكظرية ..

ان هذه القشرة تفرز ثلاث هرمونات رئيسية :

الكورتيزول ، والالدوستيرون ، والاندروجين ..

ان هرمون الكورتيزول Cortisol يفرز بمعدل (٣٠) ملغم يومياً ، في الاحوال الاعتيادية .. اما في حالات الطوارئ ؛ عندما يصاب الجسم بالتهابات شديدة ، او برضوض وكدمات ، او تجرى له عملية جراحية ، وغير ذلك من



الغدتان الكظريتان تجثمان فوق الكليتين

الحالات الطارئة . فان معدل افراز هذا الهرمون يزداد حسب حاجة الجسم لمقاومة الحالات الطارئة . لان الكلوكوز هو «وقود الجسم» الذي لابد منه لمختلف النشاطات .. وبالاضافة الىٰ ذلك ، فان الكورتيزول يعمل - جنباً الىٰ جنب مع الالدوستيرون (Aldosterone) - علىٰ المحافظة علىٰ ضغط الدم ..

ويمكن القول : ان هذين الهرمونين «الكورتيزول والالدوستيرون» لابد منهما لاستمرار الحياة . فبدونهما يصبح ضغط الدم شديد التقلب بمواجهة ظروف الحياة الطارئة ؛ فنزف دموي بسيط قد يؤدي الىٰ انخفاض شديد في ضغط الدم ، وفي ذلك خطر علىٰ الحياة ، بل خطر عظيم ! !

اما الاندروجين Androgen ؛ فهو هرمون جنسي ذكري ، يفرز - من قشرة الغدد الكظرية - بكميات قليلة ، تعتبر ضئيلة الاهمية ..

مـرض اديســون :

هذا المرض هو ضعف تدريجي في قشرة الغدة الكظرية، يؤدي - في نهاية الامر - الىٰ عجز شديد فيها ؛ فيقلّ معدل افراز هرموناتها «وخاصة الكورتيزول والالدوستيرون» ..

وفي معظم الاحوال ، وبالتحديد ٧٠٪ منَ الحالات ؛ ينشأ ذلك الضعف عن ضمور مجهول السبب يصيب قشرة الغدة الكظرية .. اما بقية الحالات ؛ فتنشأ عن تلف هذه القشرة نتيجة لاصابتها بورم ، او تدرن ، او غير ذلك من الامراض التي تؤثر تأثيرات سيئة علىٰ القشرة فتتلفها ..

ان نقصان تلك الهرمونات ، يؤدي الىٰ اضطرابات خطيرة في وظائف الجسم : فقلة هرمون «الالدوستيرون» تؤدي الىٰ انخفاض ضغط الدم .. ومن المعروف ان هذا الهرمون يسيطر علىٰ ضغط الدم ، عن طريق سيطرته علىٰ معدل طرح الماء والصوديوم مع البول .. ونقصان مستوىٰ هذا الهرمون ، يؤدي الىٰ طرح كميات كبيرة من الماء والصوديوم مع البول ؛ ونتيجة لذلك ـ كما ذكرنا ـ هي انخفاض ضغط الدم .. **واذا انخفض ضغط الدم ؛ احسّ المريض بالتعب ، والغشية «اي الدوخة» ..**

اما نقصان هرمون الكورتيزول ؛ فيؤدي الىٰ اضطراب عمليات التمثيل الغذائي للكربوهيدرات ، والبروتينات ، والدهنيات .. وينخفض مستوىٰ الكلوكوز في الدم ؛ وهذا الانخفاض يفاقم الشعور بالتعب والاضطراب .. ارايت كيف نشعر بالتعب والاضطراب عند الجوع ؟ وليس ذلك ناشئاً عن انخفاض مستوىٰ الكلوكوز في الدم ؟!

ونتيجة لاضطرابات التمثيل الغذائي ؛ يتناقص وزن المريض .. وتقل شهيته للطعام .. ويشعر بالغثيان ، وربما التقيؤ .. ويصاب بالاسهال ..

وبالاضافة الىٰ ذلك ، فان نقصان الكورتيزول يؤدي الىٰ ضعف مقاومة الجسم للعوامل الخارجية ، كالامراض ، او الجروح والكدمات .. او المواقف النفسية الصعبة .. ويصبح هذا الجسم البشري ، المتقن ، المحكم البناء ؛ فريسة سهلة امام الاعداء ، وقد يقتله التهاب بسيط في اللوزتين او القصبات الهوائية ، او غير ذلك من الامراض التي لايعبأ بها الجسم الصحيح المعافىٰ ..

ولكن ، يعبأ بها جسم فقد جيشه الذي يدافع عنه !!

وهناك ظاهرة غريبة تحدث لدىٰ المصابين بمرض اديسون ؛ وهي ان جلودهم تتلون بلون اسمر ، وخاصة في المناطق التي يحصل عليها ضغط ، كالمرفق او الركبة .. وتظهر بقع سوداء ، او نمش Freckles ، علىٰ الوجه والرقبة والكتفين .. وتصطبغ هالة الثدي Areola باللون الاسود المزرق ، بدلاً من لونها الوردي الطبيعي .. وكذلك الشفتان وبطانة الفم ..

ترىٰ ما سبب هذه الظاهرة الغريبة ؟!

ان الجلد يحتوي علىٰ خلايا متخصصة تقوم بأفراز مادة سوداء تسمىٰ

«ميلانين» Melanin ؛ وهذه المادة هي المسؤولة عن لون البشرة ، فلو زادت ، اصطبغ الجلد باللون الاسمر او الاسود ، ولو نقصت اصبح الجلد ابيض اللون .. وان زيادة هذه المادة في الشعر ، هي المسؤولة عن سواده ، ونقصانها هو المشيب ، ابعدك الله عنه ! !

ومن المعروف ان التعرض لاشعة الشمس ، او مايسمىٰ بالحمام الشمسي ؛ يكسب الجلد لوناً اسمر .. وسبب ذلك هو ان الاشعة فوق البنفسجية ، تحفّز تلك الخلايا علىٰ افراز المزيد من مادة الميلانين ..

والذي يحدث في «مرض اديسون» هو ان نقصان الكورتيزول ، يحفّز الغدة النخامية Pituitary Gland «وهي غدة توجد في الدماغ ، وتسيطر علىٰ نشاط الغدد الصماء في الجسم» ، علىٰ افراز هرمون معيّن ، يسمىٰ بالهرمون المحفز لخلايا الميلانين ، وهو ـ كما يبدو من اسمه ـ يحفّز تلك الخلايا علىٰ افراز المزيد من تلك المادة السوداء ..

التشـخيص والعـلاج :

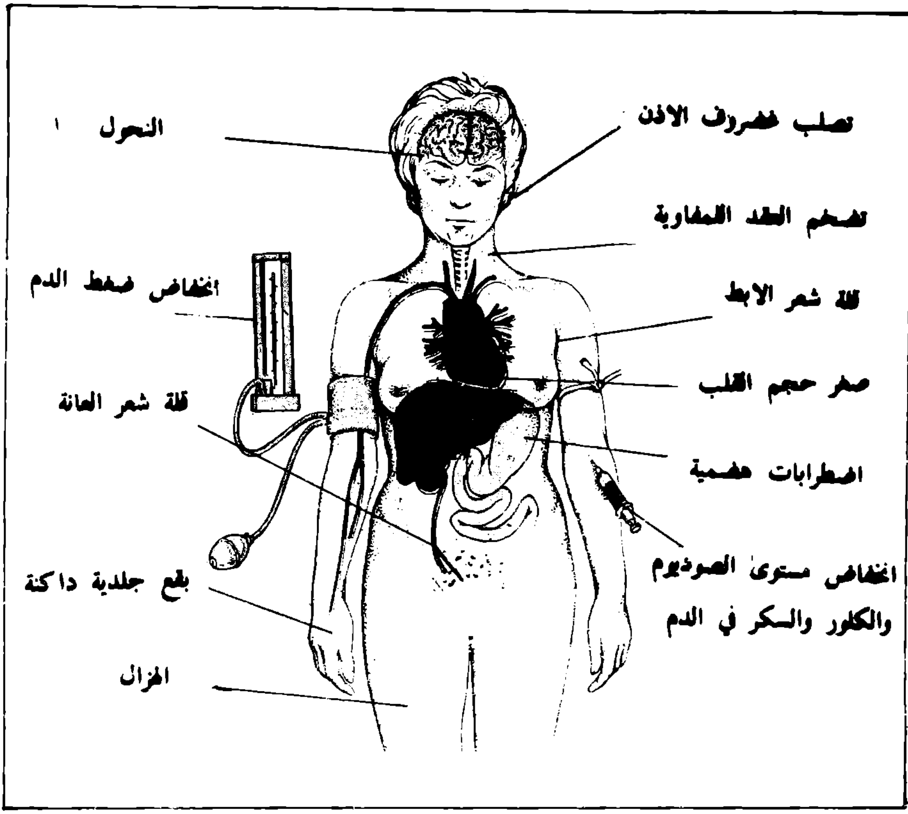
بالاضافة الىٰ الاعراض والعلامات السابقة ، وهي ذات اهمية كبيرة في التشخيص ؛ يقوم الطبيب بالتحرّي عن مستوىٰ هرمونات الغدة الكظرية في الدم .. ولا اريد الدخول في تفاصيل ذلك ، انما يمكن القول ، ان هرمونات القشرة الكظرية تنخفض في الدم ..

اما العلاج فهو ـ باختصار ـ اعطاء المريض هرمونات قشرة الغدة الكظرية ، للتعويض عن النقص الحاصل فيها .. ويعطىٰ ـ عادة ـ هرمون «الهايدروكورتيزون» في النهار ، ولا يعطىٰ في الليل ، لقلة الحاجة اليه ، ولانه يسبب الارق ..

نهـاية المطـاف :

اشتدّ المرض علىٰ «جين اوستن» ، فأحسّت بتعب شديد ، ودوار يكاد يسقطها ارضاً .. وعندما فحصها الطبيب ، ايقن ان حالتها خطيرة قاتلة .. وعندما اخبرها بذلك ، لم تفزع ؛ بل امرت بأحضار القس ، واجريت لها المراسيم الدينية .. ثم اصيبت باغماءة ، صحت بعدها ، وقالت لأختها «كاسندرا» : اريد ان اموت ! ! فاحتضنتها اختها ست ساعات قبل ان تلفظ انفاسها الاخيرة ..

ثم احتضنها التاريخ في ارفع مقام واعـلاه ! !



هذه بعض الظواهر المصاحبة لفشل الغدة الكظرية

الجاحظ

وغدته الدرقية

ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ «٧٨٠-٨٦٩ م» ، اديب عربي كبير ، وغني عن التعريف ؛ فهو صاحب كتاب «البيان والتبيين» ، وهو الذي تحدّث عن طبائع الحيوانات وعاداتها وغرائبها في كتابه الشهير «الحيوان» ، وهو الذي تحدّث عن «البخلاء» فأبدع في وصفهم ، وذكر طرائفهم وحرصهم الزائد علىٰ متاع الدنيا ..

ولقد سميّ بالجاحظ ، بسبب جحوظ عينيه .. وجحوظ العينين له اسباب عديدة ؛ اشهرها «الانسمام الدرقي» Thyrotoxicosis ، وهو مرض يصيب الغدة الدرقية ، فيزداد افراز هرموناتها التي تؤدي الىٰ جحوظ العينين ، وغير ذلك من الاعراض والعلامات التي سنتحدث عنها بعد قليل ..

ومن الطرائف التي يرويها الجاحظ عن نفسه ؛ انه كان في السوق ذات يوم ، فقابلته امرأة حسناء رشيقة القد ، واشارت اليه ان يتبعها ، فتبعها حتىٰ **اوصلته** الىٰ محل لصياغة الذهب ، وقالت للصائغ : مثل هذا .. ثم انصرفت .. ولم يفهم الجاحظ معنىٰ كلامها ، فسأل الصائغ عن ذلك ، فاخبره بأن هذه المرأة قد طلبتْ منه ان يصوغ لها حلية عليها صورة الشيطان .. فقال لها بانه لايعلم كيف تكون صورة الشيطان .. فقالت له بانها ستأتيه بمن يشبه الشيطان .. واتت بالجاحظ باعتباره شبيهاً بالشيطان ؛ بسبب جحوظ عينيه ! !

الغــدة الدرقـية :

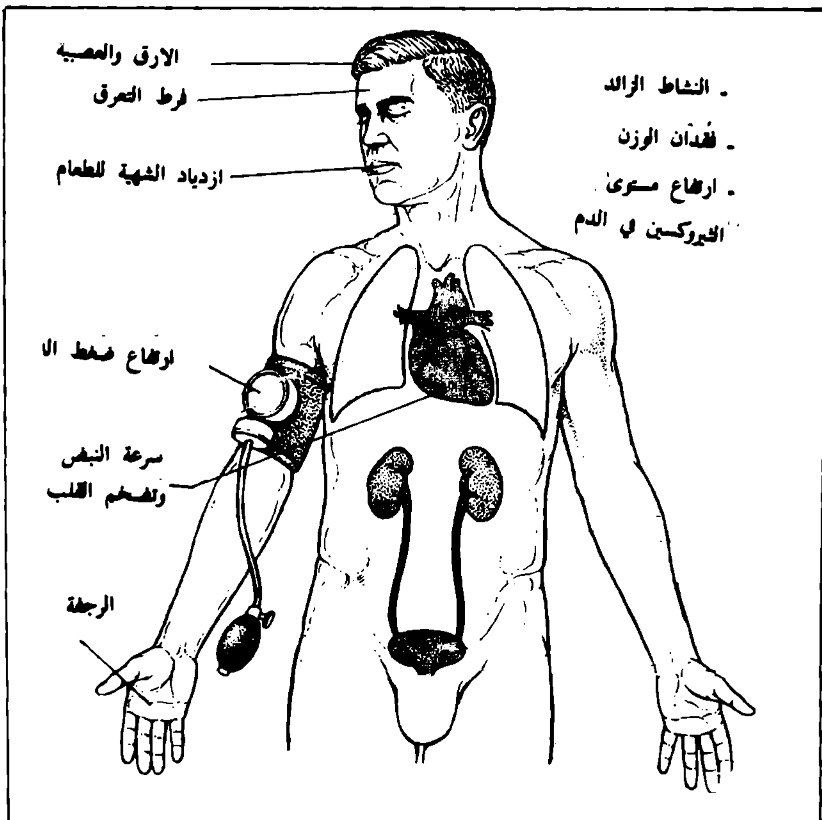
هذه غدة صماء ، تقع في مقدمة الرقبة ، امام الحنجرة.. وهي تقوم بأفراز هرمونين ، اشهرهما «الثيروكسين» Thyroxine «ويرمز له بالرمز T 4 والهرمون الآخر يرمز له بالرمز T3

ان هرمونات الغدة الدرقية ، يدخل في تركيبها عنصر «اليود» ، وبدونه لا تستطيع هذه الغدة ان تصنع هرموناتها ، فينتج عن ذلك تضخم في الغدة الدرقية ، او ما يسمىٰ بمرض «الدراق» Goiter ؛ وهو مرض ينتشر في شمال العراق بسبب قلة اليود ..

ان الوظيفة الرئيسية لهرمونات الغدة الدرقية . هي تنظيم عمليات التمثيل الغذائي «اي حرق الطعام في الخلايا لتحرير الطاقة» ..

ان هذه الغدة تفرز هرموناتها تبعاً للاوامر التي تصدر اليها من الغدة النخامية Pituitary Gland ؛ وهي غدة تقع في الدماغ ، وتنظم نشاطات الغدد الصماء ، ولذلك تسمىٰ احياناً بسيدة الغدد ! !

وهي تسيطر علىٰ الغدة الدرقية بواسطة هرمون يسمىٰ «بالهرمون المحفز للدرقية» ويرمز له اختصاراً T. S. H



اعراض وعلامات زيادة نشاط الغدة الدرقية ..

الانسمام الدرقي :

الانسمام الدرقي ، والذي يسمىٰ لدىٰ معظم الناس بالغدة الدرقية السامة ؛ مرض يتميز بزيادة نشاط هذه الغدة ، التي قد تتضخم ، فيبدو ذلك واضحاً لو نظرت الىٰ مقدمة رقبة المريض ..

واسباب هذا المرض ، لاتعرف علىٰ وجه التحديد ؛ ولكن البحوث والتحرّيات المتواصلة ، اثبتت ان دماء هؤلاء المرضىٰ تحتوي علىٰ مادة محفّزة للغدة الدرقية .. وتتصف هذه المادة بطول امد مفعولها ، مقارنةً بالهرمون المحفز للدرقية (T . S . H) والذي تفرزه الغدة النخامية .. وقد اطلق علىٰ تلك المادة مصطلح «محفّزة الدرقية الطويلة الأمد» LATS ؛ وفي واقع الأمر ، فان هذه المادة وجدت في دماء خمسين بالمئة من المصابين بالانسمام الدرقي ..

ولايعرف بالضبط مصدر هذه المادة الغريبة ؛ ويعتقد انها تنشأ عن بعض خلايا الدم البيضاء ، بتأثير عوامل وراثية ..

وقيل الكثير حول اسباب الانسمام الدرقي ؛ وكل ما قيل هو ترجيح احتمالات ، ونظريات ، لم تصل الىٰ مستوىٰ الحقيقة العلمية الثابتة ..

ورغم قدم هذا المرض ، وسعة انتشاره ؛ فانه لايزال ـ ورغم التقدم العلمي الكبير ـ من الغاز الجسم البشري التي يكتنفها الغموض الغامض ! !

بين الصيف والشتاء ! !

ما علاقة الصيف او الشتاء بموضوعنا ؟! ان زيادة مستوىٰ هرمونات الغدة الدرقية ، تسرّع عمليات حرق الغذاء في الخلايا ، .. وعمليات حرق الغذاء تترافق مع تحرير مقادير من الحرارة ؛ فترىٰ المريض غزير التعرّق ، يضيق ذرعاً بالطقس الحار ، ويرتاح في الطقس البارد ، ولم لا ، وفي جوفه سخّانات لاتهدأ ؟!

وتزداد شهية المريض للطعام ، ولكن وزنه يتناقص ؛ فجسمه يحرق اي طعام يأتيه ، ولايخزن منه شيئاً .. وكلما ألقىٰ المريض في جوفه طعاماً ، صاحت خلاياه : «هل من مزيد ؟!» ..

وترىٰ المريض «عصبياً» ، يثور لابسط الاسباب .. وتراه نشطاً ، كثير الحركة ، لايكاد يستقر في مكانه ؛ وقد يبدو هذا النشاط الزائد دليل صحة وقوة ، ولكنه غير ذلك في حقيقة الامر .. فالحياة طريق طويل يقطعه الناس بسرعات متفاوته ، واسرع الناس ؛ يجتاز اقرانه ولكنه يصل قبلهم الىٰ نهاية الطريق ! !

ويشكو المريض من الرعشة «او الرجفة» Tremor ؛ فلو مدّ يديه الىٰ الامام ، وفرّق مابين اصابعه لرأيتها ترتعش ارتعاشات دقيقة متعاقبة ..



الأرق هو احد الاعراض التي تصاحب زيادة نشاط الغدة الدرقية ..

ومن الظواهر الأخرىٰ لدىٰ اولئك المرضىٰ ، هي ازدياد معدل النبض ؛ ففي حين ان هذا المعدل يتراوح مابين ٦٠ ـ ٩٠ نبضة في الدقيقة لدىٰ الاصحّاء ، نجد معدل نبض المريض قد تجاوز المئة .. ومن أجل التأكد من ان هذه الزيادة في النبض ليست ناشئة عن القلق ، اوْ التوتر العصبي ، الذي يتعرض له كل منا ؛ فأن الطبيب يفحص النبض اثناء نوم المريض ، فاذا عاد الىٰ معدله الطبيعي فذلك دليل علىٰ ان تلك الزيادة في معدله ناشئة عن قلق طارئ .. اما اذا استمر النبض سريعاً حتىٰ اثناء النوم ؛ فذلك هو الانسمام الدرقي ..

ان ازدياد معدل النبض ، قد يتحول الىٰ اضطراب آخر في نبض القلب ، يسمىٰ بالرجفان الاذيني **Atrial Fibrillation** وبالاضافة الىٰ ذلك ؛

فان سرعة النبض تعني ان القلب يبذل مجهودات اضافية وقد يتضخم .. ومن المحتمل ان يرتفع ضغط الدم الانقباضي ..

ولو نظرت الىٰ رقبة المريض فقد تلاحظ تضخم الغدة الدرقية .. ولو حانت منك التفاتة الىٰ عينيه لوجدته ينظر اليك شزراً ؛ ولكن لا تبتأس ، فذلك جحوظ في عينيه ، خارج عن ارادته !!

التشخيص والعلاج :

ان الاعراض والعلامات السابقة ذات اهمية كبيرة في تشخيص المرض ..

ومن أجل التأكد من التشخيص ؛ تجرىٰ التحرّيات المختبرية لقياس مستوىٰ هرمونات الغدة الدرقية في الدم ، حيث تكون اعلىٰ من المعدلات الطبيعية ..

اما العلاج فيتم بالطرق الطبية - اي بالعقاقير - او بالطرق الجراحية ..

والعقاقير التي تستعمل لهذا الغرض ، تعمل علىٰ التقليل من هرمونات الغدة الدرقية .. ومن هذه العقاقير هو «الميثمازول» Methimazole ، والذي يعطىٰ بجرعة (١٠) ملغم ، ثلاث مرات في اليوم .. وهناك عقاقير اخرىٰ ..

ويبدو ان افضل الطرق لعلاج هذا المرض ، هي الطرق الجراحية ؛ اذ يتم استئصال جزء من هذه الغدة .. واذا قام بالعملية جراحون ماهرون ؛ فأن نسبة نجاحها تتجاوز ٩٥٪ . ولكن هذه العملية لاتخلو من المساوئ ، فقد يصاب عصب الحنجرة بالشلل فيبحّ صوت المريض .. ورغم ان ذلك نادر الحدوث ، فهو صعب العلاج ..

تحت اكداس الكتب !!

يروىٰ ان «الجاحظ» اصيب - في اواخر حياته - بالفالج «اي الشلل النصفي» Hemiplegia ، ويبدو لي ان هذا الشلل ربما نشأ عن «الانسمام الدرقي» الذي يؤدي - كما تحدثنا قبل قليل - الىٰ الرجفان الاذيني ؛ بمعنىٰ ان كلاً من الاذينين لا ينقبض وينبسط كالمعتاد ، وانما يرتجف ارتجافات غير منتظمة .. وهذا الرجفان يؤدي الىٰ ركود الدم في الاذينين .. وركود الدم قد يؤدي الىٰ تكوّن خثرة او خثرات دموية ..

ان هذه الخثرة الدموية ، قد تنتقل الىٰ احد الشرايين الصغيرة في الدماغ .. ونتيجة ذلك هي الشلل النصفي ، وهو طامّة كبرىٰ !!

واذا كان اديبنا الكبير ، قد اصيب بالفالج ؛ فانه لم يستسلم او تخور عزيمته ، واستمرّ - كعادته - يقرأ ويغترف من كنوز الادب .. وهل يستطيع الجاحظ ان يحيا بدون تلك الكنوز ؟!

وذات يوم ، وهو مقعد في بيته ؛ حاول ان يسحب كتاباً من بين كتبه الضخمة

التي تملأ غرفته .. فحدث مالم يكن في الحسبان ؛ فلقد سقطت تلك الكتب الثقال فوقه ، وقتلته ! ! ومات الجاحظ تحت اكداس الكتب ! !

وتلك - تالله - ميتة يتشرف بها اهل العلم والادب ! !

الدكتور احمد زكي
والوهن العضلي الوبيل



الدكتور احمد زكي

العلامة الدكتور احمد زكي، يعرفه الجميع من خلال مجلة «العربي» الكويتية، فقد كان رئيس التحرير منذ تأسيسها وحتىٰ وفاته عام ١٩٧٥ ؛ وبفضل جهوده الكبيرة نجحت هذه المجلة نجاحاً باهراً قلّ نظيره..

وبقلمه الفذ، كان الدكتور احمد زكي - رحمه الله - يسطّر في كل عدد «حديث الشهر» ؛ يتناول فيه ما يهم المثقف العربي من شؤون.. وانت تقرأ مقالاته تحسّ انه جليسك، يخاطبك بلغته السهلة البليغة التي جمع فيها بين العلم الغزير والادب الرفيع.. واليك مقطعاً من حديثه الشهري في العدد (٢٠٤) من مجلة العربي :

«والحب ؛ عاطفة مؤسسة في الخليقة طبعاً... فذلك، هو الحب الذي يقع بين الرجل والمرأة، وسنّتهُ الطبيعة لغاية.. ولكن الرجل ولكن المرأة، كليهما يحب غصباً ؛ اما الغاية التي سنّتها الطبيعة من الحب، فلا تكاد تظهر في الصورة ابداً..

اما الغاية ؛ فانتاج الذراري، ثم تنشئة النسل الحادث.. والام تحب وتعطف علىٰ اولادها، وهي لاتدري لماذا.. انه عندها بعض حكم الطبع، اما الغاية التي نصبتها لها الطبيعة - من حيث اتصال الحياة علىٰ هذه الارض - ففلسفة علمية، تغيب كل الغيب عن وعيها..

وحب الأم، شيءٌ في الخلائق - جميعاً - منتشر ؛ فالقطة الأم، والبقرة الامُ، والعصفورة الأم، والثعلبة، والنمرة، كلها ترعىٰ اطفالها من حب، وتدافع عنهم

حتىٰ الموت ، وهي لاتفقه من سر الطبيعة واهدافها ـ في اتصال الحياة ـ شيئاً ! ! » .

ولقد بلغ الدكتور احمد زكي ، اوج تألقه ، في مقالاته العلمية التي جعل عنوانها «مع الله في الارض» .. وكان يصدّر كل مقالة من هذه المقالات ، بجملته الشهيرة «وحدة الله تتراءىٰ في وحدة خلقه ،

وقدرة الله تتراءىٰ في بديع صنعه» .

وكان يريد ـ بهذه المقالات ـ التأكيد علىٰ حقيقة وحدة الخالق ؛ من خلال وحدة مخلوقاته ..

واليك هذا المقطع الطريف من احدىٰ مقالاته تلك ، في نفس العدد المذكور من المجلة ، وفيه يتحدث عن التناسل في الحيوانات :

«والحوافز تدخل او تثار في الذكر والانثىٰ عن طريق الحواس ؛ من نظر ، فسمع ، فشم ، فمساس .. والهرمونات الخاصة تهيئ الجسم لهذا اللقاء الجنسي ، وكذا الجهاز العصبي .. وان من الاسماك ما تفرز في الماء مادة ، لها رائحة يدرك منها السمك الذكر ان هناك سمكة انثىٰ تطلب اللقاء .. وفي الزواحف ؛ يقوم اللون ، وتقوم الرائحة ، عوناً علىٰ جمع الذكور والاناث .. واللون يفعل في الطيور عمله ، كما هو معروف .. وفي زواق الديك اغراء للدجاجة لكي تستجيب ..

والانسان سمّىٰ هذا الميل الجنسي حباً ؛ فان تيسّر امره فبها ، وان تعسّر حفز الشاب الىٰ انتاج الشعر الجميل الذي سمّوه غزلاً ، وهو أشد وقعاً كلما اشتد امتناع .. وفي الزواج ، الشفاء كل الشفاء ! !

ومن الحب ، ما اسموه بالحب العذري ، ووصفوه بانه حب طاهر لاغاية له .. اما الطهارة فكلمة نابية ؛ فما شئ كالجنس اودعه الله طبائع الخلق الا وهو طاهر .. واما انه لاغاية له ؛ فيكذّب ذلك مجنون ليلىٰ ، فهو أحبّ ليلىٰ ، وطلب الزواج منها . واكلته الغيرة عندما تزوجها غيره ..

ان انتشار حوافز الجنس بين الخلق ؛ انما هو مظهر من مظاهر الوحدة بين الخلق . لاشك فيه» ..

هل احدّثك المزيد عن الدكتور احمد زكي ؟! لا اظن ان هناك حاجة لذلك ؛ فمجلة «العربي» لا يكاد يخلو بيت من بعض اعدادها ..

ورغم استمرار مجلة العربي بالصدور ، بعد وفاة رئيس تحريرها ، ومجئ محررين اكفاء ؛ فان القراء احسّوا بالفراغ الكبير الذي خلّفه الدكتور احمد زكي .. ومن ـ كاحمد زكي ـ يحدّثك في المواضيع العلمية ، فتحس انه ينشد قصيدة شعر ، او يدبّج مقالة نثر بليغة ؟!

والمرض الذي قتل الدكتور احمد زكي ، مرض نادر يسمّىٰ «بالوهن العضلي الوبيل» .. اذن هل احدّثك عن هذا المرض الوبيل الذي تجرّأ فاقتحم اسوار رئيس التحرير؟!

الوهـن العضـلي الوبيل :

كان اول من وصف هذا المرض هو العلامة «توماس وليس» Thomas Willis ، وذلك في عام ١٦٧٢ ؛ ويتصف هذا الداء الوبيل بضعف في عضلات الجسم ، وخاصة عضلات العين ، والوجه والحنجرة ، .. والبلعوم ، وعضلات التنفس .. وهو من اسوأ الامراض التي تصيب العضلات ..

يقول الدكتور محمد محمد ابو الشوك :

«وقد شاءت الاقدار ؛ ان يصاب المرحوم الدكتور احمد زكي ، رئيس تحرير مجلة العربي الراحل ، بذلك المرض الخبيث .. وشاءت الاقدار ؛ ان اكون طبيبه ، طوال السنوات العشر الاخيرة من عمره .. وقد رأيته وهو يعاني من آثار ذلك ؛ ومع ذلك ، ظل الرجل مؤدياً لواجبه الذي نذر له حياته ودمه ، متفانياً في خدمة الوطن العربي ..

ولازلت اذكر ، عندما زرته ذات يوم ، فنهض من فراشه وظل يقلب اوراق بعض كتبه ، ثم عاد وجلس امامي ، وكتب : Myasthenia Gravis وقال : اعتقد اني مصاب بهذا المرض ..

وكان - رحمه الله - صادقاً في تشخيصه ، رغم كونه ليس طبيباً» ..

ترىٰ ماهي اسباب المرض؟ وماهي اعراضه؟ وهل من علاج؟!

الحـرب الداخلـية !!

الوهن العضلي الوبيل ؛ هو احد الامراض التي تنشأ عن حرب داخلية يشنّها الجسم علىٰ نفسه !! وتسمّىٰ هذه الامراض «بالامراض الذاتية المناعة» Autoimmune Diseases ؛ وفيها يقوم الجسم البشري بصنع «اجسام مضادّة» Antibodies تفتك ببعض اعضائه او انسجته ..

ولكي يتضّح لنا كيف يحارب الجسم عضلاته في «الوهن العضلي الوبيل» ؛ لابد ان نعرف شيئاً عن فسلجة العضلات ..

ان العضلة لا تتحرك الأ بعد صدور امر او ايعاز من العصب المسؤول عنها .. وهذا الايعاز يكون بهيئة مادة كيميائية تسمّىٰ «استيل كولين» Acetyl Choline وتخرج من نهاية العصب ، لتنتقل الىٰ العضلة حيث تستقبلها مستقبلات خاصة ..

وبدون هذه المستقبلات ، لا تستطيع تلك المادة ان تفعل فعلها في تحريك العضلة ..

والذي يحدث في «الوهن العضلي الوبيل» ، هو ان الجسم يقوم بصنع «اجسام مضادة» تؤدي الىٰ تلف بعض تلك المستقبلات ..ونتيجة لذلك ؛ فأن العصب لا يستطيع ان ينقل اوامره الىٰ تلك العضلات ، ولنقلْ ـ بتعبير ادق ـ ان العصب ينقل اوامره ، ولكن العضلات لا تستقبلها .. ويبدو العصب كحكم ضعيف ، يصدر اوامره فلا يجد آذاناً صاغية ؛ فتذهب تلك الاوامر ادراج الرياح !!

وتؤكد التحريات المختبرية تلك الحقيقة ؛ فعند اختبار مجموعة من المصابين بالمرض ، وجد ان دماء ٨٥٪ منهم ، تحتوي علىٰ اجسام مضادّة لمستقبلات «الاستيل كولين» ..

ولا غرابة ـ اذن ـ ان تصاب العضلات بالوهن عند ابسط مجهود ..

ترىٰ لماذا يحارب الجسم عضلاته ؟ لماذا ينتحر بهذه الطريقة البطيئة القاتلة ؟ لا احد يدري !!

الابتســامة البلهــاء !!

بسبب الوهن الذي يصيب عضلات الوجه ، فان المريض تكون له ابتسامة متميزة ؛ اذ تنفرج شفتاه ولكنهما لا تنسحبان الىٰ الجانبين ، فتبدو ابتسامة بلهاء ، اقرب الىٰ «التكشير» منها الىٰ الابتسام ..

اما الاجفان ، فانها تتدلىٰ ، ويبدو المريض وكأن النعاس الثقيل قد جثم علىٰ عينيه .. وان تسعين بالمئة من المرضىٰ ، تحصل لديهم ظاهرة «ازدواج الرؤية» Diplopia بسبب ضعف عضلات العينين ، فلا يستطيع المريض تركيزهما بزاوية واحدة علىٰ المرئيات ..

وبسبب الوهن الذي يصيب عضلات البلعوم والحنجرة ، فان المريض كثيراً ما يصاب بالغصص Choking وهو يتناول الطعام او الشراب .. ويخفت صوت المريض بعد قليل من الكلام ..

ولو تناولت ـ اخي القارئ ـ الطعام مع احد هؤلاء المرضىٰ ، لرأيته يضع احدىٰ يديه تحت ذقنه اثناء تناول الطعام ؛ وذلك لانه لايستطيع غلق فمه الا بصعوبة ، فيستعين علىٰ ذلك بيده .. ولان عضلات رقبته ضعيفة ؛ فان يده تساعد في اسناد رأسه لكي لا يتدلّىٰ الىٰ المائدة !!

ان الالتهابات المختلفة ، والحمّىٰ ، والسهر ، وغير ذلك من الحالات التي ترهق الجسم ؛ تزيد الطين بلّة ، فيشتد ضعف العضلات ، وتخور قوىٰ المريض ..

والعادة الشهرية ، هي من الحالات المعروفة ، التي تزيد من وهن العضلات لدىٰ المريضات المصابات بذلك المرض الوبيل..

وعندما يتقدّم المرض ويشتد ، فان الوهن قد يصيب عضلات التنفس ؛ اي عضلات الصدر والحجاب الحاجز ، وعندئذ يصبح الحصول علىٰ نسمة الهواء امراً عسير المنال . واذا خارت تلك العضلات ، توقّف التنفس ؛ وهذا هو جواز مرور الىٰ العالم الآخر ! !

ورغم هذه الصورة المخيفة للمرض ؛ فانه غير شائع ، اذ ان معدل انتشاره هو خمسة من كل مئة الف من الناس .. وهو يصيب الرجال في العقد السادس او السابع .. ويصيب النساء في العقد الثالث .. وهو غير متساوي الانتشار لدىٰ الجنسين ، بل انه يصيب النساء اكثر من الرجال ..

هل من علاج ؟

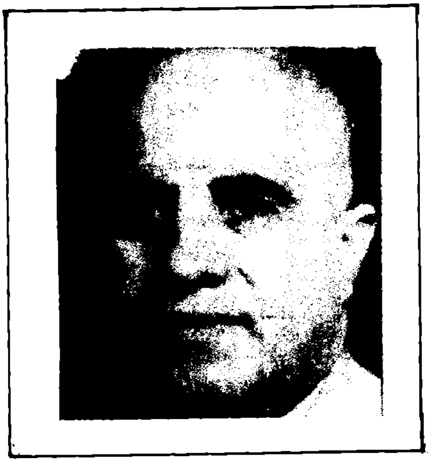
ان نسبة لا بأس بها من المرضىٰ «٢٠٪» يحصل لديهم تحسن تلقائي وان معظم المرضىٰ يمكن علاجهم بواسطة عقاقير مضادة للانزيم الذي يقوم بتحليل مادة الاستيل كولين Anticholinesterase Drugs

العقاقير . يزداد مستوىٰ «الاستيل كولين» وهو المادة الناقلة للاوامر العصبية الىٰ العضلات ..

ومن هذه العقاقير هو «النيوستجمين» Neostigmine

اما الحالات الشديدة من المرض ، فلا تكاد تنفع معها العقاقير ، وعندئذ نلجأ الىٰ العلاج الجراحي ؛ وذلك بأستئصال التوثة Thymectomy .. فما هي التوثة وما علاقتها بالمرض ؟ ان التوثة Thymus ؛ هي غدة صماء ، مكانها في الصدر ، تضمر بالتدريج حتىٰ تختفي تماماً عند البلوغ .. وفي بعض الاحيان ؛ يبقىٰ شيء من اطلالها حتىٰ الكبر ، وقد تتضخم ، او ينمو عليها ورم .. وذلك قد يكون احد اسباب الوهن العضلي الوبيل ..

ان ثمانين بالمئة ممن تجرىٰ لهم تلك العملية الجراحية يحصل لديهم تحسن ملحوظ .. وهذه نتائج مشجعة ، يفتخر بها الجراحون ؛ ابعدكَ الله عن سكاكينهم ! !



الدكتور مصطفىٰ جواد

الدكتور مصطفىٰ جواد
وعجـز القلـب

اشتهر الدكتور مصطفىٰ جواد بأحاديثه الأذاعية ، التي كانت تحمل عنوان «قل ولا تقل» ، وكانت تذاع من اذاعة بغداد .. وقد اراد بها اصلاح الاخطاء اللغوية الشائعة ..

ولقد شاعت احاديثه تلك ، وتناقلتها الألسن ، وجمعت بعد ذلك في كتاب يحمل نفس العنوان «قل ولا تقل» ..

ومن اقواله في هذا الكتاب ؛ قل : تخرج في الجامعة الفلانية .. ولا تقل : تخرّج من الجامعة الفلانية ..

ومنها ايضاً ؛ قل : السكة الحديد .. ولا تقل : السكة الحديدية .. وكذلك ؛ قل : الحقوق محفوظة علىٰ المؤلف .. ولا تقل : الحقوق محفوظة للمؤلف .. وقل : الموضوع الرئيس .. ولا تقل : الموضوع الرئيسي .. وغير ذلك كثير ..

ولد هذا العلامة الجليل في بغداد عام ١٩٠٢ ، وتعلّم في صغره في الكتاتيب .. واستطاع بعد حين ان يدخل «دار المعلمين الابتدائية» واظهر فيها تفوقاً علىٰ اقرانه .. وتخرج فيها ، وعيّن معلماً بوزارة المعارف . وظهرت موهبته اللغوية والادبية ، حين اخذ ينشر مقالاته في مجلة «لغة العرب» .. ثم في «المقتطف» المصرية ..

وسافر الىٰ«باريس» حيث نال شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون ..

وفي اواخر حياته ؛ اصيب بعجز القلب ، واستمر يصارع هذا المرض لاربع سنوات .. وفي مساء الاربعاء ، السابع من كانون الاول ، عام ١٩٦٩ ، استطاع هذا

المرض ان يضع النهاية لحياة هذا العلامة الكبير..

اخي القارئ ؛ قل : ان الدكتور مصطفىٰ جواد لا يزال حياً بآثاره اللغوية الجليلة.. ولا تقل : ان الدكتور مصطفىٰ جواد قد مات ! !

ترىٰ ماهو عجز القلب ؟ وكيف يتسلل الوهن او العجز ، الىٰ هذه المضخة الجبارة ، التي تبذل من الطاقة يومياً ، ما يكفي لرفع جسم وزنه الف كيلو غرام ، الىٰ ارتفاع اربعين قدماً ؟!

لماذا يعجز القلب ؟

توجد ثلاثة اسباب رئيسية لعجز القلب «مع الاعتذار للدكتور مصطفىٰ جواد الذي يفضّل استعمال كلمة - رئيسة - بدلاً من - رئيسية - » :

السبب الاول ، هو الحالات المرضية التي تجعل القلب يضخ الدم بكميات كبيرة تفوق المعدل الطبيعي لذلك.. ومن هذه الحالات ، مرض «الانسمام الدرقي» الذي يترافق مع زيادة سرعة النبض بصورة مستمرة ، حتىٰ اثناء النوم ؛ اي ان القلب يبذل مجهودات اضافية ، قد تؤدي الىٰ عجزه في نهاية المطاف..

ويحدث امر مشابه عند الاصابة «بفقر الدم» Anemia لفترة طويلة ؛ فيلجأ القلب الىٰ ضخ المزيد من هذا الدم «الفقير» ، وكأنه يحاول التعويض عن رداءة النوعية بزيادة الكمية ! !

اما السبب الثاني ، فهو وجود مقاومة شديدة تعيق جريان الدم ، فيزيد القلب من قوة ضخه للتغلب علىٰ هذه المقاومة ؛ مثال ذلك هو «تضيّق الصمام الابهر».. وهذا الصمام هو الذي ينظم مرور الدم من بطين القلب الايسر الىٰ الشريان الابهر.. فاذا تضيّق هذا الصمام ، فلابد ان يبذل القلب جهداً كبيرا ليدفع الدم عبر هذا المنفذ الضيّق..

ويحدث امر مشابه في حالة الاصابة بارتفاع ضغط الدم.. وتلك الجهود الك التي يبذلها القلب تؤدي الىٰ عجزه..

اما السبب الثالث ، فهو الامراض التي تصيب عضلة القلب.. وعندئذ لا يستطيع هذا القلب المريض المنهك ، ان يضخ الدم بصورة كافية.. ومن امثلة هذه الامراض ، هو احتشاء العضلة القلبية «الجلطة القلبية» Myocardial Infarction ؛ اذ يصاب جزء من عضلة القلب بالنخر ثم التليّف الذي يفضي الىٰ التلف ! ! اي ان جزءاً من عضلة القلب يموت.. ولا يستطيع الجزء المتبقي ان يضخ الدم بكميات تكفي لأسكات صراخ الانسجة العطشىٰ ! !

عجـز البطـين الايســر :

لو عجز البطين الايسر ، فان المريض يشعر بعسر التنفس عند قيامه بمجهود عضلي بسيط ، وفي الحالات الشديدة يحصل عسر التنفس دون ان يبذل المريض اي مجهود ، . .

والسبب في ذلك ؛ هو ان البطين الايسر لو عجز ، فانه لن يستطيع ان يضخ كل الدم الذي يأتيه من الاوردة الرئويــة «عبر الاذين الايسر» .. وعندئذ ، يتجمع الدم في الاوردة الرئوية واوعيتها الشعرية ؛ اي يرتفع ضغط الدم فيها .. وهذا يؤدي الىٰ نضوح السوائل منها الىٰ «الاسناخ الرئوية» Alveoli : ..

والاسناخ الرئوية هي اكياس صغيرة يدخلها الهواء عن طريق القصيبات الهوائية ، وخلال جدرانها يتم تبادل الغازات بين الدم والهواء ؛ فيتشبع الدم بالاوكسجين ويتخلص من ثاني اوكسيد الكاربون ..

ان السوائل التي تنضح الىٰ تلك الاسناخ الرئوية تقلّل من كفاءتها ، فيحتاج المريض الىٰ جهد كبير في عملية التنفس ..

وفي كثير من الاحيان ، يشعر المريض بعسر شديد في التنفس عند الاضطجاع ؛ ولهذا تراه ينام واضعاً تحت رأسه وسادتين او اكثر ..

ومن الظواهر المميزة لعجز البطين الايسر ، هي حصول نوبات من عسر التنفس اثناء النوم ؛ فيصحو المريض من نومه مذعوراً ، ضيّق النَفَس ، ويجلس علىٰ حافة سريره ، او يهرع نحو النافذة ، للحصول علىٰ نسمة هواء ..

وانه لأمر يثير الرثاء حقاً ، ان لايحصل المرء علىٰ نسمة من هذا الهواء الذي يملأ ارجاء الكون ، الا بعد جهد جهيد ! !

عجـز البطـين الايمـن :

عندما يعجز بطين القلب الايمن ؛ فانه لن يستطيع ان يضخ كل الدم الذي يأتيه من اوردة الجسم «عن طريق الاذين الايمن» .. ولهذا ، فأن تلك الاوردة ، واوعيتها الشعرية ، تمتلئ بالدم بدرجة كبيرة او ما يسمىٰ بالاحتقان Congestion .. ونتيجة لذلك ، تنضح السوائل من الدم ـ خلال جدران الاوعية الدموية الشعرية ـ الىٰ الانسجة المجاورة ؛ فتحصل ظاهرة «الخزب» Edema اي التورّم الذي يبدو بوضوح في القدمين والساقين ..

ويتضخم الكبد بسبب احتقان اوردته ، وقد يؤدي ذلك الىٰ تشمعه وربما عجزه ..

وفي الحالات الشديدة من عجز البطين لايمن . تحصل ظاهرة «الاستسقاء» Ascites .. اذ تتجمع السوائل في التجويف البريتوني . فتنتفخ البطن ..

وهناك حالات ، يعجز فيها كلا البطينين ، الايسر . والايمن ..

قفاز الثعلب :

ما علاقة نبات «قفاز الثعلب» بموضوعنا ؟!

لنستمع الى هذه القصة القصيرة :

في عام ١٧٧٥ ، كان الدكتور «وليم وذرنج» في طريقه من «برمنجهام» الى «ستافورد» .. وفي احدى محطات استراحته . استدعي لعلاج مريضة مصابة بالاستسقاء .. وعندما فحصها ايقن انها مصابة بعجز شديد في القلب .. وفي ذلك الوقت . كان عجز القلب يعني الحكم بالاعدام !! ولم يستطع هذا الطبيب احتمال ان يعمل لها شيئاً . واخبر ذويها انها ستموت عن قريب !!

وبعد فترة قصيرة جاء من اخبره ، بان تلك المريضة قد شفيت من المرض . بعد تناولها لشراب مصنوع من عشرين نوعاً من الاعشاب الطبية !!

ولان هذا الطبيب كان عالماً في النبات ايضاً . فقد استطاع بعد بحوث مضنية . ان يكتشف ان العشب السحري الذي شفى تلك المريضة . هو قفاز الثعلب Foxglove ..

وخلاصة هذا النبات هو مجموعة من العقاقير المعروفة التي تسمى «دجتالس» Digitalis ..وفي واقع الأمر ، فانها العقاقير الوحيدة التي تحسّن من تقلصيّة القلب .. بمعنى ان القلب العاجز يصبح اقوى ، واكثر قدرة على ضخ الدم ومن أشهر افراد تلك المجموعة هو «الدجوكسين» Digoxin

وبالاضافة الى ذلك . تستعمل عقاقير اخرى لعلاج عجز القلب . وهي عقاقير تزيد طرح الماء والصوديوم من الجسم ـ عن طريق الجهاز البولي ـ فيلاحظ المريض زيادة كمية البول .. وتسمى هذه العقاقير «بالمبيلات» Diuretics

ان من الاضرار الجانبية للمبيلات ، هي نقصان مستوى «البوتاسيوم» في الجسم ، بسبب طرحه مع البول .. ومن اجل تعويض هذا النقص . ينصح المريض بتناول الفواكه الغنية بالبوتاسيوم ، كالموز والبرتقال .. او يعطى هذه المادة بهيئة اقراص دوائية ..

وبالاضافة الى العقاقير ، فان الراحة البدنية لابد منها . من اجل تخفيف الأعباء عن كاهل القلب العاجز ..

والاهم من كل ماسبق . هو علاج السبب الذي انهك القلب وأدّىٰ الى عجزه ..
فاذا كان السبب هو ارتفاع ضغط الدم . فيمكن علاجه بواسطة العقاقير الخافضة للضغط .. اما اذا كان السبب مرضاً لا تنفع معه العقاقير . كامراض صمامات القلب . او تشوهات القلب الولادية ، فعندئذ يكون العلاج بين يديّ الجراح الذي يصلح الصمام التالف او يغلق الفتحة الولادية ..

جيمس جويس
والقرحة الهضمية

عندما كتب مجموعته القصصية «اهل دبلن» ، بعث بها الىٰ اخيه لعله يجد لها ناشراً ، فلم يوفّق .. ثم قام «جيمس جويس» بطبع الكتاب علىٰ نفقته ، بعد صعوبات مالية جمة .. وعندما قدم الىٰ المطبعة لاستلام نسخ كتابه ؛ اخبره صاحب المطبعة ، ان شخصاً **مجهولاً** اشترىٰ جميع نسخ الكتاب ، ودفع ثمنها ، ثم امر بأحراقها في مكانها ومضىٰ !!

فعاد الىٰ «النمسا» ، وفي جيبه ثمن نسخ كتابه المحروقة ، وفي قلبه نار تتأجج .. وعزم علىٰ ان لا تطأ قدماه ارض مدينته الجافية .. دبلن .

ولد «جيمس جويس» في «دبلن» عام ١٨٨٢ من اسرة كاثوليكية .. وكان ابوه رجلاً ماجناً مولعاً بالشراب ، كثير العربدة .. وشكا «جيمس جويس» ـ منذ صغره ـ ضعفاً في بصره ، فاضطر الىٰ ارتداء نظارة تخفي عينيه الزرقاوين ..

واستطاع الحصول علىٰ شهادة البكالوريا عام ١٩٠٢ ، وعزم علىٰ دراسة الطب في باريس .. فسافر اليها ، ولكنه لازم المكتبة الوطنية اكثر من ملازمته لمدرسة الطب .. وبمرور الوقت ؛ كان يتجه الىٰ دراسة الادب ، ويبتعد عن الطب .. وسافر الىٰ النمسا بعد زواجه من «نورا» ..

وفي عام ١٩١٤ شرع بكتابة روايته الرائعة «اوليس» ؛ وفي هذا العام ، شبّت نيران الحرب الكونية الاولىٰ ، فاضطر الىٰ مغادرة «النمسا» متجهاً الىٰ «سويسرا» .. وبعد ان وضعت الحرب اوزارها ، عاد الىٰ «النمسا» ، ثم سافر الىٰ «باريس» حيث اتمّ روايته ..

وقام جويس بمحاولات يائسة لنشر روايته في انجلترا وامريكا .. ولكن الرقابة لم تسمح بنشرها ، بحجة ان في بعض صفحاتها ، واقعية صارخة تجلو ضعة الانسان وغرائزه ، باسلوب يخالف الآداب العامة ..

واستطاع اخيراً ان يطبع روايته في «ديجون» بفرنسا ، وكان ذلك عام ١٩٢٢ ؛ يقول الدكتور بديع حقي :

«واتمثله في صباح اليوم الثاني من شهر شباط عام ١٩٢٢ ؛ في يوم عيد ميلاده الاربعين ، يذرع غرفته جيئة وذهاباً ، في انتظار اول نسخة من روايته ـ اوليس ـ التي اذوىٰ زهرة شبابه في تأليفها ، واستصفىٰ لها خلاصة عبقريته ، وحنا عليها ساهراً ، حسير البصر..

في هذا اليوم يحتفل ـ اذن ـ بعيدين ؛ عيد ميلاده ، وعيد طبع روايته .. لقد كان يرىٰ ان وجوده كله معلق بكتابه هذا ، ؛ ولعله ان يكون علىٰ حق ، فقد كانت روايته نقطة انطلاق جديدة في اسلوب الرواية الحديثة» ..

اما العالم النفسي الكبير «يونغ» ـ تلميذ فرويد ـ فقد قال بان هذه الرواية كنهر عظيم تنساب امواجه غامرة كل شيْ ، حتىٰ اذا شارفت الرواية نهايتها ، انبجس حوار داخلي في جملة واحدة تقع في اربعين صفحة ، لا يحجز بين كلماتها نقطة او فاصلة ، كموجات النهر المتصلة المتدفقة ، كأنما قصد بها جويس الىٰ تصوير الفراغ الرهيب الذي يطوّق حياتنا ويكتم انفاسنا ! !

ولكن الحياة التي جُبلت علىٰ الكدر ، لا تخلو من الاكدار والمصائب .. فلقد نكب جويس بابنته «لوسيا» التي احبّت الكاتب الايرلندي «صموئيل بيكيت» . وكان يتردد على ابيها .. احبّته «لوسيا» حباً عارماً يائساً ، دون ان يستجيب لها ، فاصابها يأس شديد .. ثم اضطرب عقلها ، وادخلت احدى المصحات العقلية .. ولقد انفق جويس ثلثي ثروته ـ التي حصل عليها من مؤلفاته ـ على معالجة ابنته ؛

وانتقل بها من مصح الى آخر ، دون جدوى

وفوق ذلك ، راح بصره يضعف ، واجريت لعينيه عدة عمليات جراحية ، دون فائدة .. وراح النور ينطفي في عينيه ، حتى اوشك ظلمة العمى ! !

بعدها ، انزوىٰ جويس ، بعيداً عن اضواء الشهرة ، لا يكاد يأبه لاحداث العالم الذي كان على ابواب الحرب الكونية الثانية ..

ولقد مهّدت هذه النكبات التي مني بها ، الى اصابته بقرحة المعدة وفي «زوريخ» ، في العاشر من كانون الثاني ، عام ١٩٤١ احسّ جويس بآلام قرحته في معدته ، فنقل الى المستشفى حيث اتضح ان قرحته [illegible] شديد ، واجريت له عملية جراحية عاجلة .. ولم تنفع معه ، ثم اسلم الروح ! !

اذن ، هل احدثك عن القرحة ؛ قرحة الجهاز الهضمي ؟! تلك التي اودت بحياة هذا الروائي العظيم ، وتخطفته بعد ان بلغ قمة المجد ، وترك لنا اثره الادبي الخالد «اوليس» الذي اضحى اللبنة الاولى ، في صرح الرواية الحديثة ؟!

المعـدة تهضم نفسـها !!

القرحة الهضمية peptic ulcer، هي جرح - دائري الشكل عادة - يصيب بطانة الجهاز الهضمي ، واكثر اعضاء هذا الجهاز عرضة للاصابة هما العفج «الاثنى عشر» Duodenum والمعدة .. وقرحة العفج اكثر شيوعاً من قرحة المعدة ؛ وكلّ منهما اكثر شيوعاً لدى الرجال من النساء ..

فكيف تنشأ هذه القرحة ؟

من المعروف ان المعدة تفرز خميرة هاضمة تسمّى «ببسين» pepsin ، تقوم بهضم البروتينات «كاللحوم مثلاً» بمساعدة حامض الهيدروكلوريك « » الذي تصنعه المعدة نفسها .. واذا كانت تلك الخميرة تهضم اللحوم ، فانها لا تهضم جدار المعدة ، وذلك لوجود مواد مخاطية تعمل كحاجز بين بطانة المعدة ومحتوياتها .. هناك - اذن - حالة توازن بين المعدة وما بداخلها من مواد هاضمة .. وقد يختل هذا التوازن ، فيقوم «الببسين» بهضم جزء من بطانة المعدة او العفج ، وعندئذ تنشأ القرحة الهضمية .. ترى ما الذي يؤدي الى اضطراب ذلك التوازن ؟!

ان التوتر العصبي من الاسباب المهمة في ذلك .. ولقد أشارت الاحصائيات الى اهمية العامل الوراثي ؛ فالاشخاص الذين اصيب آباؤهم او اخوانهم بالمرض ، يكونون اكثر من بقية الناس عرضة للاصابة .

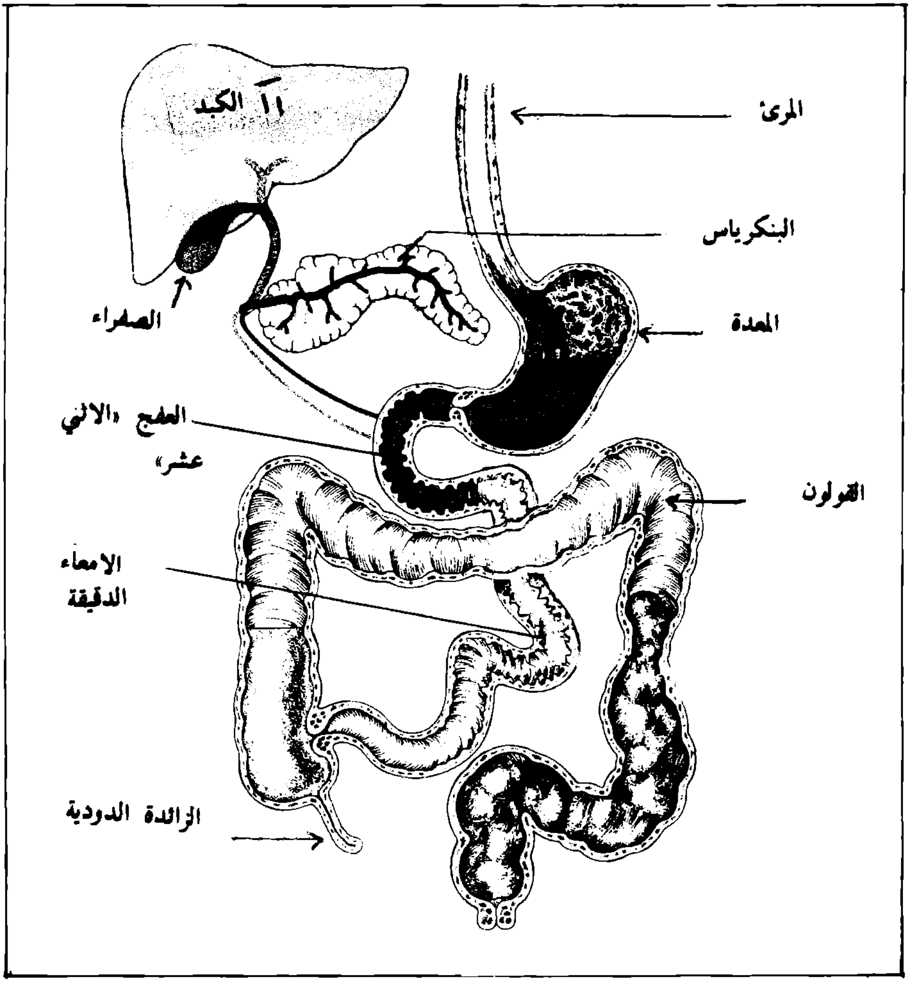
واصحاب فصيلة الدم « O » ، يصابون بالقرحة اكثر من اصحاب الفصائل الاخرى ..

ولقد وجد ان التدخين ، والافراط في تناول القهوة والمشروبات الغازية ، يزيدان من احتمال الاصابة بقرحة العفج ..

اما «الاسبرين» فهو من العقاقير المعروفة ، التي تؤدي الى التهاب حاد في بطانة المعدة .. وان تناول هذا العقار لفترات طويلة «كما يحصل لدى المصابين بامراض المفاصل» يعتبر احد اسباب قرحة المعدة .. ولهذا لا يصح تناول الاسبرين والمعدة فارغة ، انما يؤخذ بعد الطعام ، فهذا يقلّل من آثاره على بطانة المعدة ..

وهناك ظاهرة غريبة ، وجدت لدى المصابين بقرحة العفج ، وهي ازدياد عدد الخلايا الفارزة لحامض « HCL» ؛ ففي حين تحتوي المعدة (الطبيعية) على حوالي «بليون» خلية من تلك الخلايا ، فان معدة المصاب تحتوي على ضعف ذلك العدد .. وقد تكون هذه الظاهرة وراثية ..

ويبدو ان زيادة حامض المعدة هي اصل البلاء ؛ فلولا هذا الحامض لما اصيب الانسان بالقرحة ، ولكن لولاه لما استطاعت المعدة هضم الطعام !!



جهاز الهضم

الألم والطعام :

ماذا يحصل لو انك صببت محلولاً حامضياً علىٰ جرح في مكان ما من جسمك ؟ سيزداد ألم الجرح طبعاً ..

شيْ مشابه لذلك يحصل لدىٰ المصابين بقرحة العفج ؛ فهؤلاء يشعرون بالالم عندما يكونون جياعاً ، اي عندما تكون المعدة خالية من الطعام ، وعندئذ يكون «حامض الهيدروكلوريك» وجهاً لوجه مع القرحة ، فيهيّجها ، ويحس المريض بألم حارق ! !

وقد يوقظ هذا الألم صاحبه من النوم ؛ اذ تكون المعدة خاوية اثناء ذلك ..
وعلىٰ العكس مما سبق ، فان الالم يزول عندما يتناول المريض طعاماً ؛ فالطعام يختلط مع الحامض ، ويخفف من آثاره علىٰ القرحة .. ويخفّ الالم ـ ايضاً ـ لو تقيّأ المريض ؛ لانه بذلك يتخلص من كمية كبيرة من الحامض ..
وفي كثير من الاحيان ، يحس المريض بالالم يومياً لعدة اسابيع ، ثم يزول تلقائياً ليعود بعد سنة او اكثر ..
تلك هي اعراض قرحة العفج . اما اعراض قرحة المعدة فهي مشابه لذلك ، مع فرق رئيسي واحد ، وهو ان الالم قد يزداد بعد تناول الطعام «بعكس ما يحصل لدىٰ المصابين بقرحة العفج ، اذ يزول الالم عند تناول الطعام» .. وهذا الفرق يحصل لدىٰ ٢٥٪ منْ المصابين بقرحة المعدة ؛ والبقية يشعرون باعراض تشابه ـ الىٰ حد كبير ـ اعراض قرحة العفج .. ولهذا السبب ، يستحيل التمييز بين قرحة العفج والمعدة اعتماداً علىٰ الاعراض التي يشعر بها المريض ..

اذا تفاقم المرض :

عندما يشعر المريض بالم مستمر في منطقة المعدة .. ويشبع بكمية قليلة من الطعام .. ويتقيّأ مرة او اكثر يومياً .. وعندما لا يخف الم المعدة بتناول مضادات الحموضة .. فأن تلك الظواهر تعنىٰ ان القرحة قد أدّت الىٰ تضيّق في البوّاب Pylorus «وهو منطقة اتصال المعدة بالعفج» .. وهذا يحصل بعد سنوات من الاصابة بالقرحة ..
ومن المضاعفات الأخرىٰ الشائعة هي النزف الدموي .. فيتقيّأ المريض دماً يتحوّل ـ بفعل الحامض ـ الىٰ ما يشبه حبيبات البُن .. ويكون الغائط اسود اللون ..
وبسبب هذا النزف ينخفض ضّغط الدم ، فيحس المريض بالدوار ، وقد يغمىٰ عليه في الحالات الشديدة ..
وهناك مضاعفات اخرىٰ ..

التشخيص :

ان الاعراض لا تكفي ـ لوحدها ـ لتشخيص القرحة .. ولابد من وسائل اخرىٰ ، يستطيع الطبيب بواسطتها ان يشخّص هذه القرحة ، ويحدد مكانها من جهاز الهضم ..

ومن هذه الوسائل هو التصوير الشعاعي .. وفكرة التصوير الشعاعي - بصورة عامة - فكرة بسيطة .. فلو اردنا تصوير اليد - مثلاً - فاننا نضع «الفيلم» وراءها ونسلط عليها الاشعة .. ان الاشعة لو سقطت على «الفيلم» جعلته اسود فاحماً ، ولكن هذه الاشعة لا تخترق المواد الصلبة «كالعظام» ؛ ولهذا يظهر ظل العظام عديم اللون ، محاطاً باللون الاسود ..

ولو اردنا تصوير المعدة والامعاء بهذه الطريقة ، فاننا لا نحصل على صورة واضحة ؛ لان الاشعة تخترق هذه الانسجة الرخوة ، فنحصل على فيلم لا شيء فيه غير سواد كظلام الليل ! !

ولهذا تمّ اللجوء الى طريقة خاصة ؛ وهي ان يشرب المريض كمية من محلول «الباريوم» .. وهذه المادة لا تخترقها الاشعة .. وعندئذ نحصل - بالتصوير الشعاعي - على صورة واضحة ، تساعد في التشخيص الى حد كبير ..

وقد يلجأ الطبيب الى طريقة ادق ؛ وهي استعمال ما يسمى بالناظور الداخلي Endoscope ، وهو انبوبة رفيعة في نهايتها مصباح صغير ، تدخل عن طريق الفم الى المعدة والعفج .. ويرى الطبيب بعينيه بطانة الجهاز الهضمي وما فيه من امراض .. وتلك أصدق وسائل التشخيص .

الغـذاء والـدواء :

الفكرة وراء علاج القرحة فكرة بسيطة ؛ وهي اعطاء المريض مواد «قاعدية» تعادل حامض المعدة ، او عقاقير تقلل من افرازه .. وبهذه الطريقة ، فان اعراض المرض تختفي في غضون عدة ايام ..

ويمكن ان نتحدث عن علاج القرحة ، تحت ثلاثة عناوين رئيسية ، هي : الغذاء .. والدواء .. والجراحة ..

اما عن الغذاء ؛ فيفضل تناول خمس وجبات صغيرة بدلاً من ثلاث وجبات .. والغرض من ذلك ، هو جعل المعدة حاوية على الطعام معظم الوقت ؛ فالمعدة لو خلت من الطعام ، ازداد الالم بتأثير الحامض .. ويفضل الاكثار من تناول الحليب ، لانه يحتوي على مواد «قاعدية» تعادل الحامض ..

وفي العادة ، ينصح المريض بتجنب الاطعمة التي وجد انها تزيد اعراض المرض لديه ؛ كالاطعمة الدسمة ، وعصير الفواكه ، والتوابل ، رغم ان الابحاث الطبية لم تثبت ان ايّاً من هذه الاغذية مضرّ بالقرحة حقاً ، باستثناء الفلفل ..

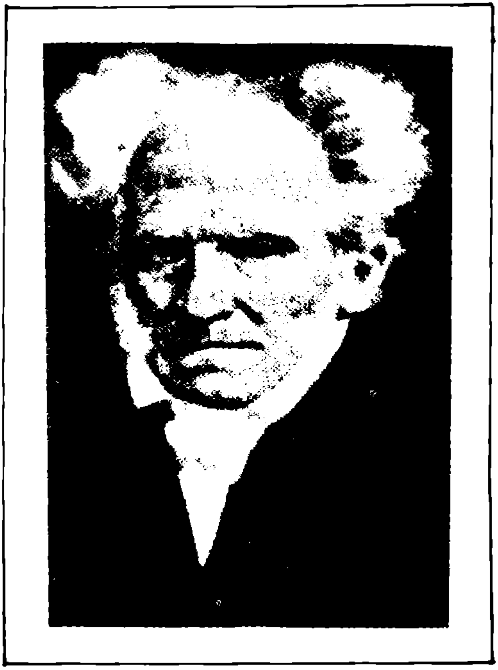
ان الشاي ، والقهوة ، والكاكاو ، والمشروبات الغازية ، والمشروبات

الكحولية ؛ تحفز المعدة على افراز المزيد من الحامض ، لهذا يفضل تجنبها .. ويجب الامتناع عن تناول العقاقير التي تسبب التهاب المعدة كالاسبرين ، وكثير من الادوية التي تستعمل في علاج امراض المفاصل ..

اما عن الدواء ، فتستعمل العقاقير المضادة للحموضة ، وهي مواد قاعدية تعادل حامض المعدة فتخفف من تأثيره ..

وهناك عقاقير اخرى ، تقلل من تكوين وافراز الحامض في المعدة ، واشهرها «البلادونا» Belladona ، «والبروبانثلين» Probantheline .. ولأن التوتر العصبي يزيد افراز الحامض ؛ فقد ظهرت عقاقير تحتوي على مهدئات نفسية بالاضافة الى المواد المقللة لافراز الحامض .. واشهر هذه العقاقير هو اللبراكس Librax ، والستيلابيد Stelabid

اما عن الجراحة ، فانها تستعمل عندما تتفاقم القرحة وتترافق بحصول مضاعفات . كالنزف الدموي المتكرر ، او انثقاب جدار المعدة او العفج ، او تضيّق البوّاب Pyloric Stenosis الذي لا يستجيب للعلاج بالعقاقير .. ويلجأ الى الجراحة ايضاً - في حالة قرحة المعدة التي يرجّح كونها سرطانية ..



شوبنهور

شــوبنهور
هـل اصيب بالجنـون ؟!

الفيلسوف الالماني الشهير «آرثر شوبنهور» كان مصاباً بمرض عقلي يسمىٰ «البارانويا» Paranoia ..

ولقد اختلف اطباء النفس حول تصنيف هذا المرض ؛ فبعضهم اعتبره مرضاً عقلياً مستقلاً ، في حين ان البعض الآخر صنّفه كنوع من «الشيزوفرينيا» او لفصام ..

ومهما كانت القائمة التي يوضع فيها ، فهو مرض غريب ، ومثير ؛ يتميز بالخوف من الناس والشك فيهم ، واعتقاد المريض انهم يدبّرون له الدسائس والمكايد ..

ولو أستقرأت معي حياة هذا الفيلسوف لتملّكك العجب العجاب .. فلقد كان يحسب ان الناس جميعاً يتربصون به كيد المنون ، ويخططون لاغتياله او ايذائه .. ولهذا كان يحتفظ بغدّارة محشوة علىٰ اهبة الاطلاق ، ويضعها تحت وسادته .. وبجانبه سيف معلق .. وكل ذلك من أجل تمزيق الصدور ، او قطع الرؤوس ، التي تحاول الاعتداء او السرقة ! ! ولو سمع ضجّة في هدأة الليل ، سرعان ما يهب من فراشه مذعوراً ؛ وفي احدىٰ يديه غدارته ، وفي الاخرىٰ سيفه الصارم .. ويروح يبحث في كل زوايا الدار عن الشبح اذي داهم البيت وعكّر هدوء الليل .. ثم لا يكون وراء الضجة ما يستحق الذكرٰ ..

ويحيط به هاجس المرض ، ويخاف ان ينقل له الناس عدوىٰ الامراض .. لذلكَ احتفظ معه بقدح جلدي ، يحمله اينما ذهب ، ليشرب منه الماء النقي .. وكان يحتفظ بادواته في مكان أمين لا تصله الايدي ، خوفاً من التلوّث لو لمستها ايدي الضيوف والاصدقاء ..

وكان يخبّئ امواله بعيداً عن العيون ، خوفاً من الناس الذين هم ـ حسب ظنه ـ يتربصون له ، من اجل سرقتها .. وكان يكتب حسابات امواله بلغة غير لغته «الالمانية» ، انما باللاتينية ، وذلك امعاناً في الاخفاء والتضليل ..

القبر المفتوح :

ولعلّ من اغرب الاوهام التي غزت عقل هذا الفيلسوف ، هي اعتقاده بانه قد يشتبه بوفاته ، فيدفن وفيه رمق من الحياة .. وطغىٰ هذا الوهم علىٰ تفكيره حتىٰ انه اوصىٰ بأن يدفن ـ عند وفاته ـ في قبر مفتوح ، ولا يهال التراب فوق جثته الا بعد فترة زمنية تكفي للتأكد من وفاته ! !

وهذا الحرص الشديد علىٰ الحياة ، يبدو مناقضاً لافكار هذا الفيلسوف الذي كان يقول بأن الرجل العظيم هو الذي يفضل الموت علىٰ الحياة .. لأن حب الحياة ـ حسب رأيه ـ هو مصدر الالام والشرور . وكان يعتبر الزواج مجرد حيلة لاستمرار النسل ، واستمرار عذاب الانسان ومعاناته .. ولذلك ، فقد قضىٰ حياته دون زواج .. بل انه أستهلّ وصيته بالقول : «انني دكتور الفلسفة ، آرثر شوبنهور ، الذي لم يتزوج قط .. وليس له من صلبه اقارب علىٰ الاطلاق» ! !

ورغم ان آراءه تلك ، واتهامه للحياة بالشرور ؛ فقد فرّ من وباء الكوليرا الذي انتشر في «برلين» ، وفرّ من وباء الجدري الذي انتشر في «نابولي» ..

الناس والخيل والكلاب :

ولم يكن شوبنهور حريصاً علىٰ الحياة فحسب ، بل كان ـ ايضاً ـ شديد الحرص علىٰ المال ، شحيحاً ، بخيلاً .. وكان اذا جلس الىٰ طعامه ، وضع علىٰ المائدة قطعة ذهبية ثم يعيدها الىٰ جيبه ، بعد انتهائه من تناول الطعام .. وعندما سئل عن معنىٰ ذلك ، قال بأن هذه القطعة الذهبية ستوهب للفقراء ، بشرط واحد ؛ وهو ان تتجاوز احاديث الناس ـ من حوله ـ ثلاثة مواضيع :

الناس .. والخيل .. والكلاب ! !

وبالطبع ، فان الاحاديث لا تتجاوز تلك المواضيع ، فتبقىٰ قطعته الذهبية في حرز

امين .. وكان ـ من شدة بخله ـ لا يحترم الصديق الذي يقترض منه مالاً ، وعلىٰ حد قوله : «فالصديق عندما يحتاج ، لا يكون صديقاً حقاً ، بل مجرد مقترض» .

ومن الطرائف التي تروىٰ عنه ، انه كان ـ ذات يوم ـ يتناول طعامه بنهم شديد ، ومائدته عامرة باطايب الطعام .. فوقف امامه رجل مندهشاً مستغرباً من هذه المائدة الضخمة .. فقال له شوبنهور : انني آكل ثلاثة امثال ما تأكله انت ، لان لي عقلاً يعادل ثلاثة امثال عقلك !!

الفيلسوف المغرور :

كان «شوبنهور» مغروراً ،شديد الاعتداد بنفسه، وكان ـ وهو لا يزال مغموراً ـ يلقي محاضراته في الجامعات الالمانية ، ويختار الوقت الذي يلقي فيه «هيجل» محاضراته .. وكا «هيجل» ـ وقتها ـ عظيم الشأن ، رفيع المكانه في جامعات المانيا ، يتهافت الدارسون الىٰ سماع محاضراته ..

ولا يكتفي «شوبنهور» بذلك ؛ بل كان يحطّ من قدر «هيجل» ، ويسفّه آراءه ، وكان يصف فلسفته ـ مستعيراً وصف شكسبير ـ بانها اقوال يهذي بها مجنون لا يعي ما يقول ..

وكان يؤكد علىٰ ان شهرة «هيجل» ، ما هي الا من نكد الزمان الذي يرفع الاخسّاء التافهين ، ويحط من قدر العظماء ـ امثاله !!

ورغم انه كان مغروراً ، لا يكاد يعرفه الا القليل ؛ فقد راح يملي علىٰ الناشر شروط نشر كتابه «العالم ارادة وفكرة» ، وكأنه أحد المؤلفين الذين ذاع صيتهم ، والذين يتلهف الناشرون علىٰ نشر كتبهم !! ولقد طلب قطعة ذهبية عن كل ورقة مطبوعة ..

ورغم ان «شوبنهور» امضىٰ اربع سنين في تأليف الجزء الاول من هذا الكتاب ، واستصفىٰ له خلاصة فكره وفلسفته ؛ فانه لم يلق القبول ، وظل مكدساً ، حتىٰ بيع بأبخس الاثمان كورق تالف لا يحمل فكراً اوعلماً !!

وهذه الصدمة لم تؤثر في «شوبنهور» ، ولم تثن من عزيمته ، ولم تنل من ثقته المفرطة في نفسه وكتابه ، وقال : «عندما يصطدم رأس وكتاب ، ويرن احدهما رنيناً اجوف ؛ فلا يجوز الظن ان هذا الرنين ينبعث دائماً من الكتاب» ..

وفي هذا اشارة واضحة الى غروره ، واحتقاره الشديد للناس ..

وبعد اربع وعشرين سنة ، اتمّ الجزء الثاني من كتابه .. والغريب انه عهد بطبعه الىٰ نفس ناشر الجزء الاول .. ولكنه ـ هذه المرة ـ لم يفرض الشروط الصارمة ، او

يطلب المبالغ الكبيرة ؛ انما قال للناشر : «انني اترك لك تماماً ـ تقدير حقوق النشر ، وما اذا كنت تدفع او لا تدفع ما يقابلها ، وفي هذه الحالة تكون قد حصلت علىٰ ثمرة جهود حياتي دون ثمن» ..

ولم يحظ «شوبنهور» مقابل هذا الكتاب ، سوىٰ عشر نسخ مطبوعة ، فقال : «سيأتي اليوم الذي تأخذ فيه اعمالي مكانها الملائم الصحيح» ..

حقده علىٰ امّه ! !

كانت امه اديبة معروفة في ذلك الزمن ، وكان بعض الادباء والمفكرين يجتمعون لديها في صالونها الادبي .. وقد نشأت بينها وبينهم علاقات ؛ بعضها بريئ ، وبعضها آثم لا يخلو من الجنس والغرام ! !

وقد آثار ذلك حفيظة ابنها «شوبنهور» الذي كان يرىٰ شرفه الرفيع محاطاً بالاذىٰ من كل جانب ! ! وكانت هي منحرفة المزاج ، وقد خلا قلبها من حب الامهات وعطفهن علىٰ الابناء؛ فنشأ بينها وبين ابنها شعور متبادل بالحقد والكراهية ، فهجرها اربعاً وعشرين سنة ..

وكانت امه تسخر من الشاعر الالماني الكبير «جوته» الذي تنبّأ له بشأن عظيم في مستقبل حياته ، وكانت تقول بأنها لم تسمع باسرة انجبت عبقريّين في وقت واحد ..

وهي دائمة السخرية بمؤلفات ابنها وافكاره ، واذا تناهىٰ الىٰ سمعها ـ ذات يوم ـ اسم ابنها ، او احد مؤلفاته ؛ تعكّر مزاجها ،وكأنما سمعت أنكر الاصوات ! !

اما «شوبنهور» ؛ فقد كان يردّ عليها بأن مؤلفاته ستبقىٰ كنزاً ثميناً ، تتناقله الاجيال ، ومنبعاً ثرّاً يغترف منه الدارسون .. في حين ان مؤلفاتها سوف ترمىٰ في اكوام القمامة ، لا يعبأ به احد ، وسوف لن يذكرها التاريخ الا لكونها «أم شوبنهور» ، وليس الروائية «جوهنا» ..

وبسبب مشاعر الحقد بينه وبين امه ؛ فقد راح كل منهما ينقّب عن عيوب الآخر ، ويبحث عن هفواته ..

فأما هو ؛ فقد اهتم بالرواية ، ليتابع زلات امه في رواياتها .. وكانت له آراؤه القيّمة التي اثّرت في من جاء بعده من الروائيين .. ومن تلك الآراء قوله «ان الرواية ترقىٰ وتسمو ، بقدر ما تمثل من الحياة الداخلية ، وليس الحياة الخارجية» ..

ويعني بذلك ، ان الرواية الناجحة ، هي تلك التي تسبر اغوار النفس البشرية ، وتكشف خباياها ..

واما هي ؛ فقد تابعت اخلاقه الصعبة ، ومزاجه المتقلّب ، ونقّبت عن دخائل

نفسه التي طغىٰ عليها التشاؤم وتمكّن منها اليأس والقنوط ..

ولذلك فأنها أدق من وصف «شوبنهور» ؛ ومن ادق من الحاقد في اكتشاف هفوات غريمه ؟!

وكما وصفته امه ؛ فهو شديد الكآبة ، عابس النظر ، متجهّم الوجه ، عجيب الآراء .. وهو يدافع عن آرائه كأنها الوحي المنزل الذي لا يقبل الشك او النقاش ..

ولم يكن شوبنهور يدافع عن آرائه بالحجة والمنطق فحسب ؛ بل كان يضيف الىٰ ذلك الضرب المبّرح والصفعات المؤلمات !!

وقد حصل - ذات يوم - نقاش بينه وبين خادمته ، ولما عجز عن اقناعها بالكلام ؛ امسك بها ودفعها نحو الجدار دفعة عنيفة ، فاصيبت برضوض وكسور في جسمها !! ثم حُكم عليه ان يعيلها مدىٰ حياتها ؛ فراح يلعنها ويشتمها طوال تلك الحياة !!

شوبنهور وكلبــه :

لقد كانت علاقته السيئة بأمه ، وفشل كتبه ، وغرابة افكاره ، وحظه العاثر ؛ اسباباً جعلته يسخط علىٰ العالم الذي لم يفهمه .. يضاف الىٰ ذلك انه عاش في عصر الخراب والدمار اثناء الحروب النابليونية ؛ فهان عليه العالم ، حتىٰ انه سمّىٰ كلبه «اتما» وتعنيّ روح العالم !!

وبالمقابل ، هان هو ايضاً علىٰ مواطنيه في «فرانكفورت» ، فكان ظهوره في الشارع مدعاةللسخرية منه ومن كلبه الذي اطلق عليه الناس اسم «شوبنهور الصغير» !! وكانوا يقولون بأن شوبنهور وكلبه هما فيلسوفان علىٰ اهبة الاستعداد - دائماً - للنباح ؟ في وجه العالم !!

ومن الطريف انه اقام لكلبه تمثالاً نصفياً ، تخليداً لذكراه ، وكان يضعه - جنباً الىٰ جنب - مع تمثال نصفي للفيلسوف «عمانوئيل كانت» !!

وبعد العناء الذي لازمه طوال حياته ، وبعد صراعه الطويل مع نفسه ومع العالم الذي تنكّر له ؛ واتته الشهرة التي كانت حلم حياته ، ولكن بعد ان آذنت حياته بالافول ، واقتربت شمسه من المغيب ..

فلقد انهالت عليه التهاني في عيد ميلاده السبعين ، واهداه الموسيقار «فاجنر» احدىٰ ابرّاته تقديراً له واعجاباً به ..

لقد اتته الشهرة بعد ان فقدت ذلك البريق الساحر .. فسخر قائلاً :

«لقد عشت وحدي زمناً طويلاً .. وهان امري علىٰ الناس .. والآن ؛ جاءوا لكي يشيعوني الىٰ قبري بالدويّ والضجيج» ..



مي زيادة ؛ الادية التي شغلت الفلاسفة والادباء والشعراء العرب ..

مي زيادة وانفصام الشخصية

لقد استطاعت الأديبة «مي زيادة» ان تفتن اعلام عصرها ؛ وخاصة الرافعي ، والعقاد . وجبران خليل جبران ، والشاعر اسماعيل صبري الذي قال عنها :

يا ظبية من ظباء الأنس رائعة
بين القصور تعالىٰ الله باريكِ
هل النعيم سوىٰ يوم اراك به
او ساعة بتُّ اقضيها بناديكِ

اما الرافعي فقد قال عنها في كتابه ـ رسائل الاحزان :

«ومن خصائصها ؛ انها لا تعجب بشيئ اعجابها بدقة التعبير الشعري .. وكأنها تريد ان تجمع الىٰ صفاء وجهها ، واشراق خدّيها ، وخلابتها ، وسحرها ؛ صفاء اللفظ ، واشراق المعنىٰ ، وحسن العرض ، وجمال العبارة» .

ولدت «مي زيادة» في «الناصرة» بفلسطين ، في الحادي عشر من شباط من عام

١٨٨٦ » ودرست في لبنان ، ثم انتقلت - مع ابيها وامها - الىٰ مصر..

كانت «مي زيادة» تمتاز بصباحة الوجه ، وحلاوة الحديث ، وهي ذات ثقافة واسعة ؛ فلقد اتقنت - بالاضافة الىٰ اللغة العربية طبعاً - الفرنسية ، والانجليزية ، والالمانية ، والايطالية .. وكتبت الشعر باللغة الفرنسية في كتاب اسمْته «ازهار الحلم» ، ونشرته تحت اسم مستعار هو «ايزيس كوبيا» .. ثم كشفت عن نفسها .. ولقد ترجمت «رجوع الموجة» عن الفرنسية ، وكذلك «ابتسامات ودموع» ..

ومن اشهر كتبها : سوانح فتىٰ .. ظلمات واشعّة .. كلمات واشارات .. بين الجزر والمد .

ولقد اشتهرت - أكثر شيٍّ - بالمنتدىٰ الادبي الذي اقامته في دار ابيها بالقاهرة ؛ وكانت تستقبل فيه رواد الفكر والادب ، الذين راحوا يجتمعون في ناديها كل يوم ثلاثاء ، ابتداءاً من عام ١٩١٣ ..

وفي ذلك الوقت ؛ كان استقبال فتاة جميلة مثقفة للرجال في بيتها ، حدثاً فيه الكثير من الجاذبية والطرافة ..

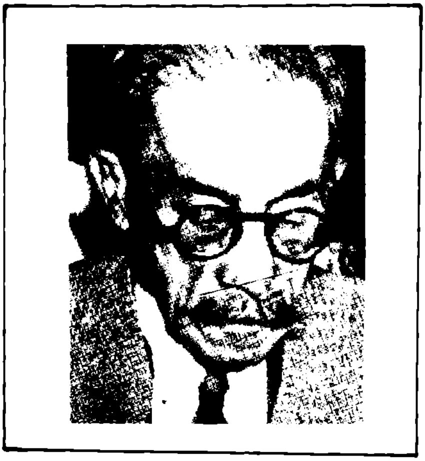
وكانت «مي» تتولىٰ الحديث وتوزعه بين الحضور ، وكانت بارعة في ذلك ..

ولقد توافد الىٰ ناديها كبار الادباء ؛ من امثال طه حسين ، واحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وخليل مطران ، وسلامة موسىٰ ، والعقاد ، والرافعي ، والمازني ، وغيرهم .. وعندما اضطر الشاعر اسماعيل صبري ان يغيب عن ندوتها - ذات ثلاثاء - كتب لها :

روحي علىٰ بعض الحيّ حائمة
كظامئ الطير توّاقاً الىٰ الماءِ
ان لم امتّع (بميّ) ناظريّ غداً
انكرتُ صُبحك يايوم الثلاثاءِ

ولقد أبتدأت مأساتها في عام ١٩٣٠ عندما توفي ابوها .. ومن بعده امها .. وفي عام ١٩٣١ توفي احبّ الرجال الىٰ قلبها ؛ الفيلسوف الشاعر «جبران خليل جبران» .. وكانت «مي» تكتب له رسائل عاطفية عميقة وهو في «نيويورك» .. وكانت تلك الرسائل تدل علىٰ حب عميق ، وربما كان «جبران» هو الزوج المأمول ؛ فقد دعته لزيارة القاهرة ، فكاشفها بمرضه العضال الذي قضىٰ عليه بعد ذلك ..

وبموت «جبران» تغيّرت «مي» كثيراً ، واعتزلت الناس ، وانكرت اصدقاءها .. وظهرت عليها بوادر الاصابة بمرض «الشيزوفرينيا» او انفصام الشخصية .. فادخلتْ



خليل مطران



حافظ ابراهيم



عباس محمود العقاد

هؤلاء هم بعض رواد «المنتدىٰ الادبي» الذي كانت تعقده «مي زيادة» كل يوم ثلاثاء ..

في مستشفىٰ الامراض العقلية الذي يسمىٰ «العصفورية» ، في لبنان ..

ثم عادت الىٰ مصر ، وهي لاتزال مريضة ، انهكتها المصائب ، وغزت عقلها الاوهام .. حتىٰ ان طه حسين ـ وكان من المقربين لديها ـ عندما زارها للاطمئنان علىٰ صحتها ؛ لم تسمح له بالدخول ، وقالت له : لا لقاء ! ! فلقدكانت تظن بأن اولئك الادباء الكبار لصوص يريدون سرقة حليّها ! !

يقول الدكتور طه حسين : كنت اخاف عليها من التشاؤم لكثرة قراءتها «لزوميات ابي العلاء المعري» ونصحتها بتركها فلم تفعل ..

وذات صباح من صباحات تشرين الاول من عام ١٩٤١ ؛ رحلتْ «مي» عن هذا العالم .. رحلت ، وبقي ظلّها خفيفاً ندياً ، يطلّ علينا من بين السطور . في كتب الرافعي . واسماعيل صبري ، وطه حسين ..



طه حسين : كنت اخاف على «مي» من التشاؤم لكثرة قراءتها «لزوميات ابي العلاء المعري» ، ونصحتها بتركها فلم تفعل ..

المـرض العجيب :

مرض انفصام الشخصية «الشيزوفرينيا» Schizophrenia ؛ مرض

عجيب غريب ، يتحول فيه الانسان الىٰ كائن آخر ، تحاول ان تفهمه فلا تستطيع ، وتحاول ان تنقل له وجهة نظرك فلا تفلح .. كل خطوط الاتصال بينك وبينه تنهار ؛ فهو يعيش في عالم آخر ، من صنع خياله واوهامه ..

وهو قد يخبرك باحداث مغرقة في الخيال ؛ كأن يقول لك بأن هناك «طبقاً طائراً» يطلق علىٰ جسمه اشعة «الليزر» فيحدث فيه كذا وكذا ..

وقد حدّثني احدهم قائلاً : «لقد اتىٰ الي عالمان امريكيان ، ونقلاني سراً - الىٰ الولايات المتحدة ، وهناك اجريت له عملية جراحية ؛ قام بها عدد من الجراحين الامريكيين الذين أستئصلوا دماغي وعبثوا به ما شاء العبث .. والان ، احس وكانني شخصان يختلفان بوجهات النظر وأسلوب التفكير» ! !

ومرض «الشيزوفرينيا» ليس قليل الانتشار ؛ فمن كل مئة فرد ، هناك واحد مصاب به ..

وانك لتعجب كيف يتحول الشاعر الرقيق ، او الاديب المبدع ؛ الىٰ شخص غريب الاطوار ، مضطرب الفكر ، عندما يحل به هذا الداء ، كما حدث للاديبة الكبيرة «مي زيادة» .. ويزداد عجبك وانت ترىٰ فناناً مرهف الحس ، يقطع اذنه ليقدمها هدية الىٰ حبيبته ؛ كما فعل الفنان «فان جوخ» ! !

لو عرف السبب :

لقد تضاربت الافكار كثيراً حول اسباب هذا المرض الغريب الذي يصيب الانسان في مرحلة الشباب ، عندما تكون الشخصية في دور التكوين والبناء والنمو ..

في القرن التاسع عشر ، اعتقد العلماء الالمان بأن هذا المرض ينتج عن تلف او ضمور في بعض خلايا الدماغ .. واعتقد آخرون انه ينشأ عن اضطرابات هرمونية ... ولكن التحرّيات الدقيقة لم تثبت صحة ذلك ..

ثم ظهرت نظرية أخرىٰ تؤكد علىٰ ان المرض ينشأ عن تناول مادة سامة يأخذها الفرد مع الطعام او الشراب ؛ او ان هذه المادة تتكون داخل الجسم كنفايات كيميائية .. وقد اعتمدت هذه النظرية علىٰ ظاهرة معروفة ؛ وهي ان تناول مادة «المسكالين» Mescaline او مادة L . S . D ، يؤدي الىٰ حصول حالة مؤقته تشبه الشيزوفرينيا ..

ومرة أخرىٰ ، لم تصل البحوث الىٰ تأكيد حاسم علىٰ صحة ذلك .. كما لم تتأكد صحة النظرية التي تقول بان المرض ينشأ عن اصابة الدماغ بالرواشح «الفيروسات» ..

ولعل اقوىٰ تلك النظريات ، هي النظرية الوراثية ؛ فالاحصائيات تثبت

بوضوح اهمية العامل الوراثي .. فالمرض يصيب عامة الناس بمعدل واحد من كل مئتين ؛ بينما نجد اولاد المرضىٰ يصابون بمعدل عشرة بالمئة ..

ولقيت هذه النظرية قبولاً واسعاً في المانيا قبل الحرب الكونية الثانية ، واجبر المرضىٰ علىٰ اجراء عملية التعقيم sterilization ؛ اي جعلهم عقيمين لا ينجبون ، منعاً لانتشار المرض ! !

ومن النظريات الاخرىٰ التي تلقىٰ قبولاً حسناً لدىٰ الاوساط العلمية ؛ هي ان تفكك العائلة ، والخلافات المستمرة بين الوالدين ، تؤهل الطفل للاصابة بالمرض ..

ولقد وجد ايضاً ان انتشار المرض في المناطق الريفية ، اقل من انتشاره في المدن الكبيرة المكتظة ..

ولقد لوحظ ان المرض يحدث غالباً لدىٰ الافراد الذين يمتلكون شخصيات شبه فصامية .. والشخصية شبه الفصامية schizoid personality

تمتاز بالعزوف عن المجتمعات ، والميل للعزلة ، والخجل الزائد ، والبرود العاطفي ، وقلة الاهتمام بالمحيط الخارجي ، والميل للأغراق في الخيال ، والتعصب الاجوف مع العناد والتصرفات الغريبة .. ويميل اصحاب هذه الشخصية للطول والنحافة وضيق الصدر ..

ولعل من اطرف الملاحظات حول هذا المرض ، هي زيادة معدل الاصابات لدىٰ اولئك الذين يولدون في الاشهر الاربعة الاولىٰ من السنة ! !

ويفسر بعض العلماء هذه الظاهرة ، علىٰ ان الطفل الذي يولد في أشهر الشتاء ، يكون أكثر عرضة للاصابة بالتهابات الفيروسية التي قد تؤثر تأثيرات سلبية علىٰ نموه العقلي .. يضاف الىٰ ذلك ، احتمال نقص التغذية للام وطفلها في هذا الفصل القاسي ..

وخلاصة القول ؛ ان هذا المرض الغريب ، يكتنفه الغموض من جوانب كثيرة .. وما تعدّد النظريات التي وضعت لتفسيره سوىٰ دليل يؤكد هذا الغموض ..

اوتزعم ـ بعد ذلك ـ انك جرم صغير
وفيك انطوىٰ العالم الاكبر ؟ !

قصة مريضين :

في مستشفىٰ «ابن رشد» حدّثني احد المرضىٰ عن مشكلته قائلاً :

«كنت في زيارة لاحدىٰ العتبات المقدسة في كربلاء ، وكان الزحام شديداً ، واحسست بشخص يدوس علىٰ قدمي ؛ ففهمت كل شيءٍ» .

قلت : وماذا فهمت ؟ !

قال : « ان ذلك الرجل هوّ بلا شك ـ احد أفراد عصابة تريد قتلي ، وقد داس علىٰ قدمي ليشير الىٰ اقتراب موعد التنفيذ ! ! » .

وقد حاولت اقناعه بان ذلك مجرد وهم ، ولكن جهودي لم تنفع معه ، ولم تفلح في اقناعه سوىٰ جرعات كبيرة من عقار «اللارجاكتيل» ! !

وحدّثتني احدىٰ المريضات قائلة بأن سمعتها قد تدهورت ولاكتها السِنة الناس .. فتصورت للوهلة الاولىٰ انها ربما قامت بعمل خاطئ ، فقلت لها : وكيف ذلك ؟ قالت : لقد رأيت في غرفتي علكة «العلكة هي اللبان» ، ومعنىٰ ذلك انني اصبحت علكة في افواه الناس وهذا مثل عامّي معناه تدهور السمعة» ! !

هذان مثالان علىٰ اضطراب التفكير لدىٰ مرضىٰ الشيزوفرينا .. ويمكن القول ان هذا المرض يتصف باربعة اعراض رئيسية ، وهي :

اضطراب التفكير .

اضطراب الادراك .

اضطراب العاطفة .

اضطراب السلوك .

اضطراب التفكير :

ومظاهر هذا الاضطراب عديدة ، فقد تتحدث مع مريض ، فيكلمك ثم يسكت فجأة ليتحدث عن موضوع آخر لا علاقة له بما سبق ..

وقد تتداخل الافكار والمواضيع والمعاني مع بعضها في ذهن المريض ، لتظهر ـ بعد ذلك ـ متداخلة متشابكة . فتكون الجمل والكلمات مضطربة غير مفهومة . وهذا هو ما يطلق عليه اختلاط الكلمات «او سَلَطة الكلمات» Words Salad .. ومن أمثلة ذلك ما تحدّث به احد المرضي الراقدين في مستشفىٰ «مدينة الطب» ببغداد ، وقد طلب منه ان يتحدث عن مشكلته فكتب :

«لقد فكرت ببساطة . وكلمة ـ بساطة ـ تتكون من مقطعين : بس ، وساطة .. وكلمة ـ بس ـ تعني ستة ، وكلمة ـ ساطة ـ تعني طيّة ..

وان الرقم ـ ستة ـ يسمىٰ في الانجليزية ـ سكس ـ والتي تعني الجنس ايضاً .. وبما ان عدد الاغنام في العالم العربي هو ٦٦٦ ؛ فذلك دليل علىٰ ان الجنس عمل بهيمي .. وانني لاشعر بمزيد من الفخر باولئك الذين يحاولون تخليص البشرية من ـ البؤرة الاحتباطية ـ التي هي مصدر الالام والمعاناة» ! ! !

هل فهمت شيئاً اخي القارئ ؟ !

ولا أنا ! !

ويعاني المريض من عدم القدرة على التفكير التجريدي ؛ فلو سألته - مثلاً - عن معنى «عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة» ، لفسّره كما هو ، دون ان يدرك المعنى المجازي لمضمونه ..

وقد يتصور المريض بان هناك قوة خارجية تزرع في دماغه افكاراً معينة ، وتسحب افكاراً اخرى ، او تعبث ما شاء لها العبث .. وتختلف هذه القوة باختلاف ثقافة المريض ؛ فقد تكون ارواحاً شريرة او شياطين ، وقد تكون اطباقاً طائرة او اقماراً صناعية ..

ويبدو للمريض ان افكاره تذاع على الملأ ؛ فما يفكّر فيه في احد الايام ، يجد الناس - في اليوم التالي - وهم يتناقشون حوله ويتجادلون .. وكان رأسه قد تحول الى اذاعة تبثّ للناس افكاره ! !

والمريض يفسّر احداثاً بسيطة تفسيرات شتّى لاتمتّ الى الحدث بصلة .. فعندما يرى اشارة المرور - مثلاً - تضيء باللون الاحمر ؛ فقد يتصور ان هذه دلالة على كونه رجلاً عظيماً ، او صاحب رسالة تنقذ الانسانية من المصائب والويلات ! !
او يظن بأن تلك الأشارة الحمراء جهاز يرصد حركاته او يطلق عليه اشعة قاتلة ! !

اضطراب الادراك :

يضطرب ادراك المريض في تفسير كثير من الظواهر ؛ فعندما ينظر اليه الناس ، يتصور انهم يهزأون به او يسخرون منه .. وعندما يرى جماعة يتكلمون فيما بينهم ، يتصور انهم يتحدثون عنه ..

وفي كثير من الاحيان ، يكون اضطراب الادراك بهيئة هلاوس Hallucination ؛ واهمها ، الهلاوس السمعية ، اذ يسمع المريض اصواتاً لا وجود لها .. وقد تكون هذه الاصوات رنيناً او كلمات غامضة غير مفهومة .. واحياناً ، تكون الكلمات واضحة تسبّ المريض وتنعته بابشع النعوت ، وتطعنه في شرفه ؛ فتراه يغضب فجأة ويثور دونما سبب ظاهر . وقد تكون هذه الاصوات بهيئة اوامر يُطلب من المريض تنفيذها ؛ وربما ارتكب المريض جريمة او قام بعمل هدّام بناءً على تلك الاوامر ! !

وفي بعض الاحيان تكون الهلاوس بصرية ؛ فيرى المريض اشباحاً او مناظر معينة لا يراها غيره ..
وقد تكون الهلاوس حسية ؛ فيشعر المريض وكأن حشرات تتحرك على جسمه .. وربما كانت الهلاوس شمّية ؛ فيشم المريض روائح كريهة ، ويخيل اليه انها موجهة من

اعدائه . او من احد المذنبات ! !

ومن الهلاوس الغريبة ما حدثتني به مريضة كانت ترقد في مستشفى «ابن رشد» . فقد كان يخيل اليها انها تطير فوق السحاب . وكانت - بين حين وآخر - تنظر الى الاسفل لترى الارض والناس ! !

ومريضة أخرى كانت تحس عالماً كاملاً في جوفها ؛ فهي تسمع اصوات السيارات تمشي في احشائها . وتسمع ضجيج الناس . ونباح الكلاب ! !

اضطراب العاطفة :

يكون المريض متبلد العاطفة . خالياً من دفء العواطف الانسانية ؛ فتراه لا يعبأ كثيراً بما يدور حوله من احداث . وقد لا يتألم للاحداث المحزنة . ولا يبتهج بالاحداث او المناسبات السارة ..

بل ان عواطفه تسلك سلوكاً معاكساً في بعض الاحيان ؛ فتراه يبتسم ابتسامة بلهاء عند سماعه بوفاة احد اصدقائه او اقاربه .. وربما اجهش بالبكاء في حفلة زفاف اخيه ! !

اضطراب السلوك :

يضطرب سلوك المريض بشكل واضح ؛ فقد يتبول او يتبرز في مكان عام .. وتراه يتكلم مع اشباحه ويحاورها او يمازحها .. واحياناً يخرج الى الشارع عارياً ..

وتقييم السلوك يختلف من مجتمع الى آخر ؛ فخروج المرأة شبه عارية . يعتبر ظاهرة طبيعية في متنزهات لندن او شواطئ باريس ..

اما لو قامت بذلك امرأة قروية في مجتمع محافظ . فذلك دليل على اضطراب خطير في السلوك ..

التشخيص :

حالات «الشيزوفرينيا» المزمنة سهلة التشخيص ؛ وفيها يكون المريض قد بلغ مرحلة من التدهور العقلي والاجتماعي لاتدع مجالاً للشك في طبيعة مرضه العقلي ..

وتبرز مصاعب التشخيص في الحالات الحادة المفاجئة . خاصة اذا كان الفرد سوياً متزناً قبل ذلك ..

ومما يزيد من صعوبة التشخيص ؛ هو الاختلافات الاجتماعية والعقائدية الشاسعة بين مجتمع وآخر .. فما يعتبر ظاهرة شاذة في احد المجتمعات . قد يعتبر عملاً سوياً في

مجتمع آخر..

ولهذا اكبّ العلامة «شنايدر» لتحديد الاعراض الرئيسية، التي ان وجد احدهم لدى الشخص، اعتبر مصاباً بالشيزوفرينيا.. وهذه الاعراض - كما لخّصها «ميلور Mellor عام ١٩٧٠» هي:

١ - هلاوس سمعية تكون بهيئة اصوات تنطق بافكار المريض او تتوقعها.. او بهيئة صوتين او ثلاثة تبحث شؤون المريض او تجادل في امره؛ كأن يسمع صوتاً يقول بأن هذا الشخص «اي المريض» عديم الاخلاق، فيجيب الصوت الثاني بانه ليس كذلك ولكنه منحرف المزاج.. فيتدخل صوت آخر قائلاً: لا احد يفهم هذا الشخص غيري وانا اقول حقيقة امره..

او تكون تلك الهلاوس السمعية بهيئة اصوات تعلق على على افكار المريض وسلوكه؛ فاذا مشى مثلاً، قال الصوت «ها هو فلان ابتدأ المسير».. وهكذا؛ وكأنه في ساحة كرة القدم، والمعلّق يصف حركاته!!

٢ - الشعور بأن افكاراً معينة قد زرعت في عقله، او سحبت منه؛ بتأثير قوة خارجية..

٣ - شعور المريض بأن تفكيره لم يعد محصوراً في ذهنه، وانما اصبح متناقلاً بين الناس؛ وكان هناك اذاعة خفية تبثّ للناس افكاره..

٤ - شعور المريض بأن احاسيسه واعماله تجري تحت سيطرة قوى خارجية؛ فهو يكره فلاناً من الناس بسبب الاشعة التي سلطت عليه من «مذنب هالي».. وهو يذهب الى المكان الفلاني بتأثير المجالات المغناطيسية التي احاطت به ودفعته الى ذلك المكان!!

٥ - الاوهام المبنية على ظواهر اعتيادية ومألوفة..

فرنين جرس التلفون - مثلاً - قد يعني للمريض بأن رسالته الكبرى للبشرية قد آن اوانها!!

العلاج:

لقد استعملت الصدمة الكهربائية اول مرة في عام ١٩٣٨ لمريض مصاب بالشيزوفرينيا.. وهي تستعمل ايضاً في علاج الكآبة..

وفي واقع الامر، فان علاج الشيزوفرينيا، يتم - في معظم الحالات - بواسطة ما يسمى بالعقاقير المعقّلة Neuroleptic Drugs؛ وهي عقاقير تحسّن حالة المريض العقلية، فتتلاشى اوهامه وخيالاته المريضة، ويستقيم سلوكه..

واشهر هذه العقاقير هو «اللارجكتيل» Largactil والستيلازين Stelazine ..

اما اللارجاكتيل فيستعمل- عادة- في علاج حالات الشيزوفرينيا التي يرافقها عنف وهياج ..

وأما الستيلازين فيفضل استعماله للمرضى الخاملين المنطوين على انفسهم ..

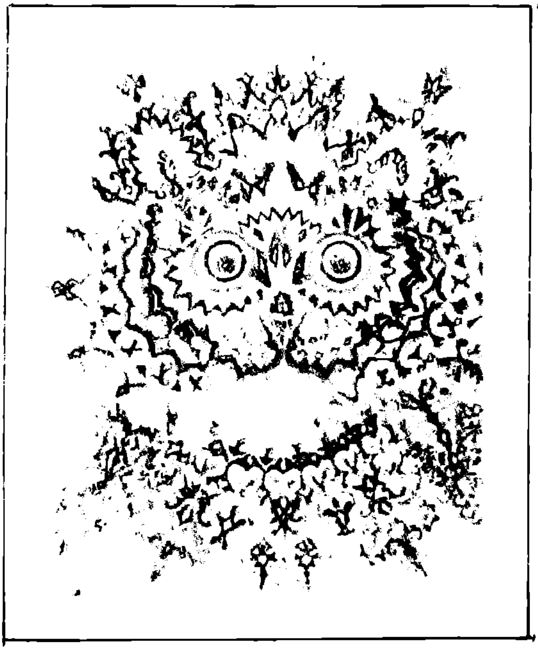
ولكلٍ من الصدمة الكهربائية، والعقاقير، اضرار جانبية معروفة.. وتلك سُنّة الحياة التي لا تعطينا شيئاً باليمين الا وقبضت ثمنه بالشمال !!



قبل اصابته بالمرض يرسم المريض القطط وهي تتزاور في احتفال اجتماعي لتناول الشاي .



بعد اصابته بالمرض يرسم الفنان القطة في عزلة تامة .



بعد تقدّم المرض تظهر القطة وقد تحللت هيئتها واختلطت بالمحيط .



الرئيس المصري الراحل «انور السادات» كان في طفولته مصاباً بالفزع من القطار ! !

انـور السادات
والخـوف من القطـار

الرئيس المصري الراحل «انور السادات» ؛ كان ـ في طفولته ـ يخاف من القطار ، اي قطار .. وفي كتابه «البحث عن الذات» ؛ يتحدث عن ذلك قائلاً :

«اتذكّر اول مرة ذهبت فيها الىٰ السينما ، كانت تجربة مفزعة ؛ فلقد رأيت قطاراً يأتي من اعماق الشاشة باتجاهي ، وبسرعة هائلة .. ماذا افعل؟! اغلقت عينيّ وانحنيت الىٰ الوراء .. ولكن ضجيج القطار يملأ مني الأذنين ..
لماذا الانتظار؟ تركت مقعدي واسرعت في الهرب !! لكني فوجئت بالمشاهدين الاخرين متسمّرين في مقاعدهم ، يتأملون الفيلم بهدوء ، وكأن شيئاً لم يحدث .. فقلت : هذا شأنهم .. وعندما وصلت الىٰ الباب الخارجي ، التفتُّ الىٰ الشاشة ؛ فرأيت القطار قد اختفىٰ ، وحلّ محله رجل وامرأة يأكلان في مقهىٰ صغير .. عندئذٍ ، رجعت الىٰ مقعدي ، وتفرّجت علىٰ الفيلم بهدوء ..

كان كل ذلك مدهشاً ؛ حتىٰ انني اشتريت تذكرة للعرض المقبل ، وجلست اشاهد ذلك القطار المدهش» ..

وفي مكان آخر من الكتاب «النسخة الانجليزية» يقول :

«انني اكره القطار .. عندما اراه ، اشعر بأنه يلحق بي ؛ فاذا اسرعتُ اسرع ، واذا تباطأتُ تباطأ .. ماذا يريد مني هذا القطار؟ هل يريد ان يسحقني تحت عجلاته المدّمرة الضخمة؟ هذه الاسئلة بلا جدوىٰ ..
وكلما نظرت الىٰ الخلف ، كان القطار يلاحقني مرة اخرىٰ .. ولا أشعر بالأمان ، الا بعد ان ابلغ مكاناً لا يستطيع القطار ان يصله» ..

فرويد والفزع :

الخوف او الفزع phobia ؛ حالة نفسية معروفة ، وهي شعور الفرد بخوف شديد من أشياء معينة لا تخيف بقية الناس .. ويترافق هذا الخوف برغبة الفرد في الهرب بعيداً عن ذلك الشيْ المخيف ..

ويعتبر الخوف من الظلام او الكلاب ، لدىٰ الاطفال ، ظاهرة طبيعية .. وربما كان خوف «انور السادات» من هذا النوع .. اما لو استمرّ الخوف الىٰ ما بعد مرحلة الطفولة فيعتبر حالة مرضية ..

والاشياء المفزعة تختلف من مريض الىٰ آخر ؛ بعضهم يخاف من الظلام ، والبعض الآخر يخاف من القطط والكلاب او غير ذلك من الحيوانات الأليفة .. وقد يخاف المريض من المناطق المرتفعة ، او المناطق الواسعة ، او البرق والرعد .. ومن هذه الاشياء ايضاً : النار .. الطائرة .. الدم .. السكاكين .. القطار .. الطيور ..

الازهار .. الخسوف .. الكسوف .. الاطباء .... الخ

ولقد كان العلاّمة «فرويد» الطبيب النفسي الشهير ، مصاباً بالفزع ، فقد كان يخاف من الفلاة او الاماكن الواسعة الفسيحة ! ! وقد يكون هذا احد الاسباب التي دفعته الىٰ دراسة مرض «الفزع» بعناية وعمق ..

وفي عام ١٩٠٩ نشر «فرويد» مقالة مفصلة عن احدىٰ حالات الفزع التي درسها بتفصيل ؛ وتعرف بحالة «هانس الصغير» Little Hans

فلقد كان «هانس» ـ وهو طفل عمره خمس سنوات ـ يخاف من الخيل خوفاً شديداً ، وعندما يُسأل عن السبب يجيب بانه يخاف ان تعضّه ..

وعندما قام «فرويد» بالتحليل النفسي لهذا الطفل ؛ وجد انه يكره اباه كرهاً شديداً ، وانه كثيراً ما تراوده افكار الاعتداء علىٰ ابيه وضربه .. ولانه لايستطيع ذلك ، فقد نشأ في نفسه صراع شديد ؛ فهو يكره اباه ويخاف منه ، ولكنه لا يستطيع ان ينتقم منه او يتغلب عليه .. وعندئذ لم يكن امام هذا الطفل سوىٰ كبت مخاوفه ..

ولكي يكون من الممكن الابقاء علىٰ هذا الخوف مكبوتاً ؛ فلابد من ربطه بمصدر آخر .. الحصان مثلاً ..

يقول فرويد : «ان الخوف من الحصان أقلّ ازعاجاً للطفل من الخوف من ابيه ؛ فهو يستطيع الهرب من الحصان ، في حين انه لا يستطيع التخلص من والده او الهروب منه» .. تلك هي نظريّة «فرويد» في تفسير هذا المرض النفسي ..

نظـريات الفزع :

هناك ثلاث نظريات لتفسير مرض «الفزع» .. منها «النظرية النفسية» او «نظرية فرويد» التي أشرنا اليها قبل قليل ؛ والتي تؤكد علىٰ ان الفرد يصاب بالفزع ، عندما يمرّ بتجربة نفسية لا يستطيع تحملها ، فيقوم العقل الباطن باستبدال مصدر الخوف هذا بمصدر آخر يستطيع ان يتحمّله او يتجنّبه ..

واستناداً الىٰ هذه النظرية ؛ فلو رأيت رجلاً يخاف من القطط ـ مثلاً ـ الىٰ حد الرعب، وربما الهرب بعيداً عنها ، فهو ـ في حقيقة الأمر ـ يخاف من شيْ آخر لا يستطيع تحمّله او تجنّبه ، فقام ـ دون وعي منه ـ باستبدال هذا الشيْ بالقطط التي يستطيع ان يتجنبها او يهرب بعيداً عنها ! !

اما النظرية الثانية ، والتي تبدو لي أكثر اقناعاً من سابقتها ؛ فهي نظرية اتباع المدرسة البافلوفية «نسبة الىٰ بافلوف ـ العالم الروسي الشهير» .. وتؤكد هذه النظرية علىٰ ان الفزع من اشياء معينة يحصل عندما تترافق هذه مع ظروف او احداث مخيفة ..

والتجربة التالية التي قام بها احد العلماء على الطفل الصغير «البرت» البالغ من العمر احد عشر شهراً ؛ تثبت صحة تلك النظرية :

كان «البرت» يحب الجرذان البيضاء ويلعب معها بانسجام ظاهر.. وكان ذلك العالم يحمل في يديه قضيباً من الحديد ومطرقة.. وكلما كان الطفل يمد يده لتناول احد هذه الجرذان، كان العالم يقرع المطرقة ؛ فيصدر عنها صوت عالٍ يخيف الطفل..

ويوماً بعد يوم، راح الطفل يخاف من تلك الجرذان، حتى لو لم يكن هناك ذلك الصوت المفزع.. ليس هذا فقط، بل ان الطفل المسكين راح يفزع من جميع الحيوانات الشبيهة بالجرذان!!

وكثير من الاحداث الشائعة تؤيد هذه النظرية ؛ فانت ترى احد اطفالك يلعب مع القطط دون وجل، ولكن لو عضّه احدها، لراح يخاف منها، وربما الى حد الفزع او الرعب الشديد..

اما النظرية الثالثة فهي «نظرية الغرائز».. وترى هذه النظرية ان الخوف هو احدى الغرائز التي تولد مع الانسان، ولا علاقة بالظروف المحيطة بالانسان في حصولها.. ويدللون على ذلك، بخوف الطفل الصغير الذي لا تجربة له، من الصوت المرتفع..

ويرى انصار هذه النظرية ان شدة الخوف او ضعفه تعتمد على قوة هذه الغريزة او ضعفها..

ويبدو ان معظم مخاوف الاطفال هي من هذا النوع، اي انها مخاوف غريزية.. فترى الطفل يخاف من الظلام دون سبب.. وتراه يخاف من الكلاب.. وهذه المخاوف تزول - عادة - بمرور الوقت..

ولاشك في ان للأمّ دوراً كبيراً في زوال هذه المخاوف او تفاقمها.. فالام التي تحكي لطفلها قصص العفاريت التي تخرج في ظلام الليل.. او قصص اللصوص الذين يسرقون الاطفال.. او تخيف طفلها وتهدده بالكلاب والذئاب.. هذه الام تزرع في نفس طفلها البذور الاولى لمرض الفزع..

وأين هذه الأم من تلك الأم الانجليزية التي كانت تحكي لطفلها تاريخ «انجلترا»، بشكل حلقات ؛ حلقة كل ليلة.. فنشأ بعد ذلك، ليصبح من أعظم المؤرخين في القرن العشرين.. انه «ارنولد توينبي» الذي كان يقول دائماً : «ارضعتني امي التاريخ» ؟!!

من قصص المرضى :

يروي الدكتور «علي كمال» في كتابه «النفس : انفعالاتها وامراضها وعلاجها»

القصة التالية لاحد المرضىٰ المصابين بالفزع :

«شاب في الخامسة والعشرين ، يشكو من الفزع الشديد من عبور الجسر بأيّة وسيلة كانت ، مما يجعله يحاذر العبور من ناحية المدينة الىٰ الناحية الاخرىٰ..

كما انه يشعر بالرهبة والرعب ، عند سماعه دق الطبول بايّة مناسبة..

وقد تبيّن من استقصاء تجاربه السابقة ؛ انه - في طفولته - اصيب بالخوف الشديد ، عندما رأىٰ ساحراً يدق الطبل.. ومنذ ذلك الحين ، نشأ في نفسه شعور الخوف من دق الطبول..

اما خوفه من عبور الجسر ؛ فقد نشأ عن ادراكه - في صغره - بأن عبور الجسر في اتجاه معين ، سيقرّبه الىٰ ناحية الساحر وطبله..

وبمرور الزمن ، نُسيت تجربة الساحر ، ولم يبق في ذهن الشاب الا الخوف من صوت الطبل ، والارتباطات الذهنية المتعلقة بذلك»..

وهذه القصة تؤيد النظرية الثانية «نظرية اتباع المدرسة البافلوفية» التي تحدثنا عنها قبل قليل..

ويروي الدكتور «علي كمال» القصة التالية ايضاً في نفس الكتاب :

«شاب في الخامسة والثلاثين من عمره ، متزوج ويعمل موظفاً في احدىٰ المصالح الحكومية.. جاء يشكو من الخوف الذي ينتابه اثناء تناول الطعام ، مما يؤدي الىٰ تعذر نزول الطعام من بلعومه الىٰ المعدة ؛ فيشعر بالاختناق..

وقد ادّىٰ تكرار هذه الحالة الىٰ امتناعه عن الطعام.. وامتدّ فزعه - بعد ذلك - الىٰ مجرد رؤية الطعام ، او المرور باحد المطاعم ؛ فلقد كان ذلك كافياً لشعوره بالفزع ، مع توّقع الاختناق..

وقد تبيّن - بوسيلة الاستقصاء النفسي لظروف المريض - انه متهم بالرشوة ، وان القضية معلقة ؛ وعلىٰ اثر ذلك ، بدأت نوبات الفزع تنتابه..

كما تبيّن - بتحليل اعمق لتجاربه النفسية السابقةّ بأنه في صغره غصّ وهو يأكل السمك ، لاستقرار عظمة في حلقه ، وانه - كما قالت جدته التي تذكّره بالحادث بين حين وآخر - قد اشرف علىٰ الموت لانقطاع نَفَسه ، الىٰ ان استخرجت العظمة»..

الطوفان :

من اهم وسائل علاج الفزع هو ما يسمىٰ «العلاج السلوكي» Behavioural Therapy .. ويمكن تقسيم ذلك الىٰ طريقتين رئيسيتين :

طريقة الطوفان Flooding

طريقة التبليد Desensitization

اما طريقة الطوفان ، فيتم فيها احضار المريض وجهاً لوجه مع مصدر الخوف او الفزع .. فاذا كان يخاف من الكلاب - مثلاً - فاننا نأخذه الىٰ مكان ، يجد نفسه فيه مع كلب ضخم او مجموعة من الكلاب .. ورغم ان هذه الطريقة مفيدة في بعض الحالات ، فانها - في حالات اخرىٰ - قد تؤدي الىٰ رعب شديد ، فيغمىٰ عليه ، او يولّي هارباً ولا يعقّب ! ! واذا كان ممن يحفظون الشعر ، فقد يهرب مردداً :

وفي الهيجاء ما جرّبتُ نفسي

ولكن في الهزيمة كالغزالِ ! !

ولهذا تفضل طريقة التبليد فهي أكثر أماناً واقل خطراً .. وفيها يتم تعريض المصاب لما يخيفه بصورة تدريجية .. فلوكان يخاف مَن القطار - مثلاً - فاننا نريه دمية صغيرة بهيئة قطار .. او نريه صورة القطار ، ونسمعه صوته من خلال جهاز تسجيل .. وبعد ذلك نجعله ينظر الىٰ القطارالحقيقي من مسافة معينة .. ثم يقترب منه ... وهكذا .

والفكرة وراء هذه الطريقة واضحة ؛ اذ يتّم تكييف المريض - شيئاً فشيئاً - مع مصدر الفزع ..

اما العقاقير التي تستعمل في علاج الفزع فهي المهدئات النفسية ، ومن امثلتها «اللبريوم» Librium الخوف ؛ فيهدئ من روعه .. ويمكن تناول هذه العقاقير بطريقة وقائية ؛ فلوكان الشخص ممن يخافون ركوب الطائرة ، او عبور النهر - مثلاً - وكان لابد للمريض من ذلك ..

فعندئذ يتناول هذا الدواء ، قبل ان يقدم علىٰ ذلك العمل المفزع ..

ولقد وجد بعض الباحثين فائدة علاجية باستخدام مضادات الكآبة ، مثل «التوفرانيل» Tofranil الذي يبدو وكانّه يخفف من فزع المريض ، او يمنحه بعض الاقدام والجرأة علىٰ مواجهة مصادر الخوف ..



جمال عبد الناصر

جمال عبد الناصر
واحتشاء عضلة القلب

خلال اعدادي لمواد هذا الكتاب ، وجدت ان عدداً كبيراً من المشاهير ، قد ماتوا باحتشاء عضلة القلب «الجلطة القلبية» ..

ولم استغرب ذلك على الاطلاق .. فامراض القلب ، وعلى رأسها «احتشاء عضلة القلب» ، هي المسؤولة عن معظم الوفيات في العالم ؛ وللعالم المتحضر حصة الاسد من ذلك ..

ولا غرابة ان يصاب «جمال عبد الناصر» بهذا المرض ؛ فالصدمة النفسية التي أصيب بها على أثر هزيمة ١٩٦٧ ، لم تكن ككل الصدمات ..

كان «جمال عبد الناصر» قبل تلك النكبة ، ملءَ سمع الدنيا .. وكان العرب ينظرون اليه كقائد محنك قلّ نظيره ، ويصغون - باهتمام كبير - الى خطبه العصماء التي تلهب المشاعر وتشحذ الهمم ..

كان يهدد ويتوعّد ، وينذر «اسرائيل» بالويل والثبور ، اذا لم تستجب لارادة العرب ..

ثم كانت الهزيمة المرّة في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ؛ وظل «جمال عبد الناصر» يجترّ آلامه واحزانه .. ومن المعروف ان الصدمات النفسية تمهّد للاصابة باحتشاء عضلة القلب .. المرض الذي اصاب «جمال عبد الناصر» وقضى عليه بعد ثلاث سنوات من النكبة ..

ولم يكن «جمال» وحده في الاصابة .. بل ان العالم العربي - بأسره - اصيب

بالاحتشاء في قلبه .. وقدسه ! ! ولا يزال يعاني من آلام الصدر المبرّحة التي تقضّ المضاجع وتكتم الانفاس ! !

مشاهـير آخرون :

عالم الكيمياء الامريكي «بول فلوري» الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء سنة ١٩٧٤ ، توفي - متأثراً باحتشاء عضلة القلب - في عام ١٩٨٥ .

والموسيقار الكبير «فريد الاطرش» اصيب - عدة مرات - بهذا المرض الذي قضى عليه في نهاية الامر..

والممثل الشهير «سيلفستر ستالون» الذي اشتهر بدور الرجل الذي يواجه المصاعب ويتغلب عليها ؛ لم يستطع ان يتغلب على مشكلته الحقيقية عندما تخلّت عنه زوجته «ساشا» وطلبت منه الطلاق ، فاصيب بنوبة قلبية ..

وممثلة السينما الصامتة «لويزا بروكز» اصيبت بالمرض ، وتوفيت عن عمر يناهز الثامنة والسبعين وذلك في عام ١٩٨٥ ..

وهناك كثيرون منهم اصيبوا بالمرض «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» ! !

احتشاء عضلة القلب :

اذا كان القلب هو الذي يضخ الدم الى انسجة الجسم كافة ؛ فانه - وهو العضلة التي تنبض ليل نهار - يحتاج الى الدم الذي يزوده بالغذاء والاوكسجين ..

وجدران القلب ، ياتيها الدم عن طريق شرايين تتفرع عن الشريان الابهر ، وتسمى بالشرايين التاجية لانها تكلّل القلب كما يكلل التاج رأس الملك ! !

وعندما تتصلب هذه الشرايين ؛ يقلّ الدم المار فيها الى القلب .. وقد لا يكون ذلك ذا تأثير واضح عندما يكون الجسم مرتاحاً ؛ ولكن ، عندما يحتاج الجسم الى كميات كبيرة من الاوكسجين - اثناء المجهودات العضلية مثلاً - فان الشرايين التاجية المتضيقة ، تعجز عن تلبية حاجة القلب المتزايدة الى الاوكسجين ، فيشعر المصاب بألم في منتصف الصدر يمتد الى الرقبة والكتف الايسر والذراع الايسر ..

ويزول هذا الألم ؛ لو أخذ المريض قسطاً من الراحة ، او تناول حبّة «نتروجلسرين» تحت لسانه ..

وتلك هي «الذبحة الصدرية» Angina Pectoris ولكن ، ماذا لو اصيب احد الشرايين التاجية بالانسداد ؟

عندئذ ، سوف يُحرم القلب من الاوكسجين حرماناً منكراً ؛ فيصاب جزء منه بالنخر

او التلف .. وبعبارة اخرى ، فان جزءاً من القلب يموت ! ! Necrosis

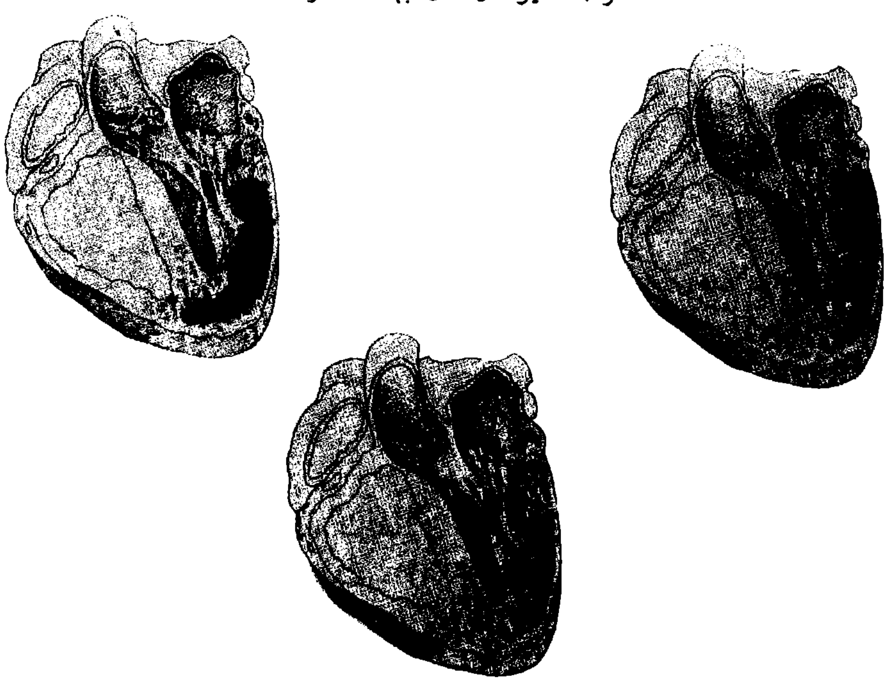
وهـذا هو «احتشاء عضلة القلب» Myocardial Infarction والذي يعرفه الناس بأسم «الجلطة القلبية» ..

واذا اصيب المرء بهذا المرض ؛ فانه سيشعر بألم شديد في وسط الصدر يمتد الىٰ الرقبة والكتف الايسر والذراع الايسر .. وهو ـ في ذلك ـ شبيه بالم الذبحة الصدرية ولكنه أشد وانكىٰ ، ولا يزول بالراحة او تناول حبوب «النتروجلسرين» ..

وفي بعض الحالات ، يكون ألم الصدر خفيفاً هيّناً ، وقد لا يشعر المريض بأي ألم علىٰ الاطلاق ؛ وذلك عندما يكون الانسداد قد اصاب فرعاً صغيراً من فروع الشرايين التاجية ..

اما في الحالات الشديد ؛ فيكون الألم منكراً ، يصيب المريض بالرعب ، فيبدو شاحباً غزير التعرق بارد الجلد ، وربما احسّ بدنو اجله .. واذا كان ثرياً فقد يردد مع نفسه ذلك اللحن الحزين :

لعمرِك ما يُغني الثراءُ عن الفتىٰ
اذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصدرُ ! !



اماكن مختلفة لحصول احتشاء عضلة القلب «الجلطة القلبية»

بين يديّ الطبيب :

ليس صعباً علىٰ الطبيب ان يشخص هذا المرض العنيد ؛ فالالم الثقيل الذي يجثم علىٰ صدر المريض ، ممتداً الىٰ الرقبة والكتف الايسر .. هذا الالم هو ناقوس الخطر الذي يدفع الطبيب الىٰ اختراق الحجب التي تفصله عن القلب ، ليستجلي حقيقة الامر ؛ وذلك بأجراء «التخطيط الكهربائي للقلب» ECG ، الذي يُظهر ـ بخطوطه المتعرّجة ـ احتشاء عضلة القلب ، ويحدد مكان ذلك الاحتشاء .. فيعلم الطبيب حقيقة الامر ؛ وكانه ينظر الىٰ القلب دون حجاب ! !

ورغم ذلك ، فهناك حالات مخادعة تكاد تضلل الطبيب ؛ وهي عندما يكون الاحتشاء غائراً في اعماق القلب ، او متخفّياً تحت غشائه الخارجي «التامور» .. وعندئذ ، فلن تظهر في التخطيط الكهربائي ، تلك العلامات التي تشخص المرض ..

ولكن لا بأس ، فبين يدي الطبيب ، وسائل اخرىٰ يترصّد بها المرض من كل الجوانب ؛ فالقلب غنيّ بخميرة يطلق عليها «كرياتين فوسفوكاينيز» CPK ، واذا اصابه «الاحتشاء» ، تسرّبت كميات من هذه الخميرة الىٰ الدم ، فيرتفع مستواه فيه بصورة سريعة خلال الساعات الاولىٰ من الاحتشاء ، ويبقىٰ مرتفعاً ليومين او ثلاثة ، ثم يأخذ بالانخفاض .. ولهذا يقوم الطبيب باجراء اختبار للدم ، متحرّياً عن مستوىٰ تلك الخميرة فيه ..

في ردهة انعاش القلب :

ان اول عمل يجب القيام به ، هو تسكين الالم الذي يعصف بصدر المريض .. ومشتقات «الافيون» هي خير العقاقير تسكيناً للالم ..

والافيون يستخرج من بذور «الخشخاش» ، وهو خليط من عدة مواد .. وكان يستخدم بشكله الخليط هذا حتىٰ عام ١٨٠٣ حين استطاع «فردريك سيرتورنر» ان يستخلص المادة الاساسية في الافيون ويجرّبها علىٰ نفسه .. فوجدها تخفف الالام الشديدة وتجلب النوم ، فاطلق عليها اسم «مورفين» ، نسبة الىٰ «مورفيوس» اله النوم عند الاغريق .. والمورفين هو الذي يستخدم ـ عادة ـ لتخفيف الم الاحتشاء ..

ومن المهم جداً ان يوضع المريض في «ردهة انعاش القلب» ، حيث توجد اجهزة ترصد نبض القلب ، وتكشف ـ في الحال ـ اي اضطراب يصيبه ..

واهمية ذلك تأتي من حقيقة معروفة ، وهي ان تسعين بالمئة من هؤلاء المرضىٰ يصابون باضطراب في نبض القلب ، وبعض هذه الاضطرابات شديدة الخطورة وقد تؤدي بحياة المريض اذا لم تعالج بالسرعة الكافية ..

ولابد ان تكون هذه الردهة هادئة كل الهدوء ؛ بلا زائرين ، ولا صحف ، ولا مذياع أو تلفزيون.. وذلك لعزل المريض عن ضجيج العالم المضطرب ؛ فاضطراب قلبه يشغله عن كل اضطراب !!

ان من الظواهر المألوفة ، هي اصابة القلب بأحتشاء آخر ، او زيادة حجم الاحتشاء الاصلي .. والاطباء يبذلون جهوداً مضنية من اجل الحد من هذه الظاهرة ، ومن اجل تصغير حجم الاحتشاء ؛ ولقد وجدوا ـ من خلال التجارب علىٰ الحيوانات ـ ان تناول العقاقير الموسّعة للاوعية الدموية «كالنتروجلسرين» يحقق بعض هذه الاغراض ..

واذا كان لابد من ان يلازم المريض فراشه لفترة طويلة ، فيعطىٰ المريض «مضادات التجلط» ؛ وهي عقاقير تمنع تجلّط الدم «اي تخثره» .. فقلة الحركة ، وما يرافقها من ركود في الدم ؛ تساعد علىٰ حصول تجلط دموي ، في اوردة الساق عادة ..

المريض والجنس :

ان من اهم العوامل التي تحدّ من النشاط الجنسي بعد الاصابة بهذا المرض ، هي الخوف المبني علىٰ اعتبارات خاطئة وليس علىٰ معلومات طبية دقيقة ..

ولا يُنكر ، ان النشاط الجنسي يؤدي الىٰ ارتفاع ضغط الدم ، وازدياد معدل النبض ، وما لذلك من تأثيرات سلبية علىٰ القلب المريض ..

ومن الجانب الاخر ؛ علينا ان نضع في الحسبان ظاهرة معروفة ، وهي ان الحرمان من الجنس يصيب المريض بالقلق ، والتوتر ، وخيبة أمل شديدة .. وتلك امور قد لا تقل خطراً عن الافراط في ممارسة الجنس !!

ويتفق الكثيرون من اخصائيي القلب ، علىٰ انه يمكن للمريض استئناف نشاطه الجنسي ، بعد شهرين من الاصابة ، مع ملاحظة الامور التالية :

١ ـ ان تكون ممارسة الجنس باقل قدر من التوتر والانفعال ؛ ولهذا فان ممارسة الجنس مع الزوجة أكثر اماناً من ممارسته مع امرأة أخرىٰ ، لما يرافق ذلك من التوتر وربما خوف الفضيحة ..

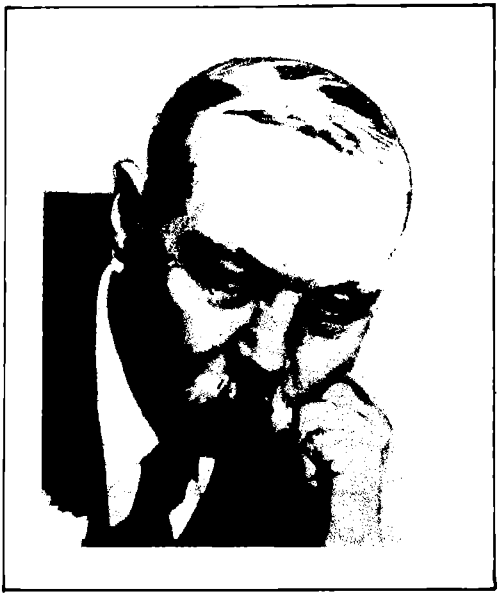
٢ ـ عدم الافراط في ممارسة الجنس ؛ اذ تكفي مرة واحدة في الاسبوع ، او مرتان ..

٣ ـ تفضل ممارسة الجنس في الصباح ، حين يكون الفرد قد أخذ قسطاً من الراحة اثناء النوم ..

٤ ـ عدم ممارسة الجنس بعد تناول وجبة دسمة ، او في ظروف جوية سيئة ، كالحر الشديد او البرد القارص ..

٥ ـ تفضل الاوضاع الجانبية في الجماع ، وذلك تلافياً للضغط الناشئ عن ثقل الجسم ..

وبالطبع ، فان كل هذه الملاحظات تشمل المرأة ايضاً ..



آرثر كونان دويل

قصة طبيبيْن

اريد ان احدثك عن طبيبين اصيبا باحتشاء عضلة القلب ؛ احدهما ايرلندي ، والاخر عربي ..

اما الطبيب الايرلندي ؛ فهو «آرثر كونان دويل» الذي عاش في هذه الحياة بين عامي ١٨٥٩ ـ ١٩٣٠ وقد طغىٰ اسم بطل رواياته «شرلوك هومز» علىٰ اسمه !!

ولقد تغلغلت شخصية «شرلوك هومز» في الفكر العالمي ، الىٰ درجة جعلت الكثيرين يعتقدون بانه شخصية واقعية !!

وكان «آرثر كونان دويل» غزير الانتاج ، فكان يكتب رواية في كل اسبوع تقريباً !! ثم ترك الطب وتفرّغ للادب ..

ولعل من اعظم الشخصيات التي أثرت فيه ، هي شخصية استاذه «بيل» منذ كان تلميذاً في كلية الطب ؛ ولهذا خلّد شخصية استاذه في كتاباته ..

والحادثة التالية مع استاذه ، من الحوادث التي تأثر بها «دويل» اعظم التأثر :

«كان مع بقية زملائه تلاميذ الكلية الطبية ، يستمعون الىٰ الدكتور بيل وهو يفحص مريضاً تلو الآخر..

ويدخل المريض الرابع - وهو رجل كهل - وتدور بين الدكتور بيل والمريض ، المحاورة التالية ؛

الدكتور بيل : حسناً ايها الرجل.. يبدو لي انك قد خدمت في الجيش ، هل صحيح ؟

المريض : نعم..

- وفي فرقة جبلية ؟
- آه ! نعم..
- وبرتبة ضابط ؟
- آه !! نعم.
- ومن حامية باربادوس ؟
- آه !! نعم نعم..

ثم يلتفت بيل نحو تلاميذه قائلاً :

ترون ايها السادة ان الرجل يبدو شخصاً محترماً ، ولكنه لم يرفع القبّعة عن رأسه حينما دخل القاعة ؛ وفي الجيش لا يرفعون قبعاتهم ، ولو انه كان قد ترك الجيش منذ مدة طويلة لتعلّم الاصول المدنية.. وتبدو عليه مسحة من السيطرة والاعتزاز ؛ فهو اذن اسكتلندي ومن المناطق الجبلية.. اما عن حامية باربادوس ؛ فلأنه يشكو من مرض الفيل ، وهو مرض لا يوجد في انجلترا ، بل في الهند الغربية حيث تقع حامية باربادوس»..

وكانت قابلية «دويل» علىٰ الكتابة عظيمة ؛ كان يكتب في الفجر ، وبعد لعبة الجولف ، وفي غرفة مزدحمة بالناس.. وكانت قابليته في الحديث عن مختلف المواضيع متساوية ؛ في الدين ، او الادب ، او السياسة ، او الجريمة !!

ولم يكن «دويل» متّصفاً بغرائب المشاهير المعروفة ؛ ولذلك وصفه احدهم قائلاً : «انك لا تجد فيه شيئاً غريباً او سخيفاً»..

ثم كانت نهاية المطاف ، وهو في احدىٰ رحلاته الىٰ الاقطار الاسكندنافية ، حيث انتابته نوبة قلبية ، فرجع من «اوسلو» مريضاً منهكاً.. ثم توفي سنة ١٩٣٠ وكانت آخر كلماته لزوجته : «آه.. عزيزتي ، لقد كنت طيبة كريمة معي»..

اما الطبيب العربي ؛ فهو الدكتور «سعيد عبده» الذي كان مصاباً بالذبحة

الصدرية ، ثم اصيب باحتشاء عضلة القلب ، وهو يحدثنا عن ذلك بقلمه المبدع :

«لم أستغرب كثيراً ان اصاب بالذبحة الصدرية ، في اواسط الستينات ، فقد كانت سني يومئذ تفوق الخامسة والستين ، وكان أبي قد مضىٰ نحبه اثر نوبة قلبية ، وكنت منذ طفولتي اكره الرياضة البدنية واعيش معيشة قاعدة لا أثر فيها لنشاط بدني كبير .. وقد ادمنتُ التدخين خمسة واربعين عاماً ، وافرطت في شرب القهوة ، وكثيراً ما احرقت شمعة حياتي من طرفيها بكثرة السهر والاجهاد ..

وكنتُ خليقاً ـ وانا طبيب وقائي ـ ان ابادر بعرض نفسي علىٰ الطبيب .. ولكني لم أفعل .. ولم افق من هذه الغفلة الا ذات ليلة من ليالي الشتاء في سنة ١٩٧٠ ؛ وقعت فيها الفاس في الرأس ، فصحوت من نومي مذعوراً علىٰ الم فاجر ، عاصر ، خانق ، خيّل لي فيه ان قوة هائلة تجتذب الىٰ أسفل حلقي ، وبلعومي ، ومريئي ، وقصبة الهواء ، بنفس القوة التي تجتذب بها ربة البيت حوصلة الدجاجة الذبيحة واحشاءها .. ومع الالم الفاجر شعور بانني اموت ! !

ولم يكن المي هذا بحاجة الىٰ ترجمان ؛ فقد ادركت للوهلة الاولىٰ ان جزءاً من قلبي يموت ، صغيراً او كبيراً ..

وحاولت ـ عبثاً ـ الاتصال بواحد اوآخر من زملائي أو تلامذتي ، وهم كثُر ، كما يقول ابو فراس ؛ لعلّي اجد لديه فرجاً من هذا الضيق الذي لا يفرج من كربه ـ في العادة ـ الا المورفين او اخوة المورفين ...

ثم تذكّرت اني اسكن في ضاحية من ضواحي القاهرة البعيدة ، وقبيل الفجر يصبح استدعاء الطبيب الىٰ هذا المكان النائي ، اشبه برشّه بزجاجة من ماء النار ، ولا سيا اذا كان من يستدعيه زميلاً مفروضاً ان يكون تعامله معه بغير عملة الدرهم والدينار ! !

ولعل هذا من نكد الدنيا علىٰ معظم الاطباء ..

وتركت سماعة التلفون علىٰ مضض ، وابتلعت بعض آلامي الفاجرة ، واستعنتَ علىٰ بعض منها ، بالقليل مما تيسّر من الدواء» ..

نابليون
القرحة .. ام الزرنيخ ؟



نابليون بونابرت

لقد شغل «نابليون بونابرت» الكتّاب والمؤرخين بصورة ملفتة للنظر حقاً .. ولا غرابة في ذلك ، وهو الذي صال وجال في اوربا والعالم ، منذ اواخر القرن الثامن عشر ، حتىٰ هزيمته النهائية في معركة «وترلو» عام ١٨١٥ ؛ ولقد بلغت الكتب التي تناولت حياته اكثر من عشرة آلاف كتاب ، ولم يتفوّق عليه في هذا العدد ، سوىٰ الكتب التي تناولت حياة السيد المسيح !!

وبلغت اسطورة نابليون حداً ، جعل الكثيرين ممن عاشوا معه يسجّلون حياتهم معه ، ووجد القصاصون في حياته معيناً لا ينضب لقصصهم ورواياتهم .. بل ان اسطورة «نابليون» لا تزال تتمثل في «الجمعيّات النابليونية» الموجودة في «فرنسا» وغيرها من بلدان العالم الغربي ..

ومن المعروف ان «نابليون» بعد هزيمته في «معركة وترلو» ، نُفي الىٰ جزيرة «سنت هيلانه» ؛ وهي جزيرة معزولة تقع قرب خط الاستواء ، وكان حاكمها الانجليزي يناصب «نابليون» العداء ويفرض عليه حراسة مشددة ..

وفي تلك الجزيرة أخذت صحة «نابليون» تتدهور بصورة أثارت قلق مرافقيه وحرّاسه ؛ وقد ظن الجميع ان السبب في ذلك هو مناخ الجزيرة الحار ، والحراسة

المشددة التي لا رحمة فيها ، بالاضافة الىٰ القهر النفسي الذي مُني به «نابليون» بعد هزيمته ..

وعند وفاة «نابليون» ؛ قام بتشريح جثته سبعة اطباء ، قدّم كل منهم تقريراً عن سبب الوفاة ، ولم يتفقوا علىٰ كتابة تقريرٍ واحد .. وقد وجد الطبيب الانجليزي «توماس شورت» ان الكبد مصاب بالتضخم ..

ورغم اختلاف تقارير اولئك الاطباء ، فلقد اتفقوا علىٰ وجود قرحة في المعدة . ونتيجة لذلك ، شاع بين الناس ان نابليون قد مات بسبب اصابته بقرحة المعدة .

وظل هذا الرأي سائداً حتىٰ عام ١٩٦٢ حين ظهر كتاب مثير ، عنوانه «من الذي قتل نابليون» ..

القتل البطيء :

ومؤلف ذلك الكتاب ، هو طبيب اسنان سويدي ، يدعىٰ «ستن فورشفورد» ، وكان - بالاضافة الىٰ عمله كطبيب اسنان - يجري بحوثاً في علم السموم ..

وكان طبيب الاسنان هذا ، عظيم الاهتمام بسيرة «نابليون» ؛ ومن يدخل منزله يدرك - علىٰ الفور - ان شبح «نابليون» يهيمن علىٰ المنزل الذي يبدو كمتحف عن حياة ذلك القائد الفرنسي : الصور .. التماثيل .. النحلة «الرمز الخاص لنابليون» .. المكتبة تعجّ بالكتب التي تناولت حياته ؛ ومن بينها كتاب بقلم «لويس مارشان» رئيس خدم نابليون ، وكان هذا الكتاب آخر مانشر في ذلك الوقت «مطلع الستينات» عن حياة نابليون في جزيرة «سنت هيلانه» ..

ولقد اهتم طبيب الاسنان بذلك الكتاب اهتماماً خاصاً ؛ لان مؤلفه قضىٰ بالقرب من نابليون - في الجزيرة - وقتاً اطول مما قضاه اي شخص آخر ، ولانه تحدّث - بوضوح - عن الاعراض التي انتابت نابليون في تلك الجزيرة النائية .

وكان طبيب الاسنان «ستن فورشفود» قد اطّلع علىٰ ما كتبه المتخصصون حول كيفية واسباب وفاة نابليون ، ولكنه لم يقتنع بذلك ؛ وراح يبحث في مذكرات «مارشان» عن ادلّة علىٰ احتمال آخر لسبب الوفاة ..

وخلال قراءته لتلك المذكرات ، وما فيها من حديث مفصّل عن الاعراض التي انتابت نابليون في الجزيرة ؛ تبادرت الىٰ ذهنه فكرة مرعبة : لقد مات نابليون مسموماً ! ! ومن خلال معلوماته في علم السموم ، قال الدكتور «فورشفود» بان نابليون - علىٰ الارجح - قد قتل بجرعات صغيرة من «الزرنيخ» ..

واستبعد ان تكون جريمة القتل قد تمّت بجرعة كبيرة مهلكة من «الزرنيخ» ؛ لان

هذه جريمة لا يمكن اخفاءها ، وستكشف عن تشريح الجثة ، ويفتضح الامر.. اما القتل البطيء ، بجرعات صغيرة من الزرنيخ ، فقد يمر دون ان ينتبه له احد !!

جثة نابليون :

وراح طبيب الاسنان «فورشفود» يعيد دراسة حياة نابليون ، منذ ان صعد علىٰ ظهر السفينة «بلروفون» ، التي نقلته الىٰ السواحل الانجليزية بانتظار تقرير مصيره..

وراح يركّز ـ بشكل خاص ـ علىٰ حياته في الجزيرة ، وهو يمعن في دراسة الاعراض التي انتابته في ذلك المنفىٰ ، والتي تحدث عنها «مارشان» في مذكّراته ؛ ووجد ان «نابليون» قد ظهرت عليه اعراض لا تقل عن «٢٢» من الاعراض الثلاثين المعروفة للتسمم بالزرنيخ..

وكان بين تلك الاعراض : الارق.. الحمّىٰ.. الشعور بالتعب والاجهاد.. الصداع.. آلام المعدة.. آلام الاسنان.. التهاب ملتحمة العين.. تورّم القدمين.. تساقط شعر الجسم.. ويضاف الىٰ ذلك ، تضخم الكبد الذي لاحظه «توماس شورت» عند تشريحه لجثة نابليون..

ولكن ، هل تكفي تلك الاعراض ـ لوحدها ـ كدليل دافع علىٰ ان نابليون قد مات بالزرنيخ؟

الجواب ، كلا !! والاطباء يعرفون ان تلك الاعراض ليست مقتصرة علىٰ التسمم بالزرنيخ ، بل انها قد تظهر في امراض اخرىٰ لا علاقة لها بالتسمم.. واذا كان لابد من دليل دامغ ؛ فهو من جثة نابليون التي استحالت الىٰ تراب !!

خصلة الشعر :

لأن فحص بقايا جثة «نابليون» كان أمراً مستحيلاً ؛ فقد قرر الدكتور «فورشفود» البحث عن خصلة من شعره ؛ ومن المعروف ان الشعر هو اداة جيدة لقياس ما يحتويه الجسم من الزرنيخ ، وكانت عملية تحليل الشعر بحثاً عن الزرنيخ ، معروفة ومطبقة عملياً في ذلك الوقت وحتىٰ الآن..

وفي عصر نابليون ، كانت خصلة الشعر من الهدايا المعروفة التي يقدمها مشاهير القادة والساسة..

وكان «مارشان» ـ رئيس خدم نابليون ـ قد تحدّث في مذكراته ، بأنه جلب معه الىٰ «فرنسا» كثيراً من شعر نابليون ، الذي جرت حلاقته بعد وفاته ، وأنه وزّع معظم هذا الشعر علىٰ اسرة «بونابرت»..

ومن اجل الحصول علىٰ احدىٰ شعرات نابليون ، سافر طبيب الاسنان الىٰ باريس ، حيث حصل عليها من القومندان «لاشوك» ؛ وهو احد الاعضاء البارزين في مجال الدراسات النابليونية في باريس ..

ثم بعث بهذه الشعرة الىٰ الدكتور «هاملتون سميث» ؛ العالم في قسم الطب الجنائي بجامعة «جلاسجو» في اسكتلندة ، وهو شخصية مرموقة في علم السموم ..

وكانت نتيجة التحليل مثيرة ؛ فكمية الزرنيخ في تلك الشعرة كانت عالية ! !

وعندما تحدث «فورشفود» عن هذه النتيجة ؛ قابَلهُ الكثيرون بالشكوك : ربما كانت الشعرة ملوّثة .. ربما جاءها الزرنيخ من البيئة .. قد تكون شعرة شخص آخر غير نابليون ! !

ولازالة وتفنيد هذه الشكوك ؛ حصل «فورشفود» علىٰ خصلات اخرىٰ من شعر نابليون ، وتوجّه الىٰ «جلاسجو» ، وهناك اجريت علىٰ تلك الشعرات مئة واربعون تجربة .. وبمقارنة نتائج هذه التجارب مع الاعراض التي كان نابليون يشكو منها ؛ بدا واضحاً ان الزرنيخ قد دُسّ له بجرعات قليلة خلال فترة طويلة ..

من الذي قتل نابليون ؟!

لقد أحاطت الشكوك بأسرة «البوربون» التي حكمت فرنسا ، في اعقاب سقوط نابليون ..

ورغم هزيمة نابليون ، ونفيه الىٰ جزيرة «سنت هيلانه» ؛ فان مجرد وجوده علىٰ قيد الحياة ، كان يمثل شبحاً مخيفاً لاسرة «البوربون» الحاكمة .. وقد بلغ من حقدهم عليه ؛ ان الكونت «دارتوا» ـ وهو اخو لويس الثامن عشر ـ قال عن نابليون : «ان سلام العالم لا يتم الا بالقضاء علىٰ هذا الوحش» ! !

وبالطبع فان قتل نابليون بجرعة سم واحدة ؛ قد يكشف المؤامرة حين تبدو آثار السم واضحة في الجسد ، وقد يؤدي ذلك الىٰ نشوب ثورة شعبية يتزعمها المحاربون القدماء ..

وهكذا توصلوا الىٰ طريقة خفيّة ؛ وهي دس «الزرنيخ» في طعامه بجرعات صغيره ، تؤدي به الىٰ الموت البطيْ ..

وكان لهم ما ارادوا ! !

الزرنيخ .. ذلك السم الزؤام !

الزرنيخ .. ذلك السم الزؤام :

يوجد الزرنيخ في كل انواع التربة ، ولكن بكميات قليلة ، ويوجد في الماء والهواء

بكميات ضئيلة جداً..

وتستعمل مركبات الزرنيخ في صناعة مبيدات الحشرات ، ومبيدات الاعشاب الضارة ، وفي الطباعة ، وفي الدباغة ، وبالاضافة الىٰ ذلك ، فان تلك المركبات واسعة الاستعمال في صناعة الاصباغ ..

وفي حقيقة الامر فان الزرنيخ النقي ليس ساماً ؛ ولكنه يصبح ساماً لو تأكسد في جو رطب ..

ومصدر الخطر في اكاسيد الزرنيخ ، ومركباته السامة الاخرىٰ ؛ هو ان هذه المركبات تتفاعل مع بعض خمائر «انزيمات» الخلية ، وتؤدي الىٰ توقف عمليات التمثيل الغذائي فيها .. وتوقف هذه العمليات ، يعني توقف الحياة في الخلية !!

ان الجرعة القاتلة من «ثالث اوكسيد الزرنيخ» هي في حدود (١٢٠) غراماً ..

ان الاعراض الرئيسية للتسمم بالزرنيخ ، هي اضطرابات الجهاز الهضمي .. وتختلف شدة هذه الاعراض باختلاف الجرعة المستهلكة .. فلو تناول الفرد جرعة كبيرة قاتلة ؛ فانه سيشعر بألم حارق في المرئ ، والغثيان .. ثم يصاب بالتقيؤ ، واسهال دموي شديد .. وماهي الا فترة وجيزة حتىٰ يبرد الجلد ، وينخفض ضغط الدم ، وتدور الدنيا في عينيه ، ثم يغمىٰ عليه .. ويختلج جسمه اختلاجات متعاقبة بصورة مشابهة لنوبة الصرع .. ثم يهدأ كل شئ ، وترىٰ المريض هامداً لاحراك فيه ، ليصحو بعد ذلك ؛ ولكن ، في العالم الآخر !!

اما في حالة تناول جرعة سامة غير قاتلة ؛ فأن المصاب يشعر بالغثيان ، والصداع ، والدوار ، والتقيؤ ، والقشعريرة .. ويصاب بالشلل في جزء ، او عدة اجزاء ، من جسمه ؛ بسبب تأثير ذلك السم علىٰ الجهاز العصبي ..

اما في حالة التسمم البطيئ ، اي تناول جرعات صغيرة علىٰ فترات ، كما حصل لنابليون بونابرت ؛ فان المصاب يشعر باعراض مختلفة تكاد تشمل جميع اجهزة الجسم ، التي قلّما يسلم احدها من عبث الزرنيخ وفتكه ..

فبالنسبة للجهاز العصبي ؛ يشعر المريض بآلام حارقة في اليدين والقدمين بسبب التهاب الاعصاب .. وقد يصاب بالشلل ..

وبالنسبة للجهاز الهضمي ؛ يشعر المريض بالغثيان والتقيؤ وآلام البطن والاسهال ..

وبالنسبة لجهاز الدوران ؛ يصاب المريض بعجز القلب ، وتورّم قدماه ..

وبالنسبة للجلد ؛ يتساقط الشعر ، وقد يتورم الجلد في مناطق مختلفة من الجسم ..

ويتناقص وزن الجسم ، وتظهر علىٰ المريض اعراض وعلامات فقر الدم ..

وعند تشريح جثث المتوفين بالزرنيخ ، وجد ان بطانة المعدة والامعاء ملتهبة ، وهناك انسلاخات في بعض اجزائها ، ونزف دموي .. وهناك تلف وتآكل في الكبد والكليتين ..

ان الزرنيخ - عندما يدخل الجسم ويمتصه الدم - يتكدس في اجزاء مختلفة من الجسم كالشعر والاظافر .. وبعضه يطرح مع البول والغائط .. ومن اجل تشخيص حالات التسمم ؛ يتم التحرّي عن الزرنيخ في الدم ، والبول ، والغائط .. وفي الشعر والاظافر ..

هتلر
وطبيبه الخاص



هتلر

«فرديناند زاور بروخ» ، هو اشهر جراحي المانيا في ذلك الحين ، وكان الطبيب الخاص للدكتاتور الالماني «هتلر» .. وكثيراً ما كان يُدعىٰ لمعالجة الملوك والرؤساء ، متنقلاً من عاصمة الىٰ اخرىٰ بطائرات خاصة ترسل له ..

ومن خلال مهنته كجراح ، كان «بروخ» يطّلع علىٰ شؤون خاصة لاولئك القادة الكبار ، وكان يراهم في لحظات قوتهم او ضعفهم امام المرض ؛ كان يرىٰ صورتهم الثانية التي قلّما يظهرون بها امام الجمهور..

وفي حالات المرض ، تكاد تتلاشىٰ تلك الهالة التي تحيط بالعظماء ؛ فهم ـ كبقية الناس ـ يمرضون ، ويتألمون ، وقد يفزعون من الموت ، او يواجهونه بكل شجاعة وثبات ..

والاطباء - بطبيعة مهنتهم - هم اكثر الناس اطلاعا على مثل هذه الحالات الانسانية ؛ فهم يرون السياسي الكبير ، والقائد الشجاع ، والدكتاتور الصارم ، وقد رفعوا عن وجوههم النقاب الرسمي فظهروا كبقية خلق الله ! !

ان المرض هو احد الاسرار التي لا يجوز افشاءها الا بعد الاستئذان من المريض ؛ وهذه من آداب المهنة الطبية التي لا يحيد عنها الاطباء ، سواء كان المريض شخصاً عادياً ، او رجلاً عظيماً .. وهناك استثناءات من هذه القاعدة ؛ فلو كان المرض معدياً فمن حق الطبيب ان يحذّر الناس منه ، منعاً لانتشار المرض ..

وبعد وفاة المريض ، يستطيع الطبيب ان يتحدث عن مرضه ، اذا وجد في ذلك عبرة ينتفع بها الناس .. ولاشك في ان حياة العظماء والمشاهير - بعد وفاتهم - تصبح ملكاً للتاريخ .. وفي الحديث عنها عبر وعِظات لا تنتهي ..

مذكّرات جرّاح :

صدرت مذكّرات الجراح الالماني الكبير «بروخ» في عام ١٩٥١ ، وصدرت الترجمة الانجليزية لها في عام ١٩٥٤ ..

ولقد نجح هذا الكتاب نجاحاً باهراً ، وانتشر على نطاق واسع ؛ وذلك لطرافة الموضوع ، فالناس شغوفون بالاطلاع على اسرار اولئك القادة الكبار الذين عالجهم «بروخ» .. ومن الاسباب الاخرى لنجاح هذا الكتاب ، هو اسلوب «بروخ» في تناول هذا الموضوع النادر ؛ فالكتاب يزخر بالقصص الممتعة النادرة عن اولئك المشاهير .. واشهر من تحدّث عنهم «بروخ» في مذكّراته ؛ هما الدكتاتور «هتلر» ، والرئيس الالماني «هندنبورغ» ..

موعد مع هتلر :

كان «بروخ» هو الجراح العام للقوات المسلحة الالمانية .. وذات يوم من عام ١٩٤٢ ؛ كان يقوم بجولة تفتيشية في مستشفيات منطقة «القرم» ، فاستدعي الى مقر «هتلر» في «فينيتسا» على الفور .. وابلغ بضرورة الاسراع والوصول الى هناك في موعد محدد .. وفي الطريق ، اصيبت سيارته بخلل طارئ ، فتأخر عن الموعد .. ولاشك في ان هذا التأخير قد اغضب الدكتاتور الالماني الذي لا يرحم ولا يقبل عذراً ..

وعند وصوله ، ادخل الى غرفة كبيرة ، لم يكن فيها احد .. وجلس «بروخ» وحيداً ، بانتظار الاوامر ..

وبينما هو يتأمل تلك الغرفة وما فيها من اثاث فخم فتح الباب فجأة ، واندفع منه

كلب ضخم يتطاير الشرر من عينيه ، وقد كشر عن انيابه ، وراح يكفكف يديه للوثوب علىٰ «بروخ» وافتراسه ! !

فاوجس«بروخ» في نفسه خيفة ، فوقف بلا حراك ، وراح يخاطب الكلب بكلمات رقيقة ، يستلطفه ويهدئ من ثورته ، ثم اخذ يربّت عليه برفق ..

وماهي سوىٰ لحظات ، حتىٰ هدأ الكلب الهائج ، واقترب من «بروخ» ليجلس جنبه ساكناً ، وهو يلاطفه ويداعبه ..

وفي هذه الاثناء دخل «هتلر» ودهش من منظر الكلب وهو يجلس جنب «بروخ» هادئاً ..

يقول «بروخ» : لقد وقف هتلر صامتاً برهة من الزمن ، مشدوهاً بمنظر الكلب .. ثم صاح ؛ ماذا فعلت بكلبي ؟!

ولم يجب «بروخ» .. وكان الكلب لايزال يداعبه .. فقال هتلر :

«هذا الكلب هو المخلوق الوحيد الذي يخلص لي ، وانا المخلوق الوحيد الذي يقبل عليه هذا الكلب ويداعبه .. وهذا انت تسرقه مني .. لقد سرقتَ المخلوق الوحيد الذي يحبّني في العالم» ! !

ثم راح هتلر يصرخ بصوت مرتفع ، مهدداً باعتقال «بروخ» .. واخذ ينتقل من موضوع الىٰ آخر ، وهو يتوعد وينذر بالويل والثبور ..

وكان «بروخ» يصغي اليه بهدوء .. وشيئاً فشيئاً خفّت عصبية هتلر ، ثم هدأ .. واوضح للجراح الالماني سبب استدعائه ، وهو ان وزير خارجية تركيا «اوغلو» مريض .. وكان قد سبق لبروخ ان اجرىٰ له عملية جراحية وعرف طبيعة مرضه .. وكانت العلاقة مع تركيا ذات اهمية سياسية كبيرة .. وبسبب هذه المصلحة السياسة ، قرر هتلر ان يرسل طبيبه الخاص الىٰ «اوغلو» ، وامر ـ علىٰ الفور ـ باحضار طائرته الخاصة الجديدة ، لنقل «بروخ» الىٰ «انقرة» حيث الوزير التركي المريض ..

مع الرئيس الالماني :

وتحدث «بروخ» في مذكّراته ، عن معالجته للرئيس الالماني ، المارشال «هندنبورغ» ، وكان طبيبه الخاص منذ عام ١٩٣٤ حتىٰ وفاته .. ولقد روىٰ عنه قصصاً طريفة ، تمثل مدىٰ تمسّكه بالتقاليد العسكرية حتىٰ في حالات المرض ..

ومن تلك القصص ؛ ان «بروخ» استدعي ليحمل الىٰ الرئيس الالماني المريض ، مرسوماً بتعيين «فون بابن» سفيراً لالمانيا في النمسا .. فحمل «بروخ» هذا المرسوم ، وذهب به الىٰ سرير المارشال «هندنبورغ» ليوقّعه .. فاستنكر ذلك وهزّ رأسه قائلاً : «ايها الطبيب ؛ كيف تريدني أن أوقّع مثل هذا المرسوم ، وانا في سرير النوم ؟» .

فقال بروخ : «ولكن لا يجوز لفخامتكم مغادرة السرير مهما كان السبب ؛ فحالتكم الصحية ـ في الوقت الحاضر ـ لا تسمح بذلك» .

فقال المارشال : «ولكن لابد من توقيع هذا المرسوم» ..

وحاول «بروخ» اقناعه بالتوقيع وهو في السرير ، ولكنه رفض .. ثم قام وارتدىٰ ملابسه الرسمية ، وحمل نياشينه واوسمته ، وجلس الىٰ منضدة صغيرة قرب السرير ، وعندئذ وقّع المرسوم ..

ثم التفت الىٰ بروخ وقال : لم يكن بأمكاني توقيع هذا المرسوم بملابس النوم ..

ومما يرويه «بروخ» ايضاً علىٰ الرئيس الالماني في مرضه ؛ انه في احدىٰ ليالي الشتاء الشديدة البرودة ، نصحه بأن يرتدي ـ فوق ملابس نومه ـ معطفاً سميكاً يقيه من البرد .. ولكنه لم يوافق علىٰ ذلك ، وقال :

«انني لم البس مثل ذلك ابداً ؛ فأنا جندي ، والجندي لا يرتدي شيئاً فوق ملابس نومه علىٰ الاطلاق .. فهذا الترف الزائد يتعارض مع الروح العسكرية» ! !

ثم حملت ابنته الصغرىٰ اليه معطفاً فاخراً ، كان قد اهداه اليه «امان الله خان» ، ملك افغانستان في ذلك الوقت ؛ وراحت تستعطفه وتتوسل اليه ان يلبس ذلك المعطف .. ولكنه رفض ايضاً ، وذكر لها السبب قائلاً :

«ان هذا المعطف هدية ، ولا يصح ارتداؤه في السرير» ..

وحاولت ان تقنعه مرة اخرىٰ ، وهي تتوسل اليه باكية ، متضرّعة .. ولم تجد توسلاتها ولا دموعها شيئاً ، وباءت جهودها بالفشل ، فاضطرت ان تعيد المعطف الىٰ مكانه ..

وبقي الرئيس الالماني دون معطف في تلك الليلة القارصة البرودة ..

العجوز ذو المنجل :

كان المارشال «هند نبورغ» عجوزاً مريضاً متهدماً ، وكانت صحته تسوء يوماً بعد يوم ، ولكنه ـ رغم ذلك ـ ظل متمسكاً بالتقاليد لا يحيد عنها ..

ويروي عنه «بروخ» صورة مؤثرة ، في ايامه الأخيرة ، عندما ساءت حالته الصحية .. فقد قال لبروخ وهو علىٰ سرير الموت :

«ايها الاستاذ ، لقد صدقْتني القول دائماً ، ولم تخفِ عني شيئاً ؛ فقل لي ، هل العجوز ذو المنجل بانتظاري ؟»

ويقصد به ملك الموت ..

فقال له بروخ :

«كلا ، ياصاحب الجلالة ، ولكنه يحوم حول الدار» ! !

أمـراض
حكّـام البيت الابيـض



جون كنيدي



لندون جونسون



ريتشارد نيكسون



دوايت ايزنهاور

هؤلاء المرضى حكموا امريكا والعالم

لو تأمّلتَ صورة «جون كنيدي» لرأيته منتفخ الوجنتين ، وليس هذا دليل صحة ؛ فلقد كان مصاباً بمرض «تدرّن الغدة الكظرية» ، وكان يتناول عقاقير «الكورتيزون» لعلاج المرض .. ومن التأثيرات الجانبية لهذه العقاقير ؛ هو انتفاخ الوجنتين ..

وفي تشرين الاول من عام ١٩٦٥ ، اجريت للرئيس «لندن جونسون» عملية جراحية لغدته الصفراء ..

وكان «ريتشارد نيكسون» مصاباً بالتهاب الاوردة ..

اما «فرانكلين روزفلت» ؛ فقد كان مصاباً بارتفاع ضغط الدم ، وعجز القلب .. ثم توفي نتيجة لنزف دماغي شديد ..

وقد اصيب «دوايت ايزنهاور» عدة مرات بالسكتة الدماغية التي قضت عليه في نهاية المطاف ..

اما «ويلسون» الذي كان رئيساً للولايات المتحدة في اوائل هذا القرن ، فقد صرعته «سكتة دماغية» ايضاً وكان ذلك في تشرين الاول من عام ١٩١٩ ..

واما «غروفير كليفلاند» الذي رأس الولايات المتحدة في اواخر القرن الماضي ؛ فقد كان مصاباً بسرطان الفك ، واجريت له عمليتان جراحيتان في عام ١٨٩٣ ..

واستطاعت الادارة الامريكية ان تحتفظ بسرّ هذا المرض ، واعلنت للشعب الامريكي ان الرئيس مصاب بخرّاج في احد اسنانه ! !

رونالد ريغـان :

كان في بداية الامر ممثلاً ، ثم استطاع ان يفوز بانتخابات الرئاسة لفترتين رئاسيتين متتاليتين .. ولقد دهش الكثيرون كيف تحول هذا الممثل الىٰ سياسي ناجح ..

فهل كانت السياسة عنده هواية ؟

يقول «ديفيد بلاندي» ، مراسل صحيفة «ساندي تايمز» :

(ان ريغان لم يكن جاداً في محاولته الفوز بترشيح الحزب الجمهوري له في انتخابات الرئاسة ؛ ففي شهر مايس من عام ١٩٨٠ ـ والحملة الانتخابية علىٰ اشدها ـ وقف ريغان امام مجموعة من كبار الشخصيات في ولاية فيلادلفيا ، وكانوا يتوقعون ان يلقي خطاباً يوضح فيه سياسته الداخلية والخارجية .. ولكن ما حدث ، هو ان ريغان وقف علىٰ المنصّه وراح يبحث في جيوبه .. ثم قال ـ مبتسماً ـ : آسف ، ايها السادة ، كنت ـ فعلاً ـ انوي القاء خطاب ، ولكني نسيته في غرفتي بالفندق .. ثم اطلق ضحكة سينمائية ، وضجّ الحاضرون بالضحك ! !)

فهل كان ريغان يشتغل بالسياسة ويمثّل ، ام كان يمثّل وهو يشتغل بالسياسة ؟



رونالد ريغان ، هل يبرأ من سرطان القولون ؟



رونالد ريغان ، في المستشفى بعد اجراء العملية .. وترى في الصورة زوجته «نانسي» وهي تهنئه بالسلامة ..

لانريد ان نشغل انفسنا بالحديث عن سياسة «ريغان» ، انما الذي يهمنا في هذا الكتاب ، هو ان هذا الرئيس الذي تجاوز الرابعة والسبعين من عمره ، اصيب بسرطان القولون الايمن ، واجريت له عملية جراحية في تموز ١٩٨٥ ؛ تمّ فيها استئصال (١٨) انجاً من القولون المصاب ..

وكادت صورته تهتز ؛ ولكنه بدا بصحة جيدة بعد العملية ، وراح يمارس عاداته السابقة في القراءة ومشاهدة التلفزيون الذي يعرض افلاماً قديمة للممثل الراحل «همفري بوغارت» ، الذي يكنّ له «ريغان» احتراماً خاصاً .. وكل ذلك احيا شعور الاعتزاز لدىٰ الشعب الامريكي برئيسهم ..

سرطان القولـون :

هذا المرض واسع الانتشار في العالم الغني ، مقارنةً بالعالم الفقير ؛ وحسب الاحصائيات التي نشرت عام ١٩٨٥ عن مدىٰ انتشار هذا المرض في الولايات المتحدة الامريكية ، فان هناك (١٤٠) الفاً من الامريكيين مصابون بالمرض ، ويتوقع الاطباء ان (٦٠) الفاً من هؤلاء سيموتون في غضون عدة سنوات ..

ورغم ذلك ، فأن «سرطان القولون» اقل خطورة من سرطانات اخرىٰ ، كسرطان الرئة مثلاً .. واذا تم التشخيص والعلاج في المراحل الاولىٰ للمرض ؛ فان الامل بالشفاء كبير جداً ، ويبلغ ٩٥٪ ..

ويؤكد الاطباء علىٰ ان تناول الاغذية الغنية بالدهون ، والفقيرة بالألياف ؛ هو سبب رئيسي لانتشار هذا المرض في امريكا والغرب .. في حين يكون هذا المرض اقل انتشاراً في آسيا وافريقيا ؛ حيث يستهلك الناس كميات كبيرة من الاغذية الغنية بالالياف ، كالخضروات والفواكه .. واغنىٰ المواد قاطبة بألياف الغذاء هي النخالة ..

ومما يؤيّد اهمية نوع الغذاء كسبب لهذا السرطان ، هو ان اليابانيين الذين نزحوا الىٰ الولايات المتحدة واستقروا فيها ؛ ازدادات معدلات اصابتهم بسرطان القولون ، مقارنةً باليابانيين الذين لم يغادروا وطنهم ..

وبالاضافة الىٰ نوع الغذاء ؛ يعتقد ان العامل الوراثي هو سبب آخر يهيّئ الفرد للاصابة بسرطان القولون ..

مراحـل السرطـان :

من المؤكد ان خطورة السرطان ـ اي سرطان ـ تعتمد علىٰ المرحلة التي وصل اليها في نموّه ؛ فهو قابل للشفاء عندما يكون في مراحله الاولى ، اي عندما يكون في



١٥ : أخر افلام ريجان «القتلة» ويقوم فيه بدور رجل شرير أمام الممثلة أنجي ديكنسون التي اشتهرت في مسلسلات «الشرطية الحسناء» وقصة الفيلم لارنست هيمنجواي ، ولقد اخرج الفيلم للتلفزيون الامريكي ثم وجدوا انه أعنف من ان يدخل بيوت الناس على الشاشة الصغيرة .

موضعه ، لم يتوغل عميقاً ، ولم ينشر طلائعه الخبيثة الى اجزاء اخرى من الجسم .. اما في مراحله النهائية ، وعندما تنتشر خلاياه القاتلة هنا وهناك ؛ فانّه سرعان ما يقود المريض الى حتفه ..

ولقد قام الطبيب البريطاني «كثبرت ديوكس» بوضع تقويم خاص لمراحل السرطان بشكل عام ..

ومراحل سرطان القولون ـ حسب تقويم ديوكس ـ هي كما يلي :

ديوكس ـ ا : السرطان لايزال في بطانة القولون لم يتجاوزها ..

وفي هذه المرحلة ، فأن احتمالات البقاء على قيد الحياة لخمس سنوات او اكثر ؛ تتراوح مابين ٩٥٪ الى ٩٩٪ . .

ديوكس ـ ب : يكون السرطان في هذه المرحلة ، قد تجاوز بطانة القولون واخترق الطبقة العضلية لجداره ..

واحتمالات البقاء لخمس سنوات او اكثر ؛ هي في حدود ٨٥٪ ..

ديوكس - جـ : في هذه المرحلة ، يكون السرطان قد تجاوز جدار القولون ، ووصل الىٰ الغدد اللمفاوية القريبة ..

ومدىٰ خطورة السرطان في هذه المرحلة ، يعتمد علىٰ مدىٰ انتشاره في الغدد اللمفاوية ..

ديوكس - د : يكون السرطان في هذه المرحلة قد وصل الىٰ اجزاء اخرىٰ من الجسم ، كالكبد والرئتين ؛ وعندئذ يصبح اللقاء بملك الموت امراً لا مفر منه في معظم الاحيان ! !

الأعـراض :

في بداية الامر ، يشعر المريض بأعراض عامّه ، لا تكاد تشير الىٰ طبيعة المرض او مكانه ..

ومن هذه الاعراض ؛ التعب ، وقلة الشهية للطعام ، وربما فقر الدم ..

وفي كثير من الاحيان ، لا يعبأ المريض بهذه الاعراض ، وقد يعزوها الىٰ الارهاق الذي يتعرض له في العمل ، أو ما شابه ذلك ..

وبمرور الوقت ، تظهر اعراض محدّدة تشير الىٰ اصابة القولون ..

وفي واقع الامر ، فان سرطان القولون الايسر ؛ تظهر اعراضه المحددة في وقت مبكر ، مقارنةً بسرطان القولون الأيمن ..

ومن هذه الاعراض ؛ هو تغيّر عادات الافراغ ، فيصاب المريض بالاسهال .. او الامساك .. وكثيراً ما يشعر المريض برغبة ملحّة في التغوّط علىٰ الرغم من انتفاء الحاجة لذلك ؛ وهذا هو ما يسمىٰ بالزحير Tenesmus ..

وقد يلاحظ المريض ظهور الدم مع البراز ، وهذا لا يعني - دائماً - ان السبب هو السرطان ؛ فقد يحصل هذا النزف نتيجة لأمراض اخرىٰ كالبواسير الشرجية مثلاً ..

والطبيب هو الذي يحدد سبب هذا النزف ..

ومن الاعراض الاخرىٰ لسرطان القولون ، هو الم أسفل البطن ..

التشخيص والعلاج :

الاعراض التي تحدثنا عنها ، كالاسهال او الامساك او النزف الدموي او الم البطن ؛ ليست مقتصرة علىٰ سرطان القولون ، بل قد تحدث في امراض اخرىٰ ..

ورغم ذلك فان الطبيب يضع في الحسبان احتمال السرطان عندما يجد تلك الاعراض لدىٰ المريض ، خاصة اذا كان قد تجاوز الخمسين من العمر ..

وعندئذ ، لابد من اجراء الفحص السريري والتحرّيات التي تؤكد ام تنفي وجود السرطان ..

ومن وسائل الفحص التي تستعمل لهذا الغرض هي «الناظور السيني» Sigmoidoscope ؛ الذي يستطيع الطبيب بواسطته النظر الىٰ بطانة «المستقيم» Rectum وجزءاً من القولون .. وبهذا الناظور ، يمكن تشخيص ٦٠٪ من حالات الاصابة باورام القولون ..

وهناك ناظور آخر ابعد مدىً من الناظور السابق ويمكن بواسطته تشخيص اورام القولون الايمن ؛ ذلك هو «ناظور القولون» Colonoscope ..

وقد يلجأ الطبيب الىٰ التصوير الشعاعي ، وذلك بمعرفة ما يسمىٰ برخصة الباريوم Barium Enema ؛ اذ يتمّ ادخال محلول «الباريوم» عبر المخرج الىٰ القولون ..

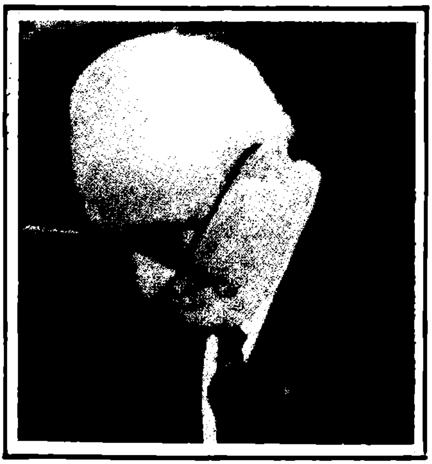
والباريوم مادة معتمة للأشعة ، وبهذا نستطيع الحصول علىٰ صورة محددة المعالم للقولون ، وما فيه من امراض او اورام ..

وهناك وسائل اخرىٰ ..

واذا عجزت كل تلك الوسائل عن التشخيص ؛ فقد يقوم الجراح بفتح بطن المريض ، والنظر مباشرة الىٰ القولون ، لمعرفة حقيقة الامر ..

والعلاج الوحيد لسرطان القولون ، هو الجراحة ، وفيها يتمّ استئصال الورم مع جزء من القولون ، ثم ربط النهايتين الحرّتين مع بعضهما ..

زعمـاء الشرق
والشـلل الرعـاش





في عام ١٩٧٦ شهدت «الصين» زلزالين ؛ اما الاول ، فهو الزلزال الذي عصف بوسط الصين ، وكان أسوأ كارثة طبيعية مرت بها البلاد خلال قرن من الزمان ..

ورغم ضخامة الكارثة ، فقد استطاعت الصين أن تحدّ من أضرارها ، وفي خلال يومين ، تمّ تجنيد مليون رجل وامرأة لمساعدة المنكوبين واصلاح الاضرار ..

وطبقاً لشهادة صحفي امريكي ؛ كان جميع الصينيين ، العمال ، والجنود ، والحرس الاحمر ، والمليشيات ، والطلاب ، يعملون ليل نهار في اعادة اصلاح ما افسده الزلزال ..

وبعد احتواء آثار الزلزال ، وانقشاع غيوم الكارثة ؛ هزّ البلاد زلزال آخر عنيف ، ذلك هو موت الزعيم الصيني «ماوتسي تونغ» ..

ولقد كان زعيم الصين مصاباً بالشلل الرعاش ، واشتدّ عليه المرض في آيامه

لاخيرة ، وبدا ذلك واضحاً في قسمات وجهه الجامدة ، وارتعاش يديه ، وحركاته لبطيئة ، وكلماته الخافته المتاقلة ، حتىٰ ان المترجمة كانت تقرأ شفتيه اكثر من ان سمعه ..

اما الزعيم الروسي «يوري اندروبوف» الذي استلم السلطة في اواخر عام ١٩٨٢ بعد موت «بريجينيف» فقد داهمته الامراض ، واختفىٰ عن انظار اجهزة الاعلام .. ورغم التكتم الشديد علىٰ اسباب غيابه ، فقد ذكرت مصادر الاعلام الغربية انه مصاب بالشلل الرعاش ..

ثم مات في العاشر من شباط من عام ١٩٨٤ ، ولم يمكث في الحكم سوىٰ خمسة عشر شهراً ..

الشلل الرعّاش :

كان أول من تحدّث بأسهاب عن «الشلل الرعّاش» Shaking Palsy ، هو «جيمس باركنسون» ، وذلك في عام ١٨١٧ ، وقد اكتسب هذا المرض اسم العالم ، فسميّ «داء باركنسون» Parkinson's Disease ..

وهذا المرض يصيب الانسان في مرحلة الكهولة او الشيخوخة ، في معظم الاحيان .. وهو يبدأ خفيفاً هيّنا ، ثم يشتد مع تقدم العمر ..

ورغم ان المرض معروف منذ اكثر من قرن ونصف ، فأن احداً لم يتوصل الىٰ السبب الحقيقي وراءه ..

ولم يستسلم الاطباء وعلماء الامراض لهذا الغموض ، وراحوا يشرّحون جثث المصابين بعد وفاتهم ؛ ووجدوا ان أصل البلاء يكمن في الدماغ .. فلقد لاحظوا ضموراً في احدىٰ مناطق الدماغ والتي تسمىٰ بالمادّة السوداء Substantia Nigra .. ولاحظوا نقصاً في مادة «الدوبامين» Dopamine ، وهي احدىٰ المواد الناقلة للايعازات العصبية في الدماغ ..

ولكن ما سبب ضمور «المادة السوداء» ؟ وماهو سبب نقصان مادة «الدوبامين» ؟ لا أحد يدري علىٰ وجه التحديد ! !

ألوجـه المقنّـع :

انت تستطيع ان تقرأ وجه صاحبك ، وتعرف إن كان راضياً ام مغضباً .. مبتهجاً

ام مكتئباً ؛ فالوجه مرآة النفس ـ كما يقولون .. ولكنك لا تستطيع ان تعرف ذلك لو نظرت الىٰ وجه احد المصابين بالشلل الرعاش ؛ فوجهه جامد القسمات ، لا يكاد يعبّر عن شيْ .. وملامح وجهه عند الرضا ، كما هي عند الغضب ، او الخوف .. وحتىٰ اجفانه قلّما ترمش .. ويبدو المريض كما لو كان مرتدياً لقناع فوق وجهه ! !

وبسبب هذه الصورة المميزة ؛ فانك لو رايتَ مصاباً بهذا المرض ذات يوم ، فلن تنساه ، وتستطيع ان تشخص المرض لدىٰ مصاب آخر ، تراه بعد شهور او سنين ..

ويكون المريض محدوب الظهر ، وحركاته بطيئة متثاقلة .. واطرافه مرتعشة ؛ وتبدو الرعشة ـ بوضوح ـ في اليدين ، وقد تشمل الاجفان والشفتين واللسان .. وربما الساقين ايضاً .. وكثيراً ما يحاول المصاب اخفاء هذه الرعشة ؛ بوضع يديه علىٰ الطاولة او ذراع الكرسي ، او في جيبه ..

وأنت لو تأملتَ يدي المريض ؛ لوجدت الرعشة فيهما تبدو وكأنه يعدّ نقوداً ، اذ يرتعش «الابهام» بصورة عمودية علىٰ اصبع «السبابة» ، كما يفعل ايّ منا عندما يسلّم البائع قطعاً نقدية الواحدة تلو الاخرىٰ ! !

والرعشة تشتد عند التعب ، وفي المواقف المحرجة .. وتخفّ كثيراً عند الحركة ؛ فعندما يحرّك المريض يديه ، فان الرعشة تكاد تختفي ، لتظهر مرة اخرىٰ لو توقف المريض عن الحركة .. وتختفي الرعشة اثناء النوم ..

المريض والخطـابة :

نحن عندما نتكلم ، يعلو صوتنا وينخفض حسب المعاني التي نريد تأكيدها او التركيز عليها ؛ فنبرات الصوت تزيد المعنىٰ وضوحاً .. ونبرات صوت الخطيب البارع ، قد تؤثّر في مستمعيه ، اكثر من تأثير فكرة الخطبة او موضوعها ! !

اما مريض «الشلل الرعاش» ؛ فصوته وحيد النبرة ، ينساب علىٰ وتيرة واحدة او نغم واحد .. ونبرات صوته ، هي ـ كملامح وجهه ـ لا تكاد تعبر عن شيْ ؛ فلو كان يقرأ قصيدة شعر ـ مثلاً ـ فان نبرات صوته في الابيات الكئيبة الباكية ، كما هي في الابيات الضاحكة المتفائلة ، او الساخرة الناقدة ..

الخطـوات المتعـثرة :

يصاب جسم المريض بالتصلب او التيبّس Stiffness ؛ ولهذا يجد صعوبة عندما يحاول المسير بعد جلوس او اضطجاع ؛ فتراه يبدأ المشي بخطوات قصيرة مضطربة ماسحاً الارض بقدميه « Shuffling Gait » لا يكاد يرفعها عن

الارض ، ثم تكبر خطواته ويتسارع مشيه « Festination » ، خوفاً من سقوطه ارضاً .. لماذا كل هذا ؟

ان انحناء جسم المريض الىٰ الامام ، وقصر خطواته ، يجعل مركز ثقل الجسم مندفعاً الىٰ الامام ، وهذا يجعله عرضة للسقوط ؛ ولهذا يوسع خطواته ويسرع ، ليكون مركز الثقل اكثر استقراراً ..

وبسبب تيبّس الجسم ، فان كتابة المريض تكون صغيرة الحروف ..

وتصلب الجسم يبدو بوضوح ، لو حاولتَ ان تثني ذراعه ـ مثلاً ـ فسوف تجد صعوبة في ذلك ، رغم ان المريض في حالة استرخاء ولا يقاوم محاولتك هذه ..

ورغم ذلك ، فان الغالبية العظمىٰ من المصابين ، يستطيعون العيش بصورة طبيعية تقريباً ، ويمارسون اعمالهم دون قيود شديدة ..

اما في الحالات الشديدة من المرض ؛ فان المصاب يغدو ـ في نهاية الامر ـ عاجزاً مقعداً ، ويحتاج الىٰ من يساعده في كل شيئ كارتداء الملابس او ما شابه ذلك ..

وقد يصاب بالخوف .. وتلك مصيبة عظمىٰ ! !

الأحتيال علىٰ الدمـاغ ! !

عند تشريح جثث مرضىٰ «الشلل الرعاش» بعد الوفاة ؛ وجد ان هناك نقصاً في مادة «الدوبامين» Dopamine في بعض مناطق الدماغ ـ كما ذكرنا قبل قليل ..

ولهذا حاول الاطباء علاج هذا المرض ؛ وذلك بأعطاء المصاب تلك المادة بهيئة عقاقير يتناولها لتعويض ذلك النقصان ..

وهذه وسيلة منطقية في العلاج ، ولكن المشكلة هي ان هذه المادة «الدوبامين» لا تستطيع الوصول الىٰ الدماغ .. انها تدور مع الدم ، وتزور مختلف اعضاء الجسم ، ولكنها يحرم عليها الدخول الىٰ الدماغ ؛ يمنعها من ذلك «الحاجز الدماغي الدموي» B. B. B ، الذي لا يسمح ـ الا لمواد معينة ـ بالدخول الىٰ الدماغ ..

وعندئذ ، لجأ الاطباء الىٰ الاحتيال علىٰ الدماغ بطريقة ذكية ؛ وذلك بأعطاء المريض مادة «ليفودوبا» Levodopa ؛ وهي مادة تستطيع اختراق ذلك الحاجز والوصول الىٰ الدماغ ، حيث تتحول الىٰ مادة «الدوبامين» ..

اليس ذلك احتيالاً مشروعاً ، اذن ؟!

وباستعمال ذلك الدواء «ليفودوبا» ، تتحسن صحة المريض ، وتخفّ اعراض المرض .. ويكون التحسّن اكبر عندما يكون المرض في بدايته ..

والمشكلة في ذلك الدواء . هي ان معظمه يتحلل في الدم قبل ان يصل الدماغ ؛ ولهذا يجب ان يتناوله المريض بجرعات كبيرة .. وهذه الجرعات الكبيرة لا تخلو من الازعاج والمنغصّات ؛ فهي تؤدي الىٰ الغثيان ، والتقيّؤ ، وقلة الرغبة في الطعام ..

ولهذا قام الاطباء بخطوة اخرىٰ ؛ وهي اعطاء المريض مادة اخرىٰ تقلّل من تحلل مادة «ليفودوبا» ؛ وبذلك تنعدم الحاجة الىٰ تناول جرعات كبيرة مزعجة .. وتلك المادة تسمىٰ «كاربيدوبا» Carbidopa ..

وهناك عقاقير اخرىٰ مفيدة في العلاج ، ومنها «الآرتين» Artane ومضادات الحساسية ..

وفي واقع الامر ، فان الحالات الغير شديدة من «الشلل الرعاش» ، تعالج - اول الامر - بالآرتين ، واذا لم يكن ذلك كافياً للسيطرة علىٰ اعراض المرض ، يعطىٰ المصاب عقاقير «ليفودوبا» Levodopa ويعطىٰ «كاربيدوبا» Carbidopa ..

وفي بعض الاحيان ، عندما تعجز كل العقاقير عن العلاج ، وتشتد اعراض المرض ؛ فقد يلجأ الجراحون الىٰ تدمير خلايا معينة في الدماغ ، بواسطة التبريد Cryosurgery ، ولكن مثل هذه العمليات قد تؤدي اضرار جانبية خطيرة ، كالخوف ، والبَكَم «فقدان المقدرة علىٰ النطق» .. ولهذا يندر اللجوء الىٰ الجراحة ، والعلاج بالعقاقير هو خير علاج في الوقت الحاضر..

عبد الحلـيم حافـظ
والبلهارزيـا

لقد استطاع المطرب المصري «عبد الحليم حافظ» ان يفتن اجيالاً من الفتيات والفتيان ؛ بالصوت العذب ، والكلمات الرقيقة ، والالحان المعبّرة ..

ثم بلغ أوج تألقه في افلامه السينمائية ؛ تلك الافلام التي جسّدت العالم الساحر الجميل الذي يحلم به الجميع .. وكانت عيون المشاهدين وقلوبهم تتابع - بشغف ولهفة - هذا الفنان ، وهو يتنقّل مع حبيبته في عالم ساحر ليس له حدود ؛ بين النجوم ، وفوق امواج البحار ، وفي الجزر النائية الحالمة ..

وعندما توفي «عبد الحليم» ؛ أحسّ الكثيرون ان جزءاً من احلامهم قد مات ؛ والقت فتاة مصرية نفسها من عمارة عالية ، فماتت في الحال ، وربما كانت ترجو اللقاء بالعندليب الاسمر ، في العالم الآخر ! !

وكان المرض الذي قضى على هذا الفنان هو البلهارزيا .. ولا غرابة ان يصاب «عبد الحليم» بهذا المرض الذي عرف في مصر منذ عصر الفراعنة ؛ ودليل ذلك هو المومياءات التي وجد بعضها مصاباً بالبلهارزيا ..

وكان المرض واسع الانتشار في مصر ، الى درجة جعلت قدماء المصريين يظنون ان الرجال يحيضون كما تحيض النساء ! !

وليست «مصر» هي البلد الوحيد - بين بلدان القارة الافريقية - الذي تنتشر فيه «بلهارزيا الجهاز البولي» ؛ بل ان معظم بلدان هذه القارة ، وكثيراً من بلدان الشرق الاوسط ، تعاني من ويلات هذا المرض ، وتلقى منه الأمرّين ! !

وفي الشرق الاقصى ، كالصين واليابان ، ينتشر نوع من البلهارزيا ، يصيب الجهاز الهضمي . وبالتحديد يصيب «المستقيم» ؛ وهو الجزء الاخير من الامعاء الغليظة والذي ينتهي بفتحة المخرج ..

البلهارزيا - اذن - نوعان : بلهارزيا الجهاز البولي ، وبلهارزيا المستقيم .. وهذا الفصل يتحدث - اساساً - عن النوع الاول ..

قارئـة الفنجـان :

اصيب «عبد الحليم حافظ» بالبلهارزيا منذ طفولته .. واغلب الظن انه لم يعالج في بداية الامر ؛ فلم تكن الخدمات الصحية متيسرة آنذاك - في الريف المصري ..

كان «عبد الحليم» في بداية الامر يتبوّل دماً . وعندما اصبح المرض مزمناً . ووصلت آثاره الىٰ الكبد والمرئ ؛ راح يتقيّأ دماً ..

وكلما كان «عبد الحليم» يتألق نجمه وتدوّي شهرته . كان المرض يثقل عليه شيئاً فشيئاً ؛ ويعكّر صفاء الشهرة وروعة المجد ..

وانبرت له قارئة فنجان اخبرته بالحقيقة المرّة ، وحدّثته عن دنياه المرعبة . وحياته المليئة بالاسفار والحروب ، وسمائه الممطرة ، وطريقه المسدود .. المسدود ! !

وقالت له :

بصّرتُ ونجّمتُ كثيراً
لكني .. لم اقرأ ابداً
فنجاناً يشبه فنجانك
لم اعرف ابداً ياولدي
احزاناً تشبه احزانك
مقدورك .. ان تمشي ابداً
في الحب .. علىٰ حد الخنجر
وتظل وحيداً كالاصداف
وتظل حزيناً كالصفصاف
مقدورك ان تمضي ابداً
في بحر الحب بغير قلوع
وتحب .. ملايين المرات
وترجع كالملك المخلوع ! !

الرحـلة من اولها :

كان يمكن القضاء علىٰ «البلهارزيا» في افريقيا وغيرها من المناطق الموبوءة ؛ لو امكن ضمان عدم تبوّل المصابين في البرك او المياه الراكدة .. واعترف احد الاطباء المصريين قائلاً : «لقد عجزنا ان نعلّم ابناء الريف عملية بسيطة . وهي الدوران ١٨٠ْ عند التبوّل ؛ فبدلاً من ان يبوّل احدهم في الماء . يبول علىٰ اليابسة !!» .

ان البيوض تخرج مع بول المصاب الىٰ الماء ، حيث تفقس الىٰ يرقات صغيرة تسمىٰ «ميراسيديا» . والتي سرعان ما تدخل في جسم نوع خاص من القواقع ؛ تتكاثر فيه ، وتنضج خلال اسبوعين ، لتخرج منه بهيئة يرقات مشطورة الذنب ، تسمىٰ «سركاريا» .. وهذه ، تستطيع العيش حرةًليوم او يومين ، لتموت ـ بعد ذلك ـ ان لم تجد انساناً تغزوه ..

كان الطفل «عبد الحليم» يسبح ـ مع اقرانه ـ في احدىٰ البرك المبوءة بالبلهارزيا ، في الريف المصري .. ورغم ان «السركاريا» لا تبصر ؛ فانها اهتدت الىٰ هؤلاء الاطفال ، عن طريق الحرارة التي تشع من اجسامهم .. واستطاعت ان تخترق جلودهم الغضة ..

وعندما تخترق الجلد ، تتلقفها الاوعية الدموية الشعرية .. ولأن هذه اليرقات لا حول لها ولا قوة ؛ فأن الدم يجرفها معه حتىٰ الرئتين ، لتنتقل منهما الىٰ الكبد . وتعددت آراء العلماء حول الطريق الذي تسلكه تلك اليرقات من الرئتين الىٰ الكبد .. ومن هذه الآراء ما يؤكد علىٰ انها تخترق الحجاب الحاجز .. وكما تعلم ؛ فان الكبد يقع تحت الحجاب الحاجز مباشرةً ..

وخلال هذه المسيرة ، تكون اليرقات قد تحوّلت الىٰ «ديدان صغيرة» تستقر في الكبد لشهرين او ثلاثة شهور .. وفي هذه الفترة تنضج الديدان ؛ ويصبح بعضها ذكوراً ، والبعض الآخر اناثاً ..

رحلـة الغـرام :

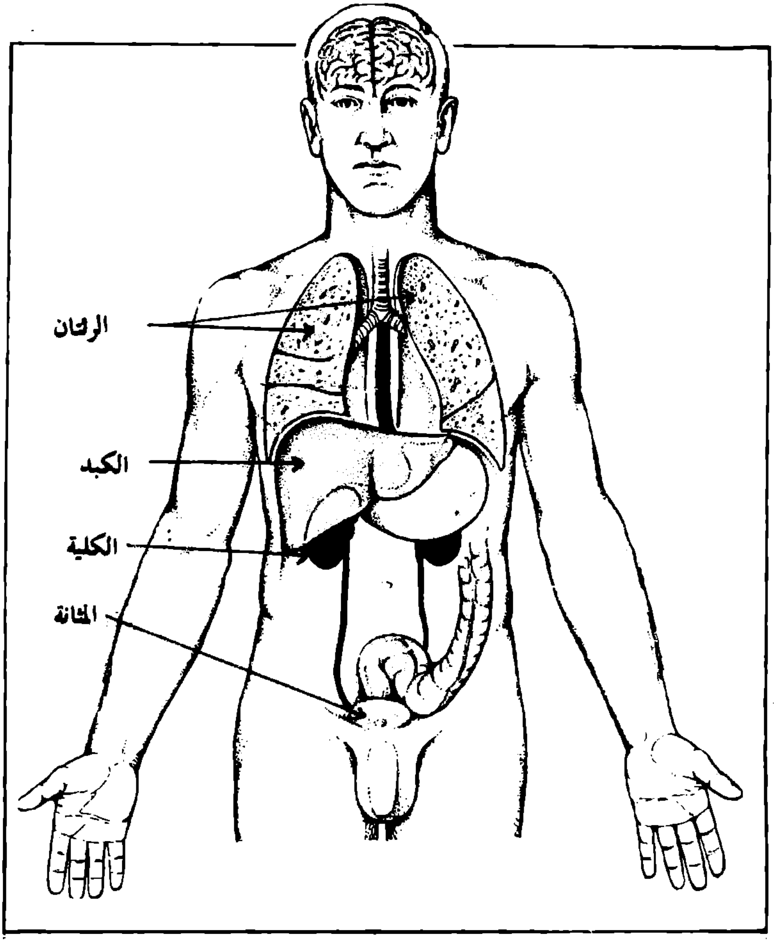
في الكبد ، تنشأ علاقات حب بين الذكور والاناث .. وذكر البلهارزيا له اخدود ـ في جسمه ـ يحتضن فيه انثاه بلهفة واشتياق ، ليبدءا معاً رحلة الحب والغرام !!

واذا كان الناس يقصدون المناطق السياحية الجميلة في «شهر العسل» ؛ فان تلك الديدان تسافر الىٰ «المثانة» حيث عيشها الرغيد علىٰ ضفاف البول !!

وفي هذه المرحلة الغرامية من الكبد الىٰ المثانة ؛ تسير الديدان بعكس اتجاه تيار الدم ، يساعدها في ذلك ممصّات « Suckers » تتشبث بواسطتها بجدران الاوعية الدموية ..

وتمضي الديدان بقية عمرها في اوردة المثانة .. وكل انثىٰ تستطيع ان تضع (١٥٠٠) بيضة يومياً .. وبعض المصابين ، يحمل - في مثانته - مئة دودة او يزيد .. وبهذا ، يطرح المصاب اعداداً هائلة من البيوض في بوله .. وتعاد دورة الحياة من جديد اذا وجدت البيوض بيئة ملائمة ، وهي البرك او المياه الراكدة ..

وبعض البيوض لا تطرح مع البول ، انما تنغرز في جدار المثانة ، وتعبث بها ما شاء لها العبث !!



تنضج يرقات البلهارزيا في الكبد ، متحولة الىٰ ذكور واناث .. ويحتضن كل ذكر انثاه ليرحلا الىٰ المثانة ، حيث تضع الانثىٰ بيوضها ..

متاعب المريض :

في بداية الامر- عندما تخترق يرقات البلهارزيا الجلد- لا يحس المصاب الا بحكّة جلدية بسيطة . وقد يظهر طفح جلدي بعد يومين او ثلاثة ايام من السباحة في المياه الموبوءة . وقد تدخل تلك اليرقات دون ان يحس المصاب بأية اعراض ..

وتبدأ متاعب المريض ، عندما تصل يرقات البلهارزيا الى الكبد ؛ فوجود هذه الكائنات الغريبة في الكبد يسبب نوعاً من «الحساسية» .. ونتيجة لذلك ؛ ترتفع حرارة الجسم . ويحس المريض بالتعب . ويتضخم الكبد والطحال ، وقد يصاب باليرقان Jaundice ، اي اصفرار بياض العين بسبب اضطراب وظائف الكبد .. وربما ظهر طفح جلدي ، مؤكداً ثورة الجسم ضد الغرباء ! ! واعراض الحساسية هذه ، تزداد شدةً كلما ازداد عدد اليرقات الغازية .. وتستمر نحو شهرين او ثلاث ..

ان الاعراض الرئيسية لبلهارزيا الجهاز البولي ، تبدأ عندما تصل الديدان الى المثانة حيث تضع بيوضها .. فبعض هذه البيوض يخترق جدار المثانة ، ثم يطرح مع البول ؛ ويترافق ذلك بتبوّل دموي Hematurea .. وفي معظم الاحيان ؛ يكون البول نقياً اول الأمر ، وتكون قطراته الاخيرة ممزوجة بالدم .. وقد يلاحظ المريض قطرات من الدم تلطّخ ملابسه الداخلية ..

وقد يشعر المريض بحرقة عند التبوّل ..

وفي هذه المرحلة ، يمكن تشخيص المرض بسهولة ؛ وذلك بفحص البول مجهرياً لمشاهدة بيوض البلهارزيا .. وان افضل وقت لذلك هو منتصف النهار حين يكون تركيز البيوض في البول على اشدّه .. وبيضة البلهارزيا ذات شكل متميز لا تخطئه العين ؛ فهي مدببة من احدى نهايتها ..

ولو عولج المريض في هذه المرحلة ، فقد يمكن شفاؤه بصورة تامة .. اما لو اهمل دون علاج ، فعندئذ تبدأ مرحلة متعبة ، وهي أسوأ مراحل المرض .. تلك هي المضاعفات ..

المضاعفات :

ان البيوض التي تخترق جدار المثانة تسبب تقرّحها .. وتلتهب هذه التقرّحات ، وتتليّف ؛ وغالباً ما يظهر التليّف عند اتصال الحالب بالمثانة ، وهذا يؤدي الى اضرار جمّة تعيق عمل الجهاز البولي ، وقد ينتهي الامر بعجز كلوي ..

وفي بعض الحالات ، يتكلّس جدار المثانة ، وعندئذ تمكن رؤيتها بالاشعة العادية ؛ فتبدو وكأنها رأس جنين في رحم أمه ! !

ان تكلس جدار المثانة يؤدي الىٰ اضطرابات شديدة في عملها ؛ فتكثر مرّات التبوّل ، وقد يصاب المريض بسلس البول ..

وتبلغ المضاعفات ذروتها بالسرطان ؛ فمن المعروف ان البلهارزيا تمهّد للاصابة بسرطان المثانة ..

وليست تلك كل المضاعفات ، ففي جعبة «البلهارزيا» المزيد من العبث والتخريب ؛ فقد ترحل بعض هذه الديدان او بعض بيوضها الىٰ الجهاز العصبي ، فتسبب شلل الاطراف السفلية او غير ذلك من اصابات الجهاز العصبي العصيبة ! !

وقد ترحل بعض البيوض الىٰ الرئتين ، وتعبث بهما ماشاء لها العبث ، وربما ادىٰ ذلك الىٰ عجز القلب ..

التقيّؤ الدموي :

في ايامه الاخيرة ، اصيب «عبد الحليم» بنوبات من التقيّؤ الدموي .. اذن ، لقد قرعت اجراس الخطر ، وآذنت شمس «عبد الحليم» بالأفول ! !

فما علاقة «البلهارزيا» بالتقيؤ الدموي ؟ !

ان ديدان البلهارزيا تقضي نحو ثلاثة شهور في الكبد ، قبل رحيلها الىٰ المثانة .. وهذه ذات تأثيرات سيئة علىٰ الكبد .. وبعض بيوض هذه الديدان قد ترجع من المثانة لتستقر في الكبد .. وهذه ذات تأثيرات اسوأ .. وكل ذلك قد يؤدي الىٰ «تلّيف الكبد» ؛ وهذا هو ماحصل للفنان الراحل ..

ترىٰ ، كيف يؤدي «تليف الكبد» الىٰ التقيؤ الدموي ؟

ان اوردة الجزء الاسفل من المرئ ، تمرّ بالكبد في طريقها الىٰ القلب «وهذا هو شأن معظم اوردة الجهاز الهضمي» .. واذا تليّف الكبد ؛ قطع الطريق امام اوردة المرئ تلك .. وعندئذ ، يتجمع الدم فيها ، حتىٰ تنفجر ؛ ويتقيّأ المريض ذلك الدم النازف من الاوردة ..

السهل الممتنع :

لو ان جميع المصابين ، امتنعوا عن التبول في المياه ، لما كانت هناك فرصة لبيوض البلهارزيا ان تفقس وتحرر يرقاتها ..

ولو اننا قضينا علىٰ «القواقع» التي تعمل كمضيف وسطيّ لتلك اليرقات ؛ لما استطاعت ان تتحول الىٰ الدور المعدي الذي يصيب الانسان ..

ولو ان الناس لم يسبحوا او يستحمّوا في البرك او المياه الموبوءة ؛ لما اصيب احد منهم ..

وقد تبدو هذه الطرق سهلة ميسورة من الناحية النظرية ، ولكنها - في واقع الامر - ليست كذلك ..

فكيف نستطيع ان نمنع الاطفال الذين يعيشون في مناطق الاهوار والمستنقعات ، من السباحة في تلك المياه الراكدة ، وهو محاطون بالماء من كل الجوانب ؟!

ومن اين لنا بالمبيد الذي يضمن القضاء على القواقع قضاءً تاماً ، بدون اضرار بالماء او النباتات او الانسان ؟!

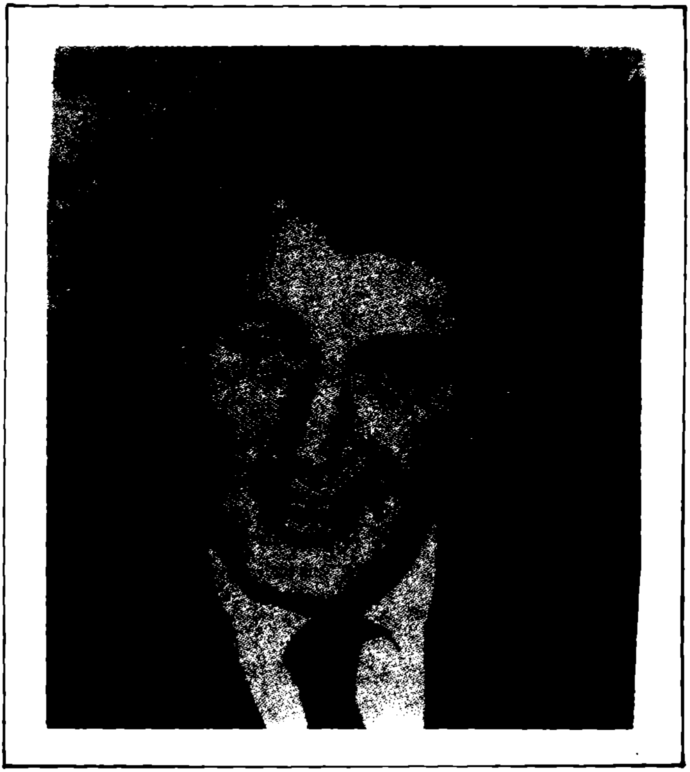
العــلاج الشافي :

العقاقير المضادة للبلهارزيا ، هي العلاج الشافي لو استعملت في وقت مبكر ؛ قبل ان يستفحل المرض ويعبث بالجهاز البولي اسوأ العبث ! !

وقبل العلاج ، لابد ان نعلم ان تلك العقاقير ذات اضرار جانبية غير يسيرة ؛ ولهذا ، لا يُحبّذ استعمالها الا بعد التأكد - بصورة جازمة - من التشخيص .. ويستثنىٰ من ذلك اصابة الجهاز العصبي بالبلهارزيا ؛ فحتىٰ لو كان لدينا احتمال « غير مؤكد » علىٰ ذلك ، فاننا نبدأ العلاج دون تأخير ..

والعقاقير المضادة للبلهارزيا انواع عديدة ؛ اكثرها استعمالاً هو « نريدازول » Niridazole

روك هيدسـون
ومـرض الأيـدز



«روك هيدسون»

لقد تألق الممثل الأمريكي «روك هيدسون» في الخمسينات ، وسرعان ما أصبح من نجوم «هوليود» اللامعين.. وكانت قدراته الجسدية ، وملامحه المعبّرة ، ونبرات صوته المؤثرة ؛ من العوامل التي ساعدته علىٰ تحقيق النجاح والشهرة..

ومن أشهر افلامه «وداعاً للسلاح» المأخوذ عن رواية الكاتب الروائي الشهير «ارنست همنغواي».. ومن اشهر مسلسلاته «داينستي»..

لقد اصيب «روك هيدسون» بمرض «الأيدز» في عام ١٩٨١ ، واحيط الامر

بسرية تامة ، حفاظاً على سمعة هذا النجم الهوليودي الكبير ؛ فمن المعروف ان اغلب ضحايا هذا المرض ، هم من ممارسي اللواط «الشذوذ الجنسي» ! !

ولكن صحته اخذت تتدهور سنة بعد سنة ، وفي عام ١٩٨٥ بلغ السيل الزبى ؛ وراح الكثيرون يتساءلون عن صحة نجم هوليود ، بعد ان ظهر في احدى الحفلات الاعلانية شاحباً متعباً ..

وفي «تموز» من نفس العام ، تدهورت صحته بشكل خطير ، فنقل الى المستشفى الأمريكي في باريس .. ورابط الصحفيّون عند باب المستشفى ؛ يقتنصون الاخبار ، ليعلموا حقيقة المرض الذي اصاب نجم هوليود ، فكاد يرديه .. ثم اعلن المستشفى الامريكي - بصورة رسمية - ان «روك هيدسون» مصاب بالايدز ! !

وراحت الصحافة تتساءل : هل كان نجم هوليود من ممارسي اللواط ؟! ام انه كان مدمن مخدرات ؟! ام انه التقط المرض ، عند نقل الدم له اثناء عملية «القلب المفتوح» التي اجريت له عام ١٩٨١ ؟

المـرض المـرعب :

لقد سبّب هذا المرض موجة من الذعر في الولايات المتحدة الامريكية ، واوربا .. وذكرت الصحف ، ان اثنين من المصابين به ، قد هربا منه بطريقة مضحكة مبكية ؛ اذ القيا بنفسيهما من الدور الخامس والثلاثين لاحدى ناطحات السحاب في نيويورك ! !

وكما تعلم فأن :

المستجير بعمرٍو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار ! !

وعندما تسلّل المرض الى «هوليود» - موطن السينما بامريكا - نشر الرعب هناك ؛ فتهافت الفنانون على المراكز الطبية في «سان فرانسيسكو» لأجراء التحرّيات المختبرية .. وبعض الممثلات رفضن ان يقبّلن اي ممثل ، الاّ بعد ان يثبت عدم اصابته بالمرض ! !

الأيدز ؟ !

لاشك ان «الأيدز» A.I.D.S كلمة غريبة على قرّاء العربية ؛ فهي تجميع للحروف الاولى ، من الكلمات الانجليزية الأربع التي تمثّل أسم المرض ، وهي Acquired Immuno Deficiency Syndrome ، وتعني «مرض نقص المناعة المكتسبة» ..

ولقد اكتشف هذا المرض ـ لأول مرة ـ في الولايات المتحدة الامريكية ، في مطلع الثمانينات ؛ ففي ربيع ١٩٨١ شُخّصت حالات مرضية نادرة في ثلاث مدن امريكية ، هي سان فرانسيسكو ، ولوس انجلوس ، ونيويورك : وهذه الحالات المرضية هي التهابات رئوية تسبّبها احياء مجهرية تسمىٰ « pneumocystis Carinii » ..

ومن المعروف ان هذه الاحياء المجهرية لا تصيب الاصحّاء من الناس ، فمناعة الجسم كفيلة بالقضاء عليها ؛ انما هي تصيب المرضىٰ الذين عولجوا بوسائل مثبّطة للمناعة . كالعلاج بالأشعة او العقاقير المضادة للسرطان ..

والغريب في الامر ، ان تلك الالتهابات الرئوية قد ظهرت لدىٰ اشخاص لم يكونوا يُعالجون بتلك الوسائل المثبطة للمناعة ..

وبالاضافة الىٰ ذلك ، ظهرت حالات عديدة من الاصابة بورم جلديّ يسمىٰ « Kaposi Sarcoma » ؛ وهذا الورم كان نادر الحدوث في الولايات المتحدة الامريكية ، ويصيب ـ في العادة ـ كبار السن وضعاف المناعة ، ويكون بطيئاً في نمّوه المرضيّ ..

والغريب في الامر ، ان هذا الورم قد أصاب شبّاناً يبدون اصحّاء ، وسلك دوراً حاداً ، واصاب كل انحاء الجسم ، وتعدّىٰ الجلد الىٰ الاغشية المخاطية ..

اذن فوراء الاكمة ماوراءها ! ! ولابد ان هناك سبباً خفياً ، اهلك مناعة الجسم لدىٰ اولئك المرضىٰ ، فطمعت فيهم حتىٰ المكروبات الضعيفة ، وما اسهل ان تعدو الذئاب علىٰ من لا كلب عنده ! !

فماذا هناك ؟

الكائنات العجيبة :

بعد بحوث مضنية ، تم اكتشاف المكروب المسبب لمرض «الايدز» ، وهو فايروس يسمىٰ (HTLV - 3) ..

والفايروسات ـ بصورة عامة ـ كائنات عجيبة غريبة ؛ فهي صغيرة الحجم الىٰ درجة انها لاترىٰ الاّ بعد تكبيرها آلاف المرات ، ولو نظرت اليها ـ وهي خارج الجسم ـ لوجدتها كبلّورات لاأثر للحياة فيها .. وهذه الكائنات التي تبدو ميتة ، لو دخلت الجسم لعملت فيه العجب العجاب ؛ فهي تسيطر علىٰ نواة الخلية ، ومن هناك ـ من نواة الخلية ـ تصدر اوامرها الخبيثة ، فتنقسم الخلية انقسامات متتالية مكونةً آلاف الفايروسات ، وليس آلاف الخلايا ! !

وهيّ بذلك ـ تشبه قوة مسلحة اطاحت بحكومة بلد ما ، ثم احتلت الأذاعة ، وراحت تصدر اوامرها من هناك ..

ذلك عن الفيروسات بشكل عام ، فماذا عن فيروس مرض «الايدز» ؟ وكيف يحطم مناعة الجسم ؟

انه يغزو خلايا الدم البيضاء ، وبالتحديد ؛ نوعاً منها يسمىٰ بالخلايا اللمفاوية Lymphocytes ، وهي ذات دور كبير في الدفاع عن الجسم ضد المكروبات ..

وهذا الفيروس يعيق الخلايا اللمفاوية عن عملها الدفاعي ..

ليس هذا فقط ، بل انه يحوّلها الىٰ مصنع كبير ينتج اعداداً هائلة من الفيروسات ، وعندئذ تغزو هذه الفيروسات الجديدة خلايا لمفاوية اخرىٰ ..

ولقد وجد ان هذا الفيروس يمتلك سرعة هائلة في التكاثر ، تفوق قابلية الفيروسات الاخرىٰ آلاف المرات ..

والغريب ان الخلايا اللمفاوية ـ وهي الحارس الامين للجسم ضد الغزاة ـ لا تمنع هذا الفيروس عن نفسها ، وهي ـ بهذا ـ كطبيب يداوي الناس وهو عليل ! !

ومن الملاحظ ، ان الفيروس يختفي من الدم ، بعد ان يقوم بمهمته الجنونية في تحطيم مناعة الجسم ؛ اي بعد ان يتأكد من ان المريض قد استعدّ للقاء ملك الموت ! !



روك هيدسون ، من نعيم «هوليود» الىٰ جحيم «الأيدز» ! !

طـرق العـدوىٰ :

ان ٧٢٪ منَ المصابين هم من ممارسي اللواط ، في حين ان ١٧٪ همْ من المكثرين لحقن الادوية بالوريد «علىٰ الاخص المدمنون علىٰ المخدرات» ..

وان ٦٪ همْ من المصابين بمرض الناعور «اي الهيموفيليا Hemophilia » .. اما البقية «٥٪» فهم من مواطني «هاييتي» الداخلين قريباً الىٰ الولايات المتحدة ..

ومن خلال هذه الاحصائيات ، يبدو ان فيروس المرض ينتقل مع سوائل الجسم : المني ، الدم ، اللعاب ، الدموع .. فلقد وجد الفيروس في لعاب ودموع بعض المرضىٰ ، ورغم ذلك ، لم يتأكد ـ الا في حالات قليلة ـ انتقال المرض مع رذاذ الكلام او العطاس ، او اثناء التقبيل ..

ان فترة حضانة المرض طويلة ، قد تصل الىٰ سنتين ؛ اي ان الشخص يحمل الفيروس في دمه دون ان تظهر عليه اعراض المرض ، الاّ بعد تلك الفترة .. وبعضهم لا يصاب بالمرض علىٰ الاطلاق «فمن المعروف ان عشرة بالمئة فقط من حاملي الفيروس يصابون بالمرض» ، ويبدو ان اجسام هؤلاء قد استطاعت ان تتعايش ـ بسلام ـ مع هذا الفيروس المهلك !! ولكن المشكلة انهم مصدر خطير من مصادر العدوىٰ ؛ فرغم انهم لم يتأثروا به ، فقد ينقلونه الىٰ اشخاص اصحّاء ..



روك هيدسون مع «اليزابيث تايلور» في لقطة من فيلم «العملاق» ..

المرض الخطير :

منذ اكتشاف المرض في عام ١٩٨١ ، وحتىٰ نهاية عام ١٩٨٥ ؛ شُخّصت (١٦٤٥٨) حالة ، مات منهم (٨٣٦١) ، اي بمعدل ٥١٪ ، وذلك في الولايات المتحدة الامريكية التي تتصدر القائمة في عدد الاصابات ..

وفي واقع الامر ، فان «الايدز» يقتل تسعين بالمئة من ضحاياه ، لو لم يعالجوا ؛ وسبب خطورة هذا المرض ، هو انه يحطم مناعة الجسم ، فيجعله عرضة للغزو من قبل حتىٰ اضعف المكروبات .. وهذا شبيه بدولة تحطم جيشها ، فطمع فيها الطامعون ، وغزتها امم ضعيفة لم تكن ـ قبل ذلك ـ تفكر بالتقرّب من اسوارها ! !

اننا محاطون بالمكروبات من كل جانب : الهواء الذي نتنسمه ، والماء الذي نشربه ، والتراب الذي نمشي عليه ؛ كلها مليئة بانواع المكروبات .. بل حتىٰ داخل اجسامنا : في الفم ، والانف ، والبلعوم ، والامعاء ، والجلد ؛ تعيش مكروبات لا عدّ لها ولا حصر ..

ورغم ذلك ، فان اجسامنا تتعايش ـ بسلام ـ مع هؤلاء الاعداء المتربصين ؛ وذلك بفضل جهاز المناعة الذي يقتنص اي مكروب تسوّل له نفسه الاعتداء او العبث ! !

ولو انهار جهاز المناعة ـ كما يحصل في مرض الايدز ـ فان الجسم يصبح مرتعاً للمكروبات ، تصول فيه وتجول دون رادع .. وعندئذ ، يصاب الشخص بالاسهال ، والالتهابات الفطرية في الفم ، وذات الرئة .. وقد يصاب بالتهاب الدماغ والسحايا فيؤدي ذلك الىٰ الشلل والعمىٰ .. وباختصار ؛ فان كل عضو من اعضاء الجسم ، وكل جهاز من اجهزته ، يصبح عرضة لعبث مكروبات لا ترحم ! !

هل من علاج ؟

لايزال امامنا وقت طويل قبل اكتشاف علاج فعّال لهذا المرض الوبيل ..

وكان افضل دواء في عام ١٩٨٥ هو (HPA 23) ، فهو يقتل الفيروس في المختبر ، ولكنه ضعيف التأثير عليه في الجسم البشري ؛ ومن اجل الاستفادة القصوىٰ من هذا الدواء ، فلابد ان يتناوله المريض قبل الانهيار الكامل لمناعة الجسم ..

والحلم الذي يراود مخيلة العلماء ، هو ابتكار لقاح يقي الانسان من الفيروس القاتل ..

ولحين ايجاد مثل ذلك اللقاح ؛ فلابد من اجراء التدابير الكفيلة بالحد من سرعة انتشار المرض ..

ومن تلك التدابير الوقائية ، القيام بحملات شاملة لاختبار الدم من اجل اكتشاف الافراد الحاملين للفيروس في دمائهم ..

وهذا الاختبار لابد منه للمتبرعين بالدم ؛ فقد يكونون حاملين للفيروس ..

ومن المهم جداً اختبار الدم الموجود في المستشفيات او مصارف الدم . قبل اعطائه لمن يحتاجه ..

ولأن معظم الاصابات ظهرت لدىٰ ممارسي اللواط ، فلابد من القضاء علىٰ هذه الظاهرة الجنسية الشاذة ..

وبالفعل ، فقد شهدت البلدان الاوربية انخفاضاً كبيراً في عدد المترددين علىٰ النوادي الخاصة باللواط والشذوذ الجنسي ..

وقام المتحدّث بأسم ممارسي اللواط «تصوّر !!» في مدينة «ريودي جانيرو» . بأعلان توبته ، وتزوّج تأكيداً لاستقامته !!

البحـر والرمـاد :

خلال فترة مرض «روك هيدسون» ، اتفق معه احد الناشرين علىٰ كتابة مذكرات حياته .. وجاءه في اليوم الثاني من تشرين الاول من عام ١٩٨٥ ، ليستلم تلك المذكرات ، فوجده هامداً لا حراك فيه !!



روك هيدسون مع «فيليس غيث» التي تزوجها عام ١٩٥٥ وسرعان ما طلقها

ثم ماذا ؟

ذكرت احدى شركات نقل الموتى في «هوليود» . ان الرماد المتخلف عن حرق جثة الممثل الامريكي «روك هيدسون» ، قد تمّ القاءه في المحيط الهادي ، امام شواطئ «لوس انجلوس» ..

ابتلع المحيط الهادي ذلك الرماد ، ورسمت موجاته دوائر راحت تتسع شيئاً فشيئاً ، لتتلاشى بعد قليل .. وعلى الشواطئ القريبة ، كان شبحان لفتى وفتاة يتغازلان ، وربما قالت له : ان ابتسامتك ساحرة كابتسامة روك هيدسون ! !

بيكاسو والسكتة القلبية



الفنان الكبير «بيكاسو» مات بالسكتة القلبية ..

عندما سألته عشيقته «فرانسواز جيلو» كيف يستطيع ان يقضي الساعات الطوال امام لوحاته ، منكباً علىٰ الرسم دون ملل ؟ اجابها : «عندما ابدأ الرسم ، انزل جسدي خارج باب المرسم ، كما يفعل المسلمون عندما يدخلون المسجد للصلاة» ..

انه الرسّام المبدع «بابلّو بيكاسو» الذي ولد في اسبانيا عام (١٨٨١) ، والذي ظهرت ملامح عبقريته منذ نعومة اظفاره ؛ فكانّ وهو طفل ـ يستطيع ان يرسم اي حيوان ، دون ان يرفع القلم عن الورق ، وهو مغمض العينين ! !

وفي عام (١٩٠٧) ، رسم بيكاسو اللوحة التي غيّرت مسيرة الفن في القرن العشرين ، وهي لوحة «فتيات افنيون» ؛ التي كانت اول لوحة «تكعيبية» في تاريخ الفن ..

وعندما رآها احد اصدقائه من الفنانين ، صاح قائلاً :

«كأنك تطلب منا ان نشرب بترولاً ، يا بيكاسو ! !» .

لقد اثار النقاد والناس بفنه التكعيبي ، وبالتشويهات التي ادخلها علىٰ الجسم البشري ، حتىٰ لقد اتهموه بأنه عاشق للقبح ! !

وعندما سأله احد الادباء عن المعنىٰ في هذه اللوحات التكعيبية ، اجابه : «كل شخص يريد ان يفهم الفن ! ! لماذا لا يريد ـ اذن ـ ان يفهم تغريد العصفور ؟ ! ولماذا يحب الليل والازهار دون ان يحاول فهمها ؟ الا يمكن ان يحب الانسان الفن ، لانه جميل دون ان يفهمه ؟» .

المرأة العارية :

لقد بيعت لوحات هذا الرسّام الكبير بأثمان خيالية ؛ ومثال ذلك ان المعرض الوطني في نيويورك اشترىٰ في عام ١٩٧٢ ، لوحة «امرأة عارية» التي رسمها بيكاسو في عام ١٩١٠ ، بمبلغ مليون ومئة الف دولار ، وهذا أكبر مبلغ دفع ثمناً للوحة فنان في حياته ..

لقد كان بيكاسو ، يكسب - من اعماله الفنية - اكثر من خمسة عشر مليون دولار في كل عام ؛ اي انه كان يكسب في اليوم الواحد . مجموع ما نكسبه انا وانت - اخي القارئ - في خمسة عشر عاماً ! !

اما اعظم لوحاته قاطبة ، فهي لوحة «جيرنيكا» التي تعدُّ اشهر لوحة في القرن العشرين .. وقصة هذه اللوحة تعود الىٰ عام ١٩٣٧ حين قصفت الطائرات الالمانية مدينة «جيرنيكا» - وهي من مدن الباسك ، فدمرتها تدميراً شاملاً ..

ولقد اثارت هذه الحادثة البشعة «بيكاسو» ؛ فرسم تلك اللوحة التي تصوّر المأساة . وقد عكف علىٰ رسمها شهراً ..

ويبلغ طول هذه اللوحة (٥ر٢٥) قدم ، وعرضها (٥ر١١) قدم .. ورغم انها تعبّر عن اهوال الحرب والموت ، فأن الدم الاحمر لاوجود له فيها .. ان كل مافيها هو لون اسود ورمادي ، وكأنها صرخة ألم مخنوقة ..

وقد عرضت هذه اللوحة في معرض باريس الدولي .. ورغم الأغراءات الكثيرة ، والمبالغ الطائلة ، التي عرضت عليه ثمناً لها ؛ فانه لم يتخلّ عنها ..

ويروي «بيكاسو» انه - اثناء الاحتلال النازي لفرنسا في الحرب الكونية الثانية - دخل عليه في المرسم ضابط نازي ، فرأىٰ صورة فوتوغرافية للّوحة ، فسأله : «أأنت رسمتها ؟» ، فأجابه : «لا .. انتم الذين رسمتموها ! !» .

السكتة القلبية :

السكتة القلبية مرض مرعب حقاً ؛ فهي تفاجئُ الانسان بهجوم مباغت ، ولاتدع له وقتاً يدافع فيه عن نفسه ، وسرعان ما تقوده الىٰ حتفه .. في حين ان الغالبية العظمىٰ من الامراض ، تقرع جرس الانذار اول الأمر ؛ فينتبه المريض ، ويتدبّر امره قبل فوات الأوان ..

واذا كانت السكتة القلبية مرعبة الىٰ هذا الحد ، فانها لم تكن ترعب «بيكاسو» الذي قال لأحد اصدقائه ذات يوم : «ان الموت لا يخيفني ، بل انني اجد فيه نوعاً من الجمال .. وانما الذي يخيفني هو ان اقع مريضاً ، فلا استطيع الاستمرار في العمل ؛

عندها يصبح الزمن ضائعاً ثقيلاً...» .

وفي الساعة الحادية عشرة واربعين دقيقة ، من صباح يوم الاحد ، الثامن من «نيسان» عام ١٩٧٣ ؛ توفي بيكاسو بالسكتة القلبية ، وهو في داره في «الريفيرا» الفرنسية ..

لقد مات بالطريقة التي كان يرغبها ، فلم يمرض ؛ بل انه كان في الليلة السابقة لوفاته ، يقيم - مع زوجته جاكلين - عشاءً لبعض الاصدقاء ..

وبعد انصراف الضيوف ، دخل مرسمه وراح يرسم حتىٰ الثالثة صباحاً .. ثم افاق - كعادته - في الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً ، ولكنه لم يستطع ان ينهض من فراشه ، فقد كان قلبه يعزف اللحن الاخير .. وبعد عشر دقائق ، فارق الحياة .

وفي ذلك اليوم ، قطعت اذاعة باريس برامجها لتعلن النبأ العظيم .. وعندما سمع بذلك «لويس اراغون» اشعر شعراء فرنسا ، قال : «من الصعب ان نجد الكلمات التي ترقىٰ الىٰ قدر الرجل» ..

وعند فجر الثلاثاء ، والثلوج تغمر جنوبي فرنسا ، حمل جثمانه الىٰ قصره في قرية «فوفينارج» ليدفن فيه ، والسماء - بثلوجها المنهمرة - كانت من ابدع اللوحات !!

السكتة القلبية والمشاهير :

كثيرون هم المشاهير الذين اغتالهم هذا المرض القتّال .. من هؤلاء ؛ الرئيس الفرنسي الراحل «شارل ديغول» ، الذي كان جالساً في بيته يشاهد التلفزيون مع بقية افراد عائلته ، وفجأةً سقط من كرسيّه فلمْ يستيقظ بعد ذلك ابداً !!

والجراح الانجليزي الشهير «هنتر» ، وهو اول من شرّح شرايين القلب التاجية ، مات بالسكتة القلبية ، اثر مشادّة عنيفة في مجلس ادارة المستشفىٰ التي كان يعمل فيها ..

اما «جوك ستن» مدرّب المنتخب الاسكتلندي لكرة القدم ، فانه لم يمت اثناء اصابته في حادث مرور تعرّض له في عام ١٩٧٥ ؛ ولكنه مات في «ايلول» عام ١٩٨٥ ، بعد لحظات من مشاهدة فريقه يتعادل مع فريق «ويلز» بهدف واحد ، في تصفيات اوروبا بكرة القدم لبطولة كأس العالم !!

والممثل العالمي الشهير «اورسون ويلز» مات بالسكتة القلبية ..

ترىٰ لماذا يسكت القلب ؟ هذه المضخة الجبارة ، كيف تكف عن العمل فجأة ، فتردي ضحيتها ، فلا تنفع استغاثة او توسّل ، ولايكاد يجدي معها علاج ؟!



الممثل العالمي «اورسون ويلز» توفي عن عمر يناهز السبعين عاماً .. والسبب هو السكتة القلبية ايضاً ..

السكتة القلبية وتصلب الشرايين :

السكتة القلبية هي الموت المفاجئ الذي يحصل خلال اقل من ساعة واحدة من حصول الاعراض المرضية ..

وفي الولايات المتحدة الامريكية ، يغتال هذا المرض الف شخص كل يوم ! !

ان تسعين بالمئة من حالات السكتة القلبية تعزىٰ الىٰ تصلب الشرايين التاجية ؛ وهي الشرايين التي تغذي عضلة القلب ..

اما بقية الحالات ، وهي تمثل عشرة بالمئة ، فتعزىٰ الىٰ امراض قلبية اخرىٰ ؛ كتشوهات القلب الولادية ، وتضيّق الصمام الابهر ، والتهاب عضلة القلب ، والتهاب الشغاف ، وغيرها ..

والبحوث المختلفة تؤكد علىٰ ان تصلب الشرايين التاجية ، هو اصل البلاء ؛ فعند تشريح جثث اشخاص ماتوا فجأة ، وجد ان ٧٥٪ منهم مصابون بتصلب شديد في اكثر من شريان واحد من شرايين القلب التاجية ... وكان ١٥٪ منهم مصابين بتصلب احد الشرايين التاجية .. في حين ١٠٪ منهم كانوا غير مصابين بآفة مرضية في هذه

الشرايين ..

وبالاضافة الىٰ السكتة القلبية ، فان تصلب الشرايين التاجية هو السبب الرئيسي للذبحة الصدرية والجلطة القلبية !!

واذا كان تصلب الشرايين خطراً الىٰ هذا الحد ، فلابد من الحديث عن اسبابه او العوامل التي تؤدي الىٰ تفاقمه ؛ فمعرفة هذه الاسباب أو العوامل ، تساعدنا في الوقاية من تلك الامراض القلبية الفتاكة ..

ونتحدث عن اسباب تصلب الشرايين من خلال الفقرات التالية :

الأغذيـة الدهنـية :

ان الترسبات التي تنشأ عن بطانة الشرايين فتؤدي الىٰ تصلبها وتضيقها ، تتكون ـ اساساً ـ من المواد الدهنية والكوليسترول ..

ولقد اوضحت الأبحاث الطبية ، ان المجتمعات التي لا تستهلك الا القليل من الكوليسترول والدهون المشبعة ؛ قلّما يصاب افرادها بتصلب الشرايين وما ينشأ عنه من عقابيل خطيرة علىٰ القلب ..

في حين ان المجتمعات الغربية ، التي تكثر من تناول تلك الاغذية ، فان تصلب الشرايين واسع الانتشار لدىٰ افرادها ..

ان مستوىٰ الكوليسترول في الدم يعتبر طبيعياً مالم يتجاوز (٢٢٠) ملغم في كل مئة مللتر من الدم ..

ترىٰ ماهي الاغذية الغنية بالكوليسترول ، والتي يؤدي تناولها بافراط ، الىٰ تصلب الشرايين وعقابيله الخطيرة ؟

ان الكوليسترول يوجد في الانسجة الحيوانية فقط .. ويحتوي الطعام الاعتيادي ـ الذي نتناوله في اليوم الواحد ـ علىٰ (٣٠٠)ملغم من الكوليسترول ؛ في حين ان صفار بيضة واحدة يحتوي علىٰ نفس هذا المقدار منه !!

ومن الاغذية الاخرىٰ الغنية بالكوليسترول ، هي الكبد والكلىٰ ..

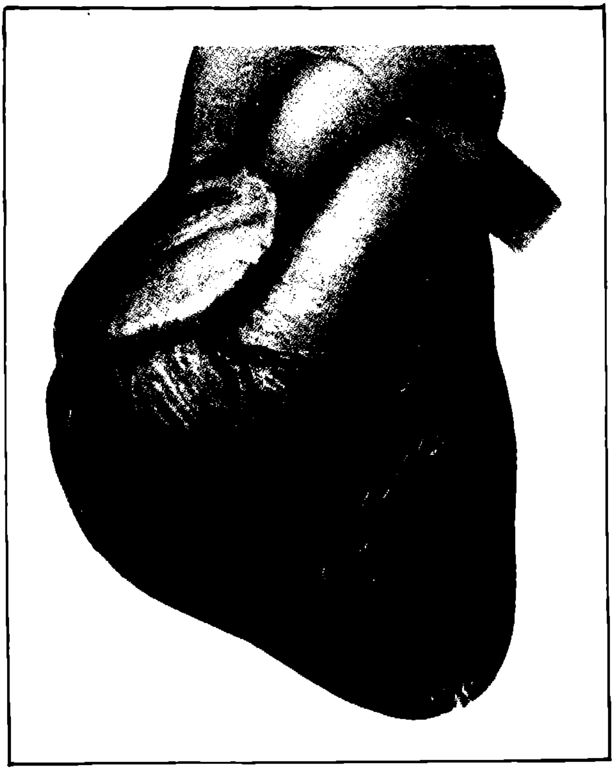
ولهذا فان الامتناع عن هذه الاغذية «او التقليل من تناولها» ، يساعدنا علىٰ تخفيف مستوىٰ الكوليسترول في الدم ..

ويمكن تخفيضه ـ بمعدل اكبر ـ وذلك بالامتناع عن تناول الدهون الحاوية علىٰ نسبة كبيرة من الاحماض الشحمية المشبعة ؛ كالقيمر ، والزبد ، والشحوم الحيوانية ، وزيت جوز الهند .. وبدلاً منها ، يمكن تناول الدهون ذات الاحماض الشحمية الغير مشبعة ؛ كزيت الذرة ، وزيت عباد الشمس ، وزيت فول الصويا ، وزيت السمسم ..

ارتفـاع ضغـط الـدم :

يعتبر ضغط الدم طبيعياً ، مالم يتجاوز ١٤٠/ ٩٠ ملم ز ، ويعدّ ارتفاع ضغط الدم احد اسباب تصلب الشرايين ، فهذا الضغط المرتفع يمثل عبئاً كبيراً علىٰ بطانة الشرايين ، فيؤدي الىٰ انسلاخ بعض خلايا هذه البطانة .. وينتج عن ذلك تغيّرات مرضية معقدة «لا ندخل في تفاصيلها» .. وتؤدي في نهاية الامر الىٰ تصلب الشرايين ..

ولهذا فان علاج هذا المرض ، يعدّ من الوسائل المهمة في منع تفاقم تصلب الشرايين ..



دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثواني

التدخـين :

ان دخان السجائر يحتوي علىٰ مواد كيميائية عديدة ، اخطرها علىٰ القلب ، هو

«اول اوكسيد الكاربون» الذي يتحد مع هيموغلوبين الدم ؛ فيقلّل من كفاءته في نقل الاوكسجين الىٰ مختلف انسجة الجسم ..

وهذا يؤثر تأثيرات سيئة علىٰ الشرايين ، ويؤدي الىٰ تجميع الدهون في بطانتها .. والنتيجة هي تصلب الشرايين ..

داء السكر :

ان داء السكر ، وما يرافقه من ارتفاع مستوىٰ الكلوكوز في الدم ؛ يؤدي الىٰ تصلب الشرايين ..

ومن المعروف ان داء السكر هو احد العوامل التي تسبب ارتفاع ضغط الدم ، وهذا ـ بدوره ـ هو احد اسباب تصلب الشرايين ..

ولهذا ، فان علاج السكر هو من الطرق المهمة في الوقاية من تصلب الشرايين ..

السمنة :

حسب دراسات «فرامنغهام» ؛ فان الاشخاص السمان اكثر عرضة للاصابة بتصلب الشرايين وامراض القلب ..

ان السمنة تمثل عبئاً اضافياً علىٰ القلب ؛ لأن الانسجة الشحمية تحتاج الىٰ الاوكسجين ـ شأنها في ذلك شأن بقية انسجة الجسم .. وعلىٰ القلب ان يبذل جهوداً كبيرة ليزود تلك الانسجة بالاوكسجين ..

كان الله في عون قلب السمان ! !

المشـــاهير
والسرطـــان

المطربة الكبيرة «فائزة احمد» توفيت بالسرطان ؛ المرض الذي لو كان يتأثر بالغناء العذب ، لتردد طويلاً قبل ان يسكت صوتها الشجي .. ولكن قوانين الحياة الصارمة ، لاتعبأ كثيراً بالاصوات الدافئة او الالحان الساحرة ! !

والممثلة الفرنسية الشهيرة «سيمون سينوريه» التي فازت بجائزة «الاوسكار» لأحسن ممثلة لعام ١٩٦٠ في «هوليود» .. هذه الفنانة القديرة ، اصيبت بالسرطان الذي قضى عليها في عام ١٩٨٥ ..

والممثل «شارك برونسون» اصيب بالسرطان .. وقبل ذلك اصيبت زوجته «جيل» بسرطان الثدي ، فقام الجراحون بأستئصال ثديها المصاب ..

وهل أتاك نبأ «البرت اينشتين» ؟ ذلك الطالب الفاشل الذي طرد من المدرسة ، ليصبح ـ بعد ذلك ـ اعظم فيزيائي في القرن العشرين ؟!

انه صاحب المعادلة الشهيرة :

«الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء»



سيمون سينوريه ، في احد افلامها .

هذه المعادلة التي وجدت تأكيدها الفاجع - لأول مرة - في قنبلتي هيروشيما ونجازاكي، في اليابان، عام ١٩٤٥ !! وعندما وقع الفأس على الرأس، أفاق «اينشتين» وامتلأ قلبه حزناً وكمداً؛ انه صاحب المعادلة التي مهدت لاختراع القنبلة الذرية !!

وكان آخر عمل قام به، هو اشتراكه مع «برتراند رسل» في البيان الذي وقّعه احد عشر من كبار مثقفي العالم؛ ينذرون فيه البشرية بالويل والثبور، اذا قامت حرب كونية ثالثة !!

وفي عام ١٩٥٦ مات «اينشتين»، وقيل انه كان مصاباً بالسرطان..

الممثل الأصلع :

الممثل الشهير «يول براينز» ظل يصارع «سرطان الرئة» سنوات عديدة، وكان يؤكد على انه سيكون اول من يصرع هذا المرض الخبيث..

ولم ينقطع عن التمثيل حتى في فترات اشتداد المرض عليه، ولم يذعن لنصائح اطبائه بالاقلاع عن التدخين؛ فلقد كان يدخن مئة سيجارة في اليوم !!

قالت عنه مجلة «انكوايرا» في عام ١٩٨٣ : «لقد حارب براينز مرضه بشجاعة؛ فقد كان يعالج بالاشعة الذرية في الصباح، ليذهب في المساء ليؤدي دور البطولة في مسرحيته الساخرة - الملك وانا - وهو يرقص ويغني لساعات طويلة، وذلك ستة ايام في الاسبوع، وكان يقول؛ لقد انتصرت على السرطان في رقبتي وحلقي من قبل، وهاأنذا انتصر على سرطان الرئة»..

لقد كانت مسرحيته «الملك وانا» المأخوذة عن الرواية الشهيرة «انا والملك سيام» سبب شهرته؛ فقد كان اداؤه رائعاً، وقام فيها بدور الملك على مدى اكثر من ثلاثين عاماً، وحصل على جائزة «الاوسكار» عام ١٩٥٧..

والغريب ان الناس افتتنوا بصلعته؛ ويبدو ان ثقته الشديدة بنفسه، وجرأته، واداؤه المتميز، جعلت الناس يعجبون به كل الاعجاب، واصبح رأسه الأصلع ظاهرة جمالية «وعين الرضا عن كل عيب كليلة»..

وعندما اكتشف اصابته بسرطان الرئة عام ١٩٨٢، راح يصارع هذا المرض.. وفي العاشر من تشرين الاول من عام ١٩٨٥؛ حسم الصراع لصالح المرض، وتوفي براينز في نيويورك عن عمر ٦٥ عاماً..

ولم يكن مستغرباً ان يصاب «براينز» بسرطان الرئة، وهو الذي كان يدخن بافراط.. واذا تحدّى هذا المرض، وكان واثقاً من النصر؛ فذلك شيءٌ معقول لو انه



الممثل «يول براينز» كان يدخن مئة سيجارة في اليوم الواحد .. فهل من الغريب ان يصاب بسرطان الرئة ؟!

اقلع عن التدخين ..

اما وهو يدخن مئة سيجارة في اليوم فكيف يشفىٰ ؟ وهل يشفىٰ جرح يطعن كل يوم مرات ومرات ؟! وهل تخمد نار لو كان هناك من يطعمها - علىٰ الدوام - بالوقود ؟

ترجو السلامة ولا تسلك مسالكها

ان السفينة لا تجري علىٰ اليبسِ !!

سـرطان الرئـة :

السرطان - اي سرطان - يبدأ بخلية مجنونة ، تنقسم انقسامات عديدة ، بصورة عشوائية يسودها الاضطراب والفوضىٰ .. انها بعض خلايا الجسم ، لا تختلف عنها بشئ سوىٰ انها شذت عن النظام وراحت تتكاثر بلا توقف ..

وتتكدس هذه الخلايا علىٰ بعضها ، لتظهر بهيئة ورم خبيث .. ولا تكتفي بذلك ؛ بل انها تتسلل الىٰ الاوعية القريبة منها - اوعية اللمف او الدم - لترسل طلائعها الخبيثة الىٰ اجزاء اخرىٰ من الجسم : الدماغ ، والعظام ، والكبد ، والرئة ،وغير ذلك ، فكل عضو من اعضاء الجسم معرض لهذا الغزو المدمر !! وحيثما حلّت هذه الخلايا حلّ معها الخراب والفساد !! اذ تصبح - في اماكنها الجديدة - نواة لورم سرطاني جديد ..

ويبدو الامر كبلد تكاثف فيه السكان بصورة مرعبة ؛ فراح يرسل طلائعه الىٰ

البلدان القريبة او المجاورة - اول الامر- ثم الىٰ البلدان البعيدة .. وفي كل بلد يحلّ به هؤلاء الغزاة ، يتكاثرون وينافسون اهل البلد في غذائهم ؛ حتىٰ لا يكاد يبقىٰ للسكان الاصليين مكان يعيشون فيه ، او غذاء يقتاتون عليه ..

ان الورم السرطاني الذي نشأ اول الامر يسمىٰ بالسرطان الاولي ؛ اما الذي نشأ نتيجة انتشار السرطان الاولي ، فيسمىٰ بالسرطان الثانوي ..

وسرطان الرئة يصيب الرجال بمعدل خمسة اضعاف ما يصيب النساء «هل تطالب النساء بالمساواة ؟!»وعادةً يبدأ المرض - لدىٰ الجنسين- بعد سن الاربعين ..

وهو اكثر انواع السرطان انتشاراً ؛ فمن بين كل مئة رجل يموتون بالسرطان ، يكون السبب لدىٰ أربعين منهم هو سرطان الرئة او القصبات الهوائية ..

وهو يصيب المدخنين - خاصة مدخني السجائر- بنسبة تزيد ثلاثين مرة عن معدل اصابة غير المدخنين ..

وكلما زاد عدد السجائر المستهلكة في اليوم ، وطالت فترة التدخين ؛ ازداد احتمال الاصابة بسرطان الرئة ..

التدخين .. أصـل البـلاء :

دخان السيجارة يحتوي علىٰ مواد مهيّجة للمسالك التنفسية ، وعلىٰ رأس هذه المواد هو القطران Tar ؛ وهو المادة الصفراء التي نشاهدها تترسب في «فلتر» السيجارة ..

ان تلك المواد تهيّج بطانة القصبات الهوائية وفروعها ، وتروح بعض خلايا هذه البطانة تفرز مواد مخاطية ، لعلها تحجز نفسها عن المواد الضارة ..

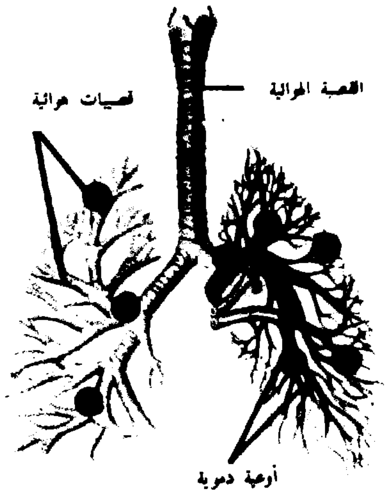
وباستمرار التدخين ، يتزايد نشاط تلك الخلايا ، فتتضخم .. وهذا التضخم قد يتحول - بعد حين- الىٰ ورم سرطاني ..

لقد تحملت تلك الخلايا المسكينة اعباءً كثيرة ؛ كان الدخان يزورها كضيف ثقيل الظل ، لا يكاد يبرح دار مضيفه الا ليعود اليه بعد قليل ! !

ولم يكن امام بطانة المسالك التنفسية ، سوىٰ ان تضع بينها وبين الدخان حاجزاً من المواد المخاطية ..

ولكنها لم تفلح ؛ فالدخان يتكاثف يوماً بعد يوم ، كغيوم لا تنقشع .. وعندئذ اصيبت بعض الخلايا بنوبة جنون ، وراحت تنقسم بكميات هائلة ، لعلها تتغلب على الدخان اللعين الذي يكيل لها الاهانات والصفعات وهي في عقر دارها ! !

وآمل ان لا يظن المدخن بأنه قد فات الاوان لترك التدخين ، وان الفأس وقع علىٰ



أماكن محتملة لسرطان الرئة

الرأس ؛ فلقد أُجريت بحوث طبية علىٰ اشخاص بعد عشر سنوات من اقلاعهم عن التدخين ، وتبيّن ان معدل اصابتهم بسرطان الرئة كمعدل اصابة غير المدخنين ، او قريباً منه ..

وفي واقع الامر ، فأن التدخين ليس العامل الوحيد الذي يمّهد للاصابة بسرطان الرئة .. صحيح انه العامل الاكبر والاخطر ، ولكن هناك عوامل اخرىٰ ، كالتعرض للاشعاع ، او العمل في بعض الصناعات : كصناعة النيكل ، والكروم ، والزرنيخ ، والاسبست ، وغيرها .. وبالطبع ، فان هؤلاء العاملين يخضعون الىٰ اشراف طبي دقيق ، وتتخذ التدابير الكفيلة بتقليل معدل الاصابات ..

الأعـراض .. والتـشخيص :

هناك اعراض مختلفة لهذا المرض ؛ وهي قد تختلف باختلاف مكان السرطان بالرئة ، ومدىٰ ضعفه علىٰ الانسجة المجاورة ..

وأهم هذه الاعراض هو السعال المستمر لفترة طويلة .. وقد يترافق السعال مع قشع متقيّح ، وربما كمية من الدم ..

واذا ضغطَ الورم علىٰ القصبات الهوائية ، فان المصاب يشعر بعسر التنفس .. وفي كثير من الاحيان ، يصاب المريض بالهزال ، وفقر الدم ؛ وينتج عن ذلك سرعة التعب عند القيام بمجهود بسيط .. وقد يشعر المريض بألم في صدره ..

والأعراض كثيرة مختلفة ، ولكنها ليست مقتصرة علىٰ سرطان الرئة ؛ اي انها قد تحصل عند الاصابة بامراض رئوية اخرىٰ لا علاقة لها بالسرطان ..

ومن هنا تأتي أهمية وسائل التشخيص التي تساعد الطبيب علىٰ معرفة حقيقة المرض ..

ومن هذه الوسائل ؛ تصوير الصدر بالاشعة السينية X - Ray .. ويقوم الطبيب بمقارنة الصور الشعاعية والقديمة والحديثة ، لملاحظة التغيرات التي تطرأ عليها ..

ومن الوسائل العظيمة الفائدة ، هي ما يسمّىٰ بالفحص الخلوي للقشع Sputum Cytology ؛ وفيه يقوم المريض باستنشاق البخار المتصاعد من محلول ملحيّ مركز ، لمدة ربع ساعة ، وخلال ذلك يصاب المريض بنوبة من السعال ويطرح كمية من القشع التي تفحص تحت المجهر للتحرّي عن الخلايا السرطانية ..

ان عدم مشاهدة الخلايا السرطانية في القشع ، لا ينفي اصابة المريض بالسرطان .. ولابد من طرق اخرىٰ اكثر دقة ..

ومن هذه الطرق ، هي فحص بطانة القصبات الهوائية بالناظور ، واخذ قطعة صغيرة من هذه البطانة لفحصها بالمجهر ..

نكـد الدنـيا :

ان الوسائل السابقة الذكر ، تستطيع ان تشخّص نحو تسعين بالمئة من حالات الاصابة بسرطان الرئة ..

والمشكلة العظمىٰ هي عندما يكون المرء مصاباً بهذا المرض الخبيث ، ولكنه لا يحسّ بأية اعراض تدل عليه ؛ لا سعال ، لا قشع ، لا الم صدر ، لا شيءٌ علىٰ الاطلاق ..

لقد تسلل السرطان الىٰ الرئتين بخبث شديد ، وانتشر منهما الىٰ اجزاء اخرىٰ من الجسم !!

وبعض هؤلاء يكتشف السرطان لديهم بطريق الصدفة ؛ عند اجراء الفحوص الشعاعية للصدر لسبب ما «كأجراء روتيني عند الانتماء الىٰ وظيفة مدنية ، او خدمة عسكرية ، او غير ذلك» ..

وعندئذ يدهش الطبيب وهو يرىٰ صدر المريض وقد مزّقه السرطان !!

وذلك من نكد الدنيا التي قال عنها التهامي :

جُبلت على كدر وانت تريدها
خلواً من الاقذار والاكدار



برونسون وزوجته

هل هناك أمـل ؟

ان سرطان الرئة مرض قتّال فاتك ، وهو يقضي على المريض خلال عدة شهور اذا اهمل ولم يعالج ..

والعلاج الجراحي يتم باستئصال الورم الخبيث من الرئة ..

ويلجأ الجراح الىٰ هذا العلاج ، عندما يكون الورم في مكان محدد من الرئة ، لم ينتشر الىٰ الانسجة الاخرىٰ ..

وبعض المراكز الصحيّة سجّلت نجاحاً كبيراً بلغ سبعين بالمئة ..

اما اذا انتشر السرطان في الجسم ، وارسل طلائعه الخبيثة الىٰ مختلف الانسجة والاعضاء ؛ فماذا يستطيع الجرّاح ان يفعل؟!

لا شيئ سوىٰ العلاج بالاشعة التي تقتل الخلايا السرطانية .. او العقاقير التي تقوم بمثل ذلك .. وفي الحالتين ، يكون احتمال الشفاء ضعيفاً ..

اولئك
المنتحـرون

كفىٰ بك داءً ان ترىٰ الموت شافيا

وحسب المنايا ان يكنّ امانيا

لعل اسوأ مايصيب الانسان من امراض ، هو ذلك الذي يكون علاجه الوحيد - في رأي المريض - هو الموت ؛ كما قال المتنبي ..

وانه لشيءٌ مدهش حقاً ان يقتل الانسان نفسه فما الذي يدفع الانسان الىٰ هذا السلوك المدمر؟ انها «الكآبة» في معظم الاحيان .. ذلك المرض النفسي الذي يلوّن الحياة بالسواد ، وينشر في أرجائها الظلام ، ويجعل مذاقها مراً لا يستساغ .. فتنهار احلام المرء ، وتصبح آماله «كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً ، حتىٰ اذا جاءهُ لم يجد شيئاً ...» .



ارنست هيمنجواي ..

ويظل المريض يتخبط علىٰ غير هدىً . وقد سُدت الطرق امامه .. ثم يكتشف الطريق ، ولكنه - ياللهول - طريق الموت ! !

ومن مشاهير المنتحرين ؛ الروائي المعروف «ارنست همنغواي» صاحب الروايات العظيمة : الشيخ والبحر .. وداعاً للسلاح .. لمن تقرع الاجراس .. وغيرها ..

وكان هذا الروائي الكبير قد احبّ ممرضة .. ثم فرّقت بينهما السبل .. وتزوجت الممرضة من احد الاثرياء .. فما كان من «همنغواي» الا ان زارها ، وقتلها هناك ! !

وظل الندم يحز في نفسه ، والشعور بالاثم يطارده .. وذات يوم ، خرج - كعادته - للقنص .. ولكنه - في هذه المرة - لم يوجّه بندقيته نحو الطيور او الغزلان ، بل وضع فوهتها في فمه .. ودوّىٰ انفجار مكتوم ! ! وفي لحظات ، كان كل شيءٌ قد انتهىٰ ..

ويقال ان «هتلر» قد انتحر بعد هزيمته واندحار جيوشه ..

وممثلة هوليود الجميلة «مارلين مونرو» كانت علىٰ علاقة غرامية مع «بوب كنيدي» ، وكان حلم حياتها ان تتزوجه .. ولكنه تخلّىٰ عنها .. فقامت بتناول جرعات كبيرة من عقاقير مهدئة ، فاصيبت بغيبوبة لم تفق منها الا في العالم الآخر ..

اما الكاتبة «مارتا لينش» ، وهي اشهر كاتبة في الارجنتين ؛ فقد كانت تخاف من الشيخوخة الىٰ حد الرعب ، وترىٰ «ان الزمن هو العدو ، وضعفنا يزداد مع كل دقيقة نعيشها ، والحل الوحيد هو الموت ؛ لأنه الوسيلة التي نتخلص بها من الخوف» ..

وعندما بلغت الستين من عمرها «في عام ١٩٨٤» ، وغزت التجاعيد وجهها ، اصيبت بكآبة شديدة .. وذات يوم ، اشترت مسدساً ، ووقفت امام المرآة تتأمل وجهها الذي ظهرت عليه معالم الشيخوخة .. ثم اطلقت النار علىٰ نفسها .. وقد وجدها سائقها مضرجة بالدماء ، بعد ساعة ونصف من موتها .. وكان هذا السائق قد حضر لاصطحابها الىٰ طبيبها النفسي ..

يقول زوجها : «ان مارتا سمحت لنفسها ان تقول للموت : لقد تعادلنا في المباراة ؛ لقد نلتني ، ولكنني انا التي اخترت الوقت» ..

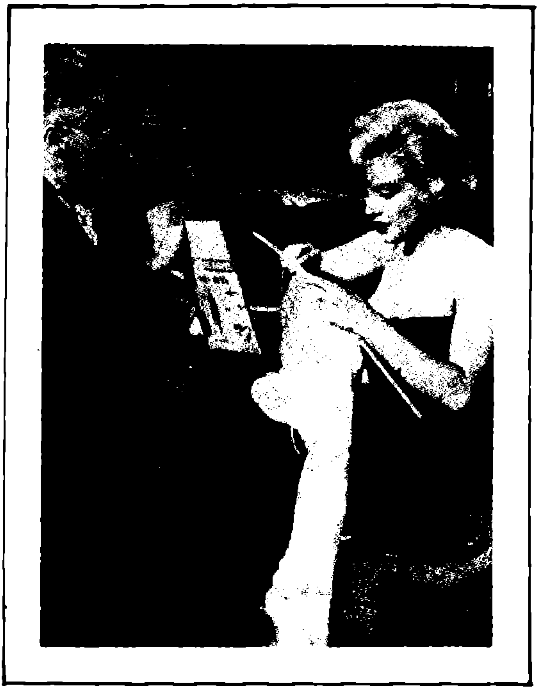
واما الروائية الانجليزية «فرجينيا وولف» ، فقد انتحرت في عام ١٩٤١ ؛ اذ القت بنفسها في النهر ، بعد ان ملأت جيوبها بالحصىٰ ! !

الانتحــار في الغـرب :

لعل من المثير ان نجد حوادث الانتحار تتزايد في العالم الغربي ، رغم انه بلغ القمة في التقدم والثراء والرفاه ..

ولا اريد الدخول في تفسير هذه الظاهرة المعقدة ، ولكن يمكن القول ، ان

المجتمعات الغربية تعيش نظاماً حياتياً يريح الجسد ولكنه يتعب النفس ويرهقها أيّما ارهاق .. وعلىٰ رأس اسباب ذلك : تفكك الأسر ، واضمحلال الروابط الاجتماعية ، وطغيان المادة علىٰ القيم الروحية .. انه الضياع الذي يسود تلك المجتمعات ، وانها الحيرة التي تغزو عقول الناس ! !



مارلين مونرو ، في لقطة من فيلم «دعنا نحب» مع الممثل «ايف مونتان» ..
لماذا انتحرت ممثلو هوليود الجميلة ؟!

يقول الدكتور علي كمال :

«تتوفر احصائيات عديدة ، عن انتشار الانتحار في الكثير من البلدان ، خاصة الغربية منها ؛ وكلها تدلل علىٰ كثرة هذه الحوادث وتزايدها ، وخاصة في الدول الاسكندنافية ، والمانيا الغربية ، وانجلترا ، وامريكا ..

ومعدل وقوع الانتحار المؤدي الىٰ الموت ، في هذه البلاد ؛ يقع في حدود ١٥ - ٣٠ من كل مئة الف من السكان ..

اما حوادث الانتحار التي لا تؤدي الىٰ الموت ؛ فهي اكثر من ذلك بكثير .. وقد وجد في هذه المجتمعات ، ان المرأة تحاول الانتحار عدة مرات اكثر من الرجل ؛ وقد يكون في محاولتها الانتحارية ، تظاهرة صارخة لجلب العطف والاهتمام لمشاكلها ..

كما وجد ان الانتحار قليل الوقوع في الاطفال والاحداث ، وهو يقع في حدود ثلاثة من كل مليون .. ويتزايد في المراهقين ليصل الىٰ ١٦٠ في المليون ؛ ويكون ـ بذلك ـ السبب الثالث للوفيات في هذه المرحلة من العمر ..

ويتزايد بعدها ، ليصبح السبب الثاني للوفيات بين طلبة الجامعات .. ويأخذ في الزيادة المطردة بعدها ، ليصل اعظم نسبة من المسنين ؛ ففي الخمسين من العمر يكون ٢٠٠ في المليون ، وفي الثمانين من العمر يصبح ٧٠٠ في المليون ! !

ومن تحليل العوامل المساعدة علىٰ الانتحار ، في البلدان الغربية ، يذكر الخبراء العوامل التالية : الشيخوخة ، الترمّل ، عدم الزواج ، الطلاق ، عدم انجاب الاطفال ، ارتفاع مستوىٰ المعيشة ، الازمات الاقتصادية ، تناول المسكرات ، المرض ..

ومن تحليل العوامل التي يعتقد انها تقلل من الانتحار ، يذكرون العوامل التالية : الحياة والعمل في الريف ، الالتزام بالدين ، الزواج ، عائلة كبيرة من الاطفال ، مستوىٰ اجتماعي واقتصادي وثقافي اقل مما هو سائد في المجتمع .» ..

الكـآبة .. هي الســبب :

يقول «فرويد» بان الرغبة في الموت ، هي غريزة موجودة في النفس ، جنباً الىٰ جنب مع غريزة الرغبة في الحياة ..

ويرىٰ علماء نفس آخرون ، ان الانتحار هو تعبير رمزي عن غريزة الاعتداء في نفس الانسان ؛ وان هذه الغريزة تتحول ـ في ظروف خاصة ـ الىٰ الاعتداء علىٰ النفس ، بدلاً من الاعتداء علىٰ الآخرين ..

ومالي ادخلك في متاهات علم النفس ونظرياتهم التي تكاد تستعصي علىٰ الفهم ؟! فمهما قيل لتفسير ظاهرة الانتحار ؛ فأن سببها الرئيسي هو الكآبة ..

وفي بعض الاحيان ؛ يكون الغرض هو جلب الانتباه أو الاهتمام .. وهذا يبدو بوضوح ، في المحاولات الانتحارية البسيطة ، التي تقوم بها الفتيات ؛ كابتلاع جرعات غير قاتلة من الادوية .. وفي معظم الحالات ، لا تؤدي هذه المحاولات الىٰ الموت ..

اما خطر المحاولات الانتحارية ، والتي تؤدي الىٰ الموت في معظم الحالات ؛ فهي تلك التي تتم بتخطيط دقيق ، واصرار اكيد علىٰ الموت .. ومثل هذا المريض ، يقوم بعمله الانتحاري بسرية تامة ، ويتخذ التدابير الكفيلة بعدم افتضاح امره ..

فما العمل اذن ؟ وهل نستطيع وقاية المريض من نفسه ، قبل فوات الاوان ؟!

ان هناك بوادر ونذراً معينة ، اذا وجدت لدىٰ مريض الكآبة ؛ فهي دلالة قوية علىٰ انه سيحاول الانتحار ، وقد تنجح محاولته .. وعلينا مراقبته .. وهذه البوادر هي :

- وجود حادثة انتحار سابقة في عائلة المريض ..
- تهديد المريض بأنه سينتحر ..
- حديث المريض عن عدم جدوىٰ الحياة ..
- الشعور بالاثم وتأنيب الضمير ..
- الادمان علىٰ المسكرات او المنومات ..
- عيش المريض لوحده اوفي عائلة مضطربة ..

اعراض الكآبة :

ان نسبة قليلة من المرضىٰ ، يعبّرون عن حالتهم بانها «كآبة» ..

اما اغلب المرضىٰ ، فيصابون بمجموعة من الاعراض التي تدل علىٰ الكآبة ... واكثر هذه الاعراض شيوعاً هي : الاحتصار ، والضجر ، والقلق ، وغيرها ..

وفي بحث قام به الدكتور علي كمال ، في العراق ، وجد ان اعراض الكآبة ، تحصل بالنسب التالية :

الأحتصار	٨٤٪
الضجر	٧٢٪
اعراض جسمية	٦٠٪
القلق	٥٢٪
الأرق	٥٢٪
اضطرابات الشهية	٥٢٪
الأنفعال	٥٢٪
التعب	٥٢٪
عدم الأستقرار	٤٤٪
عدم التركيز الذهني	٤٤٪
البكاء	٣٦٪
الخوف	٣٦٪
افكار مزعجة	٣٠٪

التشاؤم	٢٨٪
احلام مزعجة	٢٤٪
الرغبة في الموت	٢٠٪
اضطرابات جسمية	٢٠٪
الشعور بالاثم	٤٪
«الكآبة»	٣٪

علاج الكآبة :

ان علاج الكآبة يتضمن جانبين اساسين : الجانب الاول . هو المحافظة علىٰ حياة المريض ووقايته من الانتحار .. والجانب الثاني ، هو ازالة الشعور بالكآبة ..

اما وقاية المريض من الانتحار ؛ فتتم بعلاجه بشكل فعّال في وقت مبكر من المرض .. ويفضل ادخاله الىٰ المستشفىٰ . في الحالات الشديدة من الكآبة ؛ من اجل ضمان تناوله للعلاج ، ومن اجل مراقبته ..

ويجب ان تكون المراقبة شديدة ، اذا كانت لديه بوادر تشير الىٰ احتمال قيامه بالانتحار ..

وفي بعض حالات الكآبة الشديدة التي تصيب المرأة بعد الولادة ؛ قد تقوم هذه الام بالأنتحار بعد ان تقتل طفلها وهي بذلك ـ حسب ظنها ـ تكون قد تخلصت من الحياة المرة الكئيبة ، وخلّصت طفلها من المتاعب التي يواجهها وهو لا أم له ! !

واما ازالة الشعور بالكآبة ، فيتم بأستعمال العقاقير المضادة للكآبة ؛ مثل «تربتزول» Tryptizol ، او «توفرانيل» Tofranil ..

ولقد شهد عالج الكآبة تقدماً ملموساً ، في السنوات الاخيرة ؛ وذلك بفضل استعمال «الصدمة الكهربائية» E . C . T ، التي تمتاز بسرعة مفعولها ، بخلاف العقاقير التي تحتاج الىٰ نحو اسبوعين لكي يبدأ مفعولها ..

ولهذا فان كثيراً من الاطباء يفضلون استعمال الصدمة الكهربائية ..

في حين ان اطباء آخرين ، يقولون بأن العقاقير المضادة للكآبة ، تعطي ـ مع مرور الوقت ـ فائدة علاجية لا تقلّ عن فائدة الصدمة الكهربائية .. ولهذا فهم يفضّلون الابتداء بالعقاقير ، ويحتفظون بالعلاج الكهربائي لتلك الحالات التي قام فيها المريض بمحاولة انتحار ، او هدد بالقيام بها .. وفي حالات الأرق التي تستعصي علىٰ العلاج .. وعندما يتعذر القيام بتغذية المريض بصورة كافية

وبالاضافة الى تلك الوسائل العلاجية ، يقوم الطبيب بتهدئة المريض ، والتأكيد على ان مرضه غير خطير ويمكن الشفاء منه بصورة تامة..

قصة انتحار الكابتن «سمث» :

دعنا نعود سنوات الى الوراء ، الى عام ١٩١٢ الذي شهد صناعة اعظم باخرة في حينها ؛ انها «تيتانيك» ، التي اطلق عليها الصحفيون «عروس الاطلسي الآمنة» ، والتي كانت تملكها شركة «وايت ستار لاين»..

وكانت تلك الباخرة عملاقة حقا ؛ فطولها (٢٦٩) متراً ، ووزنها (٦٦) الف طن ، وطاقمها يتألف من (٨٩٢) شخصاً ، وتتسع لحوالي اربعة آلاف راكب.. وكانت مصنوعة وفق هندسة متطورة ، ومجهزة بوسائل امان متقنة..وقد اختير لقيادتها ، الكابتن «ادوارد سمث» ، الذي كان خير ربابنة عصره ؛ فهو الذي امضى معظم حياته في البحر ، وكان رباناً لأثنتين من البواخر الضخمة العملاقة

وعندما تحطمت هذه الباخرة ، في اول رحلة لها ؛ كان الكابتن «سمث» من بين الناجين ، ولكنه اطلق النار على نفسه ليموت في الحال !!

ولنبدأ القصة من اولها :

الرابع عشر من «نيسان» عام ١٩١٢ ؛ والباخرة العملاقة «تيتانيك» تمخر عباب الاطلسي ، وعلى متنها اكثر من الفي راكب ، بينهم العديد من كبار الشخصيات : المليارديو «ايزودور ستراوس» ، الكولونيل «جون جاكوب استور» ، الكولونيل «ارشيبالد بوت» المستشار في البيت الابيض ، الناشر الامريكي المعروف «هارير» ، وغيرهم..

وفي صالون الباخرة الفارة ، كان ركاب الدرجة الاولى يقضون ليلة صاخبة ؛ خمر ، ورقص ، وانغام تصدح.. لقد كانوا منتشين بوجودهم على متن اعظم باخرة في التاريخ..

في مساء ذلك اليوم ، عندما أبتدأ «فردريك فليت» نوبته في ادارة دفة الباخرة ؛ كان كل شيئ يبعث الطمأنينة في النفس : البحر هادئ الموج ، والنجوم متألقة كعيون الفاتنات ، واصوات الموسيقى تشق سكون الليل ، وهدير محركات «تيتانيك» يبعث على المزيد من الثقة والانشراح..

وفجأةً ، وفي الساعة الحادية عشرة واربعين دقيقة ، لمح «فردريك فليت» كتلة ضخمة سوداء تنتصب امام الباخرة !! فأسرع بدق جرس الأنذار ، ورفع سماعة الهاتف التي توصله بقيادة الباخرة ، وصاح : «امامنا كتلة جليدية ضخمة».. وجاءته

الاوامر ـ فوراً ـ من قائد الباخرة «سمث» : انحرف باقصىٰ واسرع مايمكن ! !

الباخرة تقترب اكثر فأكثر من الكتلة الضخمة التي اصطبغت بسواد الليل ، وبدت بوضوح : انها جبل جليدي عملاق ! !

ولقد امكن انقاض الباخرة من الاصطدام المباشر بجبل الجليد ، ورغم ذلك حصل اصطدام جانبي أثّر في ميمنة الباخرة .. ولم يشعر الركاب الا باهتزاز بسيط ، وتابعت الباخرة سيرها المعتاد .. ورفع القائد «سمث» كأسه ، وشرب ـ مع البحّارة ـ نخب «العملاقة تيتانيك ، قاهرة البحار والجبال» .. ثم عاد كل شئ الىٰ طبيعته ، وراحت الموسيقىٰ تصدح من جديد ، وعاود ركاب الدرجة الاولىٰ رقصهم بنشوة اكبر ..

وفي تلك اللحظات القدرية ، لم ينتبه احد الىٰ ان ذلك «الاصطدام البسيط» قد احدث شرخاً طويلاً في هيكل الباخرة ، واتلف ستاً من مقصورات العزل ! !

القائد «سمث» لم يكن مقتنعاً بروح التفاؤل التي بثّها في نفوس بحّارته .. وذهب الىٰ غرفة العمليات ليرىٰ بنفسه حقيقة الامر .. وسرعان ما انهالت عليه تقارير مشؤومة :

- ميلان بمقدار خمس درجات في الجانب الايمن ..
- تسرّب المياه الىٰ خزانات الوقود ..
- مقصورة الاتصال مغمورة بالماء ..

فأدرك سمث ـ علىٰ الفور ـ ان كارثة كبرىٰ علىٰ وشك الوقوع .. فاصدر اوامره بأعداد قوارب الانقاذ ، وارسال اشارات الاستغاثة ..

وعندئذ ، دب الذعر بين الركاب ؛ وكان ركاب الدرجة الاولىٰ اشد هلعاً ، وراحوا يتدافعون ويصطرخون ، بل ان بعضهم تنكّر بزي النساء لينال اسبقية في الاخلاء ! !

وهنا ، توقفت الموسيقىٰ ، وراح الجميع ينشدون اغنية دينية معروفة آنذاك «يارب ، دعني اقترب منك اكثر» .. فيما بدأت مقدمة السفينة تغرق اكثر فأكثر ! !

ولم ينج سوىٰ سبعمائة من مجموع الركاب الذين بلغوا اكثر من الفين ..

«وهو الذي يسيّركم في البر والبحر ، حتىٰ اذا كنتم في الفُلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتهم ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم أحيط بهم ، دعوا الله مخلصين له الدين : لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين» ..

فان جوخ .. الحب والانتحـار :

الفنان الكبير «فنسنت فان جوخ» ، من أشهر الرسّامين الذين انجبتهم «هولندا» .. ولقد كانت حياته مأساة مريرة ؛ ابتدأت بحب عاصف ، وشارفت نهايتها بجنون عارم ، ثم اختتمت بانتحار قاتل !!

عاش «فان جوخ» اوج شبابه في لندن ، حيث كان قد استأجر حجرة مفروشة ، في بيت عائلة تتكون من ام ارملة وابنة وحيدة تدعىٰ «اورسولا» ؛ تلك الفتاة التي خلبت لبّه منذ النظرة الاولىٰ

وكانت في التاسعة عشرة من عمرها ، وكان «فان جوخ» في الحادية والعشرين .. ولقد اذهلته بأبتسامتها الفاتنة ، ووجنتيها المتوردتين ، وجسدها المكتنز الذي يفيض انوثةً ويشع اغراءً ..

كان يتناول معها طعام الافطار كل صباح ، وكانت تلك اسعد لحظات حياته ..

وذات يوم كانا لوحديهما في البيت ، حيث الاشجار المزدهرة تبعث شذاها الذي يمتزج مع شذىٰ «اورسولا» .. فيدب خدر لذيذ في جسد «فان جوخ» ، ويكاد يأخذها بين يديه ليمتص الرحيق الذي يكسو شفتيها ، ولكنه يتردد ، ولا يفعل شيئاً من ذلك ..

وبينما هما يمشيان في الممر المظلل باشجار التفاح ، كادت «اورسولا» تتعثر ، فامسكت بذراعه بقوة ، وهي ترسل ضحكاتها العذبة المغرية .. وكاد يحتضنها ، ولكنه مسك نفسه ..

وفتح لها باب الحديقة لتخرج هي اولاً ، وكاد وجهها الممتلئ يلامس وجهه ، ومرّت قباب الياسمين من قرب صدره . ورأىٰ شفتيها الورديتين تبرزان في وجهها الناعم الجميل .. وغمرته بعطرها الفواح ..

فأضطرمت نيران الحب في قلبه ، فأمسك بها وقال : «اورسولا ، انني احبك حباً عميقاً صادقاً .. وسعادتي عظيمة لو وافقت علىٰ زواجي منك .. فما هو رأيك ؟» .

وكان جوابها اول خيوط المأساة . فقد قالت له :

«من الغريب انك لا تعلم بانني مخطوبة منذ اكثر من عام» !!

ولم يقتنع بكلامها ، فجذبها اليه بقوة ، وقبّلها في فمها ، وذاق طراوة شفتيها ، رغماً عنها !!

فاسرعت تعدو ، بعد ان خلصت نفسها منه ، وهي تناديه :

«تباً لك ايها الاحمق» !!

وفي اليوم التالي ، وعلىٰ مائدة الافطار ، اخبرته ام الفتاة بان عليه ان يغادر البيت في غضون شهرين ..

وبالفعل ، غادر البيت ، وسافر الىٰ هولندا لعله يستطيع نسيان حبيبته الفاتنة .. ولكن طيفها لايكاد يبرح مخيلته آناء الليل واطراف النهار .. فعاد الىٰ لندن ، وسكن في بيت آخر .. وفي احد اعياد الميلاد حاول ان يدخل بيت «اورسولا» ، ولكنه طرد شر طردة من قبل «اورسولا» نفسها ! !

بعد ذلك ، سافر الىٰ بلدة «ايسلورث» حيث عمل مدرساً في مدرسة نظامية .. ولم يستطع ان ينسىٰ تلك الفاتنة ، واستبدّ به الشوق ، واضناه الغرام ، فقرر ان يذهب من «ايسلورث» الىٰ «لندن» مشياً علىٰ الاقدام ، فلم يكن يمتلك اجرة القطار ! !

وفي الطريق ، تدفق المطر غزيراً ، فابتلت ملابسه ، والتصقت بجلده .. ثم وصل منهكاً خائر القوىٰ ، ووجد منزل «اورسولا» مضاءً ، تصدح فيه انغام الموسيقىٰ .. انه حفل الزواج ! !

وبعد قليل ، انفتح باب المنزل الخارجي ، وظهرت «اورسولا» ومعها رجل طويل القامة ، وجلسا في العربة المهيئة لها .. تقدّم «فان جوخ» خطوات ، والصق وجهه بنافذة العربة ، التي تغتسل بماء المطر ، ورأىٰ «اورسولا» غائبة في حضن زوجها ، وقد اطبق فمه علىٰ فمها .. ثم سارت العربة ، والمطر ينهمر كأحزان المساء ..

بعد هذه الصدمة القاسية ، غادر «فان جوخ» انجلترا الىٰ الابد ، وعكف علىٰ الرسم يذيب فيه الاحزان ..

وفي سنة (١٨٨٨) ، اي بعد تلك الحادثة المؤلمة بعام واحد ؛ ظهرت عليه بوادر الجنون ، حتىٰ ان احدىٰ فتيات الرذيلة لما اظهرت اعجابها بأذنه ، ذهب الىٰ منزله ليقطع هذه الاذن ، ويقدّمها هدية للفتاة ، التي ما ان رأتها حتىٰ اغمي عليها ! !

وادخل احدىٰ المصحّات العقلية ، وظل مريضاً لمدة (١٩) شهراً ..

واخيراً ، رأىٰ ان يتخلص من عذابه المرير ، وهمومه الثقال ، فاطلق الرصاص علىٰ نفسه ليموت علىٰ الفور .. كان ذلك عام ١٨٩١ ، العام الذي شهد نهاية قصة حياته المفعمة بالنكبات ..

غـرائـب
المشـاهـير

غرائب المشاهير ، موضوع فيه من الطرافة الشيْ الكثير .. فالعباقرة الذين وهبوا انفسهم للعلم او الفلسفة او الادب ، تجدهم يقومون بأعمال مضحكة ، او يسلكون سلوكاً غريباً ..

احد العلماء نسي اسمه ذات يوم .. وعالم آخر نسي عروسه التي كانت تنتظره في عش الزوجية ، وهو غارق في تجاربه العلمية الىٰ الاذقان .. وآخر كان اذا دخل الحمام اطلق عقيرته بالغناء ..

واحد الروائيين كان يدخل بيوت اصدقائه من نوافذها ! ! وغير ذلك الكثير مما سأحدثك عنه في هذا الفصل ..

ويبدو لي ، وكأن هؤلاء العباقرة يحصل لديهم تضخم في احد جوانب شخصياتهم ، فتصاب جوانب اخرىٰ بالضمور .. فالعالم الذي وهب كل وقته للعلم ، وسخر كل فكره له ؛ قد ينسىٰ اشياء لا تُنسي ، او يقوم باعمال تبدو غريبة بالمقاييس الاجتماعية السائدة ..

وتلك الغرائب لدىٰ المشاهير ، هي غالباً شذوذ في السلوك ، ناتج عن عوامل كثيرة ؛ لا اريد الدخول في تفاصيلها ، لان ذلك يتطلب الحديث بالتفصيل عن حياة كل واحد منهم .. وقد اردت هذا الفصل ليكون موضع طرفة ، ومحطة استراحة ..

اديسون :

ومن لا يعرف «توماس ادسون» ؟! انه الفيزيالي الامريكي الذي اخترع المصباح الكهربالي ، وآلة التصوير السينمائية والفوتوغرافية ، وعشرات الاختراعات الاخرىٰ ..

هذا العالم الكبير كان مصاباً بضعف الذاكرة ، وشرود الذهن ، لهذا كان كثيراً ما ينسىٰ تناول الطعام ، وينغمس في عمله حتىٰ الوجبة التالية ، ظناً منه انه قد تناول وجبته السابقة ..

ولعل نسيان الطعام ، لا يبدو شديد الغرابة امام نسيانه لاسمه ؛ اذ يروىٰ عنه ؛ انه ذهب ـ ذات يوم ـ ليدفع ما عليه من ضرائب .. ووقف في الصف بانتظار دوره ، فلما

لا يدانيه في ذلك سوىٰ الشيطان



توماس اديسون

جاء دوره ، سأله مستلم الضرائب عن اسمه ؛ فارتبك وراح يحاول ان يتذكر اسمه ، ثم ذكّره احد الحاضرين انه «توماس ادسون» ! !

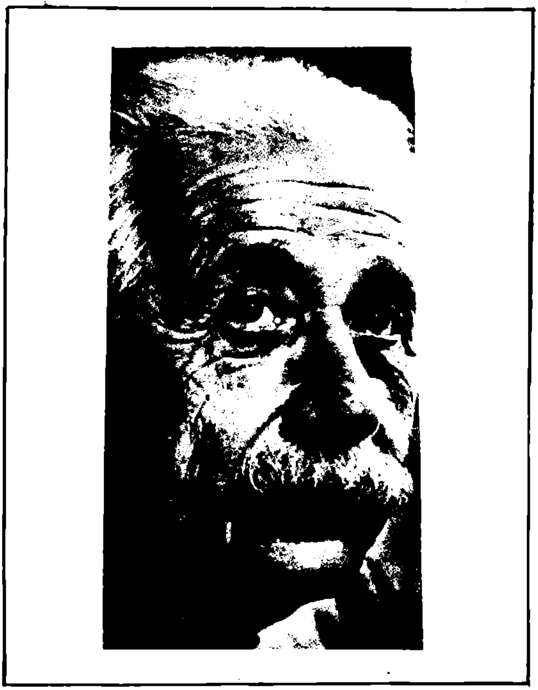
اينشتين :

الفيزيائي الامريكي «البرت اينشتين» ، هو صاحب النظرية النسبية ، التي غيّرت المفاهيم الفيزيائية السائدة .. وهو صاحب النظرية التي تؤكد علىٰ ان المادة والطاقة وجهان لعملة واحدة ؛ تلك النظرية التي كانت اساس اختراع القنبلة الذرية ..

كان ـ في بداية الامر ـ طالباً مهملاً ، لا يتابع الدروس ، حتىٰ انه طرد من المدرسة .. وكان يحب الفوضىٰ ويكره النظام .. وهو غريب الاطوار ؛ يرتدي الملابس المهلهلة ، ويغني في الحمام بصوت مرتفع ! !

بـور :

عالم الذرة الشهير «نيلز بور» كان معروفاً بشرود الذهن ؛ فاذا ذهب مع اصحابه الىٰ السينما ، اضطرهم ان يشرحوا له احداث الفيلم ، فلم يكن يستطيع ان يفهم تفاصيل ما يجري امام عينيه ! !



الفيزيائي الكبير «البرت اينشتين»

داروين :

عالم الطبيعة الانجليزي «داروين» ، صاحب نظرية التطور ، كان في بداية حياته غريب الاطوار ؛ فهو يقضي وقته مع الكلاب ، وفي صيد الفئران ، وجمع الحشرات .. حتىٰ ان والده قال له : ان وجودك عار علىٰ اسرتك وعلىٰ نفسك ! !

باستير :

هذا عالم فرنسي ، وهب فكره لدراسة الامراض ، وهو مكتشف المصل المضاد لداء الكلب ..

يروىٰ عنه ؛ انه في ليلة زواجه ، اجتمع المدعون في داره للمشاركة في حفل الزفاف .. ولم يحضر العريس «باستير» .. وفتشوا عنه ، فوجدوه في معمله يجري احدىٰ التجارب .. وعندما ذكّروه بانها ليلة الزفاف ، وان العروس بانتظاره .. قال : آه ، حقاً ، لقد نسيت ! !

دستويفسكي :

هذا الروائي الروسي الكبير ، هو صاحب الرواية الشهيرة «الجريمة والعقاب» .. وله

روايات اخرىٰ كثيرة .. كان «دستويفسكي» مولعاً بالقمار ،! حتىٰ انه غادر «روسيا» هرباً من دائنيه ! !

دومـاس :

الروائي المعروف «الكسندر دوماس» والذي أشتهر بروايته «الكونت دي مونت كرستو» ورواية «الفرسان الثلاثة» ؛ كان مولعاً بالمغامرات النسائية ، حتىٰ بعد ان تقدم به السن ، فتبرّأ منه ابناؤه ، وعاش ايامه الاخيرة في فقر مدقع ؛ حتىٰ انه اضطر الىٰ بيع ملابسه وادوات بيته ! !

فولتـير :

هذا الاديب والفيلسوف الفرنسي ، لم يكن يستطيع الكتابة ، الاّ اذا وضع امامه مجموعة من اقلام الرصاص .. وعندما ينتهي من الكتابة ؛ يكسر تلك الاقلام ، ويلفها بالاوراق التي كتب عليها ماكتب . ثم يضعها تحت وسادته وينام ! !

بلـزاك :

انه الكاتب والروائي الفرنسي . الذي امتاز بدراسته لاحوال عصره دراسة دقيقة .. ومن الغرائب التي عرفت عنه ؛ انه عندما يسير في شارع ما . يقوم بتسجيل ارقام المنازل في ورقة . ثم يجمع هذه الارقام : فاذا كان الناتج من مضاعفات الرقم (٣) فانه يشعر بسعادة غامرة لأنه يتفاءل بذلك الرقم .. والاّ . فانه يغيّر اتجاهه ويسير في شارع آخر ..

وايلـد :

«اوسكار وايلد» كاتب وشاعر ايرلندي . كان غريب الاطوار ؛ فهو يطيل شعره كالنساء .. وقد حكم عليه بالسجن مرات عديدة ، بسبب جرائم اخلاقية ! !

شـيلي :

هذا الشاعر المعروف ، كانت حياته فترات متعاقبة من النوم والقراءة .. وعرف عنه عدم اهتمامه بتناول الطعام ؛ الىٰ درجة انه كان ينسىٰ ذلك . لعدة ايام متوالية ..

بايـرون :

هذا الشاعر الانجليزي الثائر ، اتسمت شخصيته بالتعاظم الاجوف .. وكان يعذبه الاحساس بالمذنب ، ويشعر انه انسان شرير ؛ ورث الشر عن امه .. وانه اسوأ الخطاة جميعاً ، لا يدانيه في ذلم سوىٰ الشيطان .. وكثيراً ما تقمص شخصية الشيطان في قصائده ..

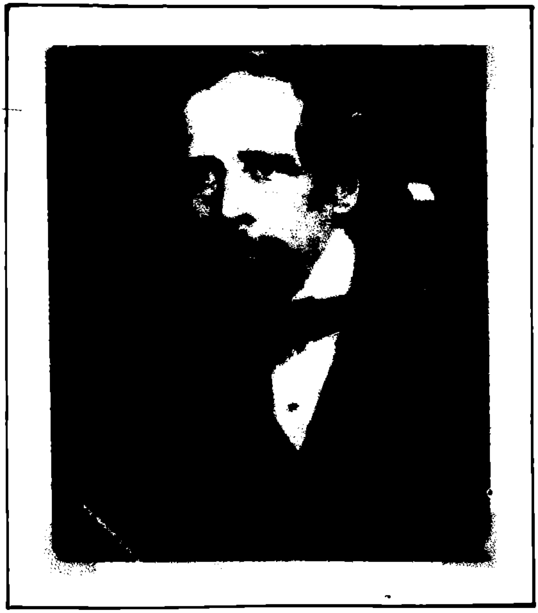
شـوبنـهاور :

اذا كانت غرائب المشاهير ـ في معظمها ـ شذوذاً في السلوك ، وليست امراضاً بمعنىٰ الكلمة ؛ فان غرائب هذا الفيلسوف الالماني ناتجة عن اصابته بمرض عقلي .. وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل ، في فصل سابق ..

وقد عرف عنه ، انه كان يتحدث الىٰ نفسه في الطريق ، بصوت مسموع ..

ديكـنز :

الروائي الانجليزي الكبير «تشارلز ديكنز» ، كان في بعض الاحيان ، يغادر منزله في منتصف الليل ، ويظل يسير في الطريق دون هدف .. وكان احياناً يدخل بيوت اصدقائه من نوافذها ، وهو يرتدي ملابس البحّارة ..



تشارلز ديكنز

ودُعي - ذات يوم - الىٰ حفل عام ، فاذا به يتوقف عن تناول الطعام ، ويخرج من جيبه مشطاً ، ويروح يسرح شعر راسه ولحيته وشاربه ..

نيــتشه :

الفيلسوف الالماني «نيتشه» ، صاحب مبدأ «البقاء للاصلح» ؛ كان منطوياً علىٰ نفسه ، منعزلاً عن الناس .. وكان يحتقر المرأة ، ويقول بأنها غير قادرة علىٰ الوفاء ، وان الهدف من وجودها هو الترفيه عن الرجل ، ولا شيْ غير ذلك .. وقد انتهت حياته بالجنون ..

تولســتوي :

انه الروائي الروسي الكبير ، الذي اشتهر برواية «الحرب والسلام» .. كان فاشلاً في المدرسة .. وفي مطلع شبابه كان ينفق امواله علىٰ الترف والبذخ ..

وفي الشطر الاخير من حياته ، كان يرتدي ثياب الفلاحين ، ويصنع احذيته بيديه ، ويكنس غرفته بنفسه ، ويتناول طعامه في طبق من خشب ..

كريســتي :

«اجاثا كريستي» اعظم روائية كتبت عن الجريمة .. ولقد كانت قصصها تترجم الىٰ اكثر من ست لغات ، بمجرد ظهورها في الاسواق ..

اما افكار تلك القصص العجيبة ، فقد كانت تقفز الىٰ رأسها ، وهي راقدة في المياه الدافئة التي ملأت بها حوض الحمام ، مع تفاحة كبيرة تقضمها بسكون حالم ..

ديــكارت :

الفيلسوف «رينيه ديكارت» هو صاحب العبارة الشهيرة «انا افكر ، اذن انا موجود» .. وله مؤلفات كان لها أثرها البالغ في الفكر الاوروبي ..

كان هذا الفيلسوف ذا شخصية معقدة .. وعرف عنه غرامياته الكثيرة بفتيات الهوىٰ ..

بيــكون :

الاديب والسياسي المعروف «فرنسيس بيكون» ، اتهم عدة مرات بالرشوة ، وخان اقرب اصدقائه مقابل مبلغ من المال ، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة

العظمىٰ ..

وكانت شخصيته شديدة التناقض ؛ فبعد ان وضع كتابه الرائع «تقدم العلم» ، قام برئاسة غرفة التعذيب الخاصة في البلاط الملكي ! !

واشنـــطون :

اول رئيس للولايات المتحدة الامريكية ، الجنرال «جورج واشنطون» ، الذي خاض غمار حرب التحرير ضد انجلترا ؛ كان معروفاً بخجله الشديد ، فلم يكن يستطيع الخطابة في الاماكن العامة ، وكان يرتبك ويلزم الصمت عند وجود غرباء ..

وكان ـ احياناً ـ يسلك سلوك شاب مراهق ، مولع بمطاردة الحسناوات ..



بسمارك

بســمارك :

هذا السياسي الالماني الشهير ، كان عظيم الاثر في تحقيق الوحدة الالمانية .. وقد عرفت عنه صفات غريبة ؛ كالقلق الدائم ، والاستبداد برأيه .. وكان متعالياً على الناس ، لا يحترمهم ولا يهتم بافكارهم ..

نابليون :

القائد الفرنسي الذي غزا العالم ، حتىٰ طرق ابواب موسكو ، «نابليون بونابرت» ؛ كان لا شرع في رسم اي خطة حربية ، الاّ وهو يمتص اقراص السوس .. يقول عنه مقرّبوه : انه طيب القلب ، الىٰ درجة ان اي انسان يستطيع خداعه .. وكان خطه رديئاً ، حتىٰ ظن البعض ان رسائله خرائط حربية ! !

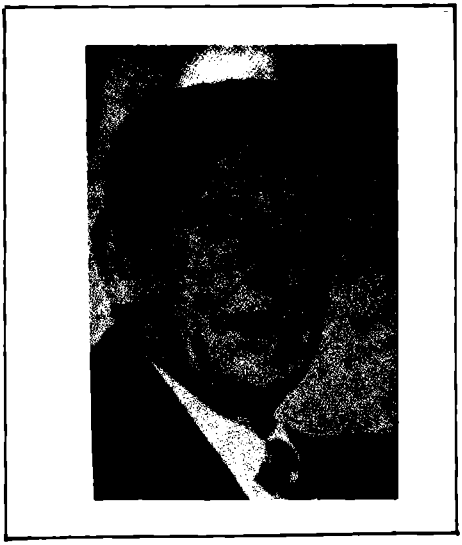
تاليران :

هذا هو وزير خارجية نابليون ، وكان سياسياً بارعاً .. وقد عرف بعدائه لرجال الدين ، واشتهر بغرامياته المتعددة ، حتىٰ انه تزوج احدىٰبنات الهوىٰ .. واتهم عدة مرات بالرشوة .

ريغان :

الرئيس الامريكي «رونالد ريغان» ، كان في بداية الامر ممثلاً .. تقول عنه زوجته «جين وايمان» التي اضطرت الىٰ الانفصال عنه :

«كان شيئاً مزعجاً ان اجد زوجي ـ ريغان ـ علىٰ مائدة الافطار ، والصحيفة في يده ؛ وقد وقف مدافعاً عن اليمين مرة ، وعن اليسار مرة اخرىٰ ، ثم عن اليمينيين المتطرفين ، وبعدها عن اليساريين المتطرفين .. وفي النهاية يدافع عن اولئك الذين يقفون في الوسط ، بين اليسار واليمين .. كل هذا في جلسة واحدة ونحن نشرب الشاي في الصباح» ! !



رونالد ريغان

بتهوفـن :

الموسيقار الكبير «بتهوفن» ، كانت تعترية نوبات لا يعي - فيها - مايقول او يفعل .. وقد وجد - ذات يوم - منهمكاً بعمليات حسابية ، يضرب أخماساً بأسداس ، ولما سئل عن ذلك ، قال بأنه يشرب القهوة بافراط ، ويريد ان يحسب كم يستطيع ان يوفّر من حبّات البن في العشرين سنة القادمة التي قدر انه سسيعيشها ! !

ولم يرفع رأسه عن الورق حتى حسب عددها ، ووزنها ، وثمنها .. ثم قام ليؤلف سيمفونية رائعة ! !

المصــادر العربيــة

١ ـ د. احمد زكي (١٩٧٥) : مع الله في الارض..
مجلة «العربي»، العدد ٢٠٤، ص : ٣٨ ـ ٤٥

٢ ـ د. احمد عبد الرحيم مصطفى (١٩٨٢) : مقتل نابليون..
مجلة «العربي»، العدد ٢٨٩، ص : ١٥٧ ـ ١٦١

٣ ـ د. ايوجين موزيس (١٩٦٨) : مرضى القلب والنشاط الجنسي..
مجلة «طبيب العائلة»، العدد الثالث، السنة الاولى، ص : ٢٦ ـ ٢٩

٤ ـ د. بديع حقي (١٩٧٣) : قمم في الادب العالمي..
منشورات اتحاد الكتاب العرب..

٥ ـ جمال الكناني (١٩٧٥) : مكسيم جوركي..
مجلة «العربي»، العدد ٢٠٥، ص : ١٢٢ ـ ١٢٥

٦ ـ د. دري حسن عزت (١٩٧٦) : مرض الفصام او الشيزوفرينيا..
مجلة «العربي»، العدد ٢٠٩، ص : ١٣٠ ـ ١٣٥

٧ ـ د. حسام الراوي (١٩٨٥) : هؤلاء المرضى حكموا أمريكا والعالم..
مجلة «التضامن»، العدد ١٢٠، ص : ٧٨ ـ ٨٠

٨ ـ حسنين حسن مخلوف (١٩٧٧) : هذه هي مي، الاديبة التي شغلت الفلاسفة والادباء والشعراء العرب..
مجلة «العربي»، العدد ٢٧٧، ص : ٤٨ ـ ٥٠

٩ ـ حسن فتحي خليل (١٩٧٥) : الفنان الكبير فان جوخ، وما بقي في شبابه من حب فاشل، فهو له السبيل الى الجنون..
مجلة «العربي»، العدد ٢٠٤، ص : ٦٦ ـ ٧١

١٠ ـ يوسف اليوسف (١٩٧٧) : هل انتحر السياب بالمرض؟..
مجلة «العربي»، العدد ٢٢٢، ص : ١١٣ ـ ١١٨

١١ ـ محمد امين عيسوي (١٩٨١) : غرائب المشاهير..
مجلة «العربي»، العدد ٢٧٧، ص : ١٣٨ ـ ١٤٠

١٢ ـ د. محمد محمد ابو الشوك (١٩٧٩) : عندما تمرض عضلات الجسم..
مجلة «العربي»، العدد ٢٥١، ص : ٤٦ ـ ٤٩

١٣ ـ د. محمود الجليلي (١٩٧٨) : المعجم الطبي الموحد..
الطبعة الثانية، مطبعة المجمع العلمي العراقي..

١٤ ـ د. محمود السمرة (١٩٧٤) : بيكاسو، حياته واعماله..
مجلة «العربي»، العدد ١٨٣، ص : ١٤٦ ـ ١٥٣

١٥ - مكرم محمد احمد (١٩٧٦) : الصين بعد ماو ..
مجلة «العربي» ، العدد ٢١٧ ، ص : ٢٧ - ٣٣
١٦ - نجده فتحي صفوة (١٩٧٧) : مذكّرات جرّاح ..
مجلة «العربي» ، العدد ٢٢٨ ، ص : ٥٢-٥٥
١٧ - د. سالم نجم (١٩٧٤) : سرطان الرئة ..
مجلة «العربي» ، العدد ١٨٥ ، ص : ٨٥ - ٨٧
١٨ - د. سعيد عبده (١٩٧٦) : مبضع الجراح مع القلوب المصابة بفقر الدم ..
مجلة «العربي» ، العدد ٢١٣ ، ص : ٩٦ - ١٠٢
١٩ - د. عبد العظيم انيس (١٩٧٩) : البرت اينشتين ، هذا العبقري الصهيوني ..
مجلة «العربي» ، العدد ٢٥٠ ، ص : ٢٣ - ٢٩
٢٠ - عزت محمد ابراهيم (١٩٧٤) : شوبنهور ، الفيلسوف الالماني الشهير ..
مجلة «العربي» ، العدد ١٩١ ، ص : ٩٩ - ١٠٢
٢١ - د. عيسىٰ الناعوري (١٩٨١) : قمة المأساة في حياة بدر شاكر السياب وشعره ..
مجلة «العربي» ، العدد ٢٧٧ ، ص : ٥٠ - ٥٢
٢٢ - عيسىٰ فتوح (١٩٨٠) : صالونات النساء الادبية ،
بين مريانا مراش ، ومي زيادة ..
مجلة «العربي» ، العدد ٢٦٥ ، ص : ١٠١ - ١٠٤
٢٣ - علي ادهم (١٩٧٦) : من الذي قتل نابليون ؟..
مجلة «العربي» ، العدد ٢١٣ ، ص : ١٠٨ - ١١٣
٢٤ - علي بلوط (١٩٧٨) : حالات انور السادات ، .او الخوف من القطار ..
مجلة «الدستور» ، العدد ٤٠٦ ، ص : ١٠ - ١٢
٢٥ - د. علي كمال (١٩٨٣) : النفس ، انفعالاتها وامراضها وعلاجها ..
الطبعة الثانية ، مطبعة الدار العربية ، بغداد ..
٢٦ - عثمان ميرغني (١٩٨٤) : يوري اندروبوف ، المرض والبيت الابيض وصقور الكرملين تحالفوا ضده ..
مجلة «التضامن» ، العدد ٤٥ ، ص : ١٠ - ١١
٢٧ - د. فائق السامرائي (١٩٨٥) : الأيدز ، مرض أم ظاهرة مرضية ؟..
مجلة «علوم» ، العدد ١٣ ، ص : ١٦ - ١٧
٢٨ - د. فخري الدباغ (١٩٦٦) : آرثر كونان دويل ..
مجلة «العربي» ، العدد ٩٤ ، ص : ٤٦-٥٠
٢٩ - د. صفاء خلوصي (١٩٧٣) : السير ولتر سكوت ، مبتدع القصة التاريخية ..
مجلة «العربي» ، العدد ١٧٧ ، ص : ١٠٢ - ١٠٣
٣٠ - د. صفاء خلوصي (١٩٧٦) : جين اوستن ، اجمل ذكرىٰ في عام المرأة ..
مجلة «العربي» ، العدد ٢١١ ، ص : ١١٨ - ١٢٣



هذا الكتاب

الحَديث عن العظماء بعد وَفاتهم وخاصة عن أمراضهم تلقي اضواءً على زَوايا خفية في حَياتهم قلّما عرف بها الناس..

وفي هذا الكتاب اقتصر الحديث على من اصبح في ذمة التاريخ.. وتقليب أوراق حياتهم التي استعصى فهمها وعز تفسيرها. ومن بين هؤلاء: المتنبي الجاحظ، مي زيادة، السياب، جمال عبد الناصر، عبد الحليم حافظ، نابليون شوبنهور، لورنس، هتلر، بيكاسو حكام البيت الابيض، واخرون غيرهم..

منشورات وتوزيع
المكتبة العالمية
بغداد - شارع السعدون
هاتف ٨٨٧٩٧٤٣

السعر ديناران ونصف

طبع بالشركة العراقية للطباعة الفنية. بغداد
هاتف ٧٧٦٢١١١
رقم الايداع (٤٣٠) في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٧